

العدد الثامن عشر

مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

«تصدر مرة كل سنة»


مجلة
كلية الآداب
والعلوم الإنسانية
الرباط



كلية الآداب والعلوم الإنسانية

الرباط

العدد الثامن عشر

1993



الطبعة الأولى 1414 — 1994



المحتويات

• **بحوث أساسية :**

بحوث أساسية

في مسألة البداية التاريخية للمعرفة العلمية

بناصر البعزاتي
كلية الآداب ــ الرباط

ربما كانت مسألة البداية التاريخية للمعرفة العلمية، دون المسائل النظرية الأخرى، أهمية لدى فلاسفة العلوم ؛ لأنهم لا يهتمون بها كموضوع للبحث في حد ذاته. بيد أن كل تصور ابستمولوجي يعتبر، صراحة أو ضمنياً، أن المعرفة العلمية قد تكوّنت في فترة معينة أو لدى شخصية تاريخية. ولهذا كثيراً ما نقع على آراء تقرر أن هذا العالم أو ذاك هو مؤسس علم كذا أو أول من بنى نظرية علمية في الميدان، إلخ. فتختلف هذه الشخصيات التي يُنسب إليها فضل السبق بحسب التصور الذي يستحوذ على ذهن هذا الدارس أو ذاك، ثم بحسب وزن الاكتشافات التي تتم في دراسة الحضارات القديمة ومدى التقدم في أساليب تحليل وفهم مخلّفات تلك الحضارات.

بالمقابل، يتحدث الدارسون الذين يكتبون في تاريخ العلوم القديمة عن بدايات علم الفلك أو العلم عامة، أو عن اللبنات الأولى في تطور الفكر العلمي. ورغم ذلك فإن الاختلاف الذي نجده لدى فلاسفة العلوم موجود كذلك لدى مؤرخي العلوم، لأن هؤلاء كذلك لا يستطيعون الانفلات من التصورات الابستمولوجية. بل ويختلف كل الدارسين حول السمات المميزة للنظرية العلمية ! وهذه بعض الآراء :

أ ــ في نظر كارل بوبر يبدأ البناء العلمي مع بارمنيدس[1]، حيث بنى أول

(1) Popper, K.R.; **Conjectures and Refutations**, London, 1972, pp. 79-83, 146

نظرية فرضية استنباطية عن العالم، فتهيأت للاختبار التجريبي ودُحضت (أُبطلت)، ثم عُوّضت بنظرية جديدة من قبل ديمقريطس حول تكوين المادة من أجل تفسير العالَم. وقد كوّن هذا الرأي في سياق تصوره لخصائص النظرية العلمية، حيث يرى أن كل قضية حول الواقع تكون علمية بقدر ما تكون قابلة للدحض أو الإبطال، وإذا لم تكن قابلة للدحض فإنها لا تتحدث عن الواقع، أي[2] ليست من العلم.

يبدو لنا أن معيار قابلية الدحض بهذا التصور الحادّ ليس عمليا، لأن مسألة واقعية العبارات ولا واقعيتها ليست بمثل الصرامة التي يراها بوبر. لذلك يحق أن نتساءل : هل الانساق غير العلمية لا تقبل الدحض دائماً وعلى مدى تقدم المعرفة وأدوات الاختبار ؟ وكيف يتم تفنيد النظرية العلمية ؟ هل يمكن أن تكون نظرية علمية صادقةً يوماً ما ثم تُصبح فيما بعد كاذبة ؟ وبما أننا لسنا بصدد مناقشة الآراء الابستمولوجية، فإننا نلاحظ بإيجاز ما يلي :

1 ــ إنه يمكن دحض (إبطال، تفنيد) بعض عبارات الانساق غير العلمية أو بعض تأويلاتها على الأقل. مثل الرأي الذي كان يقول بأن الأرض محمولة على قرن ثور، وكثير من الآراء التي تنتقل بالرواية.

2 ــ أن العناصر التي تقبل الدحض والتي لا تقبل ذلك متداخلة متفاعلة. ومسألة الاختبار تتوقف على توفير شروط تجريبية مثل أدوات وآلات...

3 ــ النظرية العلمية لا تُدحض كلية، أي لا تُكذَّب، بل تعمل دينامية البناء العلمي على ضبط وتقييد مجال القول الذي تكون فيه صادقة، على إثر بروز بوادرِ نظرية أخرى أقوى منها يكون مجال قولها أوسع وأدق، فتتجاوز النظريةُ الجديدةُ النظريةَ القديمةَ دون أن تُكذبها.

4 ــ ينتج عن هذه الملاحظات أن أولوية بارمنيدس لا يمكن الدفاع عنها. ثم إن فكر بارمنيدس لم يتلق ضربة قاضية ! إذ بقي حاضراً نوعاً ما لدى زينون الإيلي وغيره.

---

(2) Popper, K.R.; The logic of Scientific Discovery, London, 1959, p. 314

ب ــ أما باول فيرابند فإنه يدعي أنه لا توجد أية صفة تميز ما يُسمى علماً. فبما أنه لا توجد عبارات تعبّر بأمانة كاملة عن الوقائع التجريبية، أي أن التجارب تؤوّل لا محالة على ضوء الأفكار المؤطرة لها، فإن كل بناء نظري يستطيع أن يعيّن وينتقي مجموعة من «الوقائع» يبلورها ويؤسس عباراته عليها. كل نسق فكري مؤهل، في نظر فيرابند، أن يدعي أنه نظرية علمية، ولا وجود لمعايير موضوعية للتمييز. ويذهب إلى أن البناءات الأسطورية قادرة على تفسير ظواهر الطبيعة كما يفعل البناء الذي يُنسب إلى العلم. فالأنساق الفكرية بناءات ثقافية تتحكم فيها مقتضيات التداول والحاجة والسلطة(3). لكن بالمقابل، يدعي فيرابند أن أول نسق هو الذي وضعه أنكسمندر(4).

نلاحظ على تصور فيرابند ما يلي :

1 ــ يعمل هذا التصور على إذابة المفاهيم العلمية كلية في المقام الثقافي حيث يفقد الاختبار التجريبي والاستدلال كل معنى، فيسوّي بين الخطابات والبناءات. لو كان هذا التصور صائباً لما وُجد السؤال والبحث والنقد والبناء وإعادة البناء، إلخ.

2 ــ لا يفعل فيرابند إلا أن يقلب التصور العقلاني التقليدي الذي نجده لدى الوضعيين الجدد وكارل بوبر. لكي يعارض فيرابند كل هؤلاء، فإنه يشيد أيما إشادة بكل ما اعتبره التصور العقلاني التقليدي لا علمياً، ويصوّب نقداً لاذعاً لكل ما اعتبره ذلك التصور علمياً.

3 ــ في سياق تلك المعارضة المتطرفة، نجد فيرابند مدافعاً عن «فزياء» أرسطو (لأن العقلانيين التقليديين يعتبرونها محض ميتافزيقا غير قابلة للتحقق)، بينما لا يذكر حتى مجرّد الذكر العالِم أرخميدس السيراكوسي (لأن أولائك يشيدون به كقمة العلم القديم).

ج ــ أما كُتّاب التاريخ الموجز للعلوم ــ دوهرنغ Duehring، ماخ Mach، دوغا Dugas... فإنهم يرون أن البناء العلمي يبتدىء، كمعرفة دقيقة ومتسقة

(3) Feyerabend, P.K.; **Against Method**, 1975; **Science in a Free Society**, 1978; **Erkenntnis fuer Freie Menschen**, 1980.

(4) Feyerabend, P.K.; **Against Method**, p. 246

متكونة من قوانين مضبوطة تستند إلى الاختبار التجريبي والصوغ الرياضي لظواهر الطبيعة، مع أرخميدس (حوالي 287 ـــ 212 قبل الميلاد)[5]. هؤلاء الكتاب لا يتطرقون لأسلوب التفكير الذي تبلور فيه تقليد البحث الذي ينتمي إليه أرخميدس ومجموعة العلماء الذين عاصرهم، وتفاعل الأفكار الذي أدى إلى ترسيخ ذلك الأسلوب الذي تطورت في أحضانه المفاهيم والآليات المثمرة. وإذا حدث أن أورد كُتاب الملخصات البناءات المفاهيمية قبل أرخميدس فإنهم يعتبرونها من قبيل الأفكار **الممهدة** فقط لإنجاز العالِم الفذ. من هؤلاء نذكر المؤرخ ديكسترهوس Dijksterhuis[6].

من عيوب هذا التصور لدى كتاب ملخصات تاريخ العلوم ما يلي :

1 ـــ إنه يجرّد العِلم كلية من المقام الفكري الذي تتبلور فيه مفاهيمه. وتبين الأبحاث في تاريخ العلوم (التاريخ المفصل، الذي تطور بعد الحرب الكبرى الثانية خصوصاً) أن المفاهيم تتحول وتتلاقح وتنتقل عبر أنسجة فكرية مختلفة. فلا يمكن عزل عمل أرخميدس عن سياقه.

2 ـــ إنه يعتبر العِلم بناء متحققاً، بخلاف الانساق الأخرى. لكن هل يوجد معيار كوني صارم للتحقق ؟ إن إمكانية هذا المعيار قد طُرحت داخل التصور الوضعي الجديد، وقد أدى النقاش داخل هذا الاتجاه (من كارناب، إلى همبل، آير، ناجل وغيرهم) إلى الاعتراف باستحالة وجود معيار دقيق صارم يميز بوضوح بين ما هو علمي صرف (متحقق) وما هو غير علمي (غير متحقق) !

3 ـــ درس أرخميدس ظواهر محددة (الرافعة، مركز الثقل، طفو الأجسام، إلخ) وبلورها بأسلوب بنّاء وصوغ رياضي دقيق. هذه البلورة لا يمكن أن تُفهم إلا كتتويج لمسار فكري خلال قرن من الزمن **على الأقل**. وأرخميدس نفسه يُقر بأن عمله امتداد لأسلوب التفكير الذي ينتمي إليه أودكسوس، أركيطاس، ديمقريطس وغيرهم (لا ننسى أن عشرات الكتابات العلمية من هذه الحقبة قبل أرخميدس قد ضاعت، لكن كان لها تأثير بالغ في الفكر اللاحق).

---

(5) Duehring, E.; Kritische Geschichte der **Allgemeinen Prinzipien der Mechanik** 1873; E. Mach, **The Science of Mechanics** 1912; R. Dugas, **Histoire de la Mécanique** 1955.

(6) Dijksterhuis, E.J.; **The Mechanization of the World Picture**, Princetion, 1986

بخلاف التصورات السابقة، نعمد إلى صوغ مجموعة من المقدمات النظرية، مستوحاة من طريقة العمل لدى مؤرخي العلوم المتأخرين (... Kuhn, Holton, Hall, Drake, Serres)، حيث يبرز هؤلاء الطابع الدينامي والتفاعلي للمعرفة مع جميع أنشطة الإنسان.

1 ــ لو كانت البناءات العقدية القديمة محض خيال عقيم لما تمكنت من الصمود في وجه النشاط البشري المتجدد. بل تحتوي خبرة استفادها الناس مع تتابع الأجيال. هذه الخبرة تتبلور في خضم أرجوحة جدلية بين عمليتين متقابلتين متلازمتين : استمرار التشبث بالمعتقَد وتجدد النشاط العملي. يتفاعل الاعتقاد والنشاط بشكل عضوي. الاعتقاد يبلور أمثلة تجريبية يؤولها ويكيفها لضمان الاستمرار، والنشاط العملي (في الطبيعة) يبني أمثلة تجريبية يؤولها ويكيفها لتجديد السلوك وتغيير أساليب مواجهة ظروف العمل. في هذه الجدلية الدينامية تتطور الخبرة لتشكل نواة معرفية أكثر فأكثر أهمية.

2 ــ هذه النواة المعرفية لا هي مستقلة عن النسق العقدي ولا عن النشاط العملي (الذي يصبح أكثر فأكثر تقنية : أدوات الانتاج، البناء...). النواة المعرفية لا تنفصل عن نسق عقدي أو فلسفي إلا لكي يحتضنها نسقٌ آخر، ولا تنفصل عن سياق عملي ــ اجتماعي إلا لكي يحتضنها سياق آخر، إذن في سياق تَعاقُب البناءات النظرية تغتني النواة المعرفية عبر تجدد الخبرة والإدراك. والإدراك عملية نشيطة تبلور الموضوعات المدركَة وتتوقع ما يمكن أن ينتج عنها ؛ ولهذا نقول بأن «في كل عملية إدراك استدلالا». فالثقافات «القديمة» لم تكن خالية من استدلال.

3 ــ كل بناء نظري جديد إنما يتكون على إثر اكتشاف عيّنة من الظواهر لا تستجيب لأحكام وتوقعات البناء القائم. وتجدد البناءات يتمّ في شكل تحول مفاهيمي شبه شامل، يمس كل جوانب الحياة البشرية : الاجتماعية والعقدية والمعرفية. تقر الأبحاث الأركيولوجية ــ الانتروبولوجية حالياً أن الحضارات لم تتطور بشكل خطي مستمر منبثق من رقعة محددة على الأرض ؛ وتميل إلى ترجيح تصور مفاده أن الحضارات ترعرعت في مناطق جغرافية متعددة وفي ظروف مختلفة حسب اختلاف البيئة (وربما في فترات تاريخية متقاربة).

4 ــ تتسع رقعة التحول المفاهيمي أو تضيق حسب درجة متانة النواة المعرفية

وفائدتها العملية ـــ بالمعنى الواسع ـــ ومدى تشبث المجتمع بعناصرها. ولهذا تختلف درجة التحولات من فترة لأخرى ومن مجتمع لآخر. فهناك فترات ركود نسبي، وفترات تحول بطيء وفترات تحول جذري، وفترات تقهقر، إلخ. ويمكن أن تشهد نفس الحقبة التاريخية تحولاً بطيئاً في مجتمع ما، ويكون التحول سريعاً وجذريا في مجتمع آخر، ويعمّ الركود أو التقهقر مجتمعاً آخر. ويمكن أن ينقلب البطيء إلى جذري والجذري إلى ركود...

5 ـــ إبستمولوجياً يتعذر الفصل في مسألة بداية المعرفة العلمية بدقة لأن الفصل يفترض إقراراً بانفصال العلم عن المقام الفكري ـــ الحضاري العام ؛ ولهذا يظل كل تحديد تقريبيا ونسبيا، يحاول تبين تدرج المعرفة في البناء والصلابة والاستدلالية.

6 ـــ تاريخياً، يتعذر الفصل في مسألة الفترة التاريخية (وكذلك الرقعة الجغرافية) لتكوّن المعرفة العلمية لأن حضارات قديمة تهدّمت ولغاتها انمحت، وما بقي منها ليس مادة كافية للتحديد الدقيق ؛ لهذا لا يمكن الحديث إلا عن الحضارات التي وصلت إلينا بعض ملامحها البارزة نسبيا. هذا الحديث لا يمكن أن يكون قطعيا.

7 ـــ التحولات المهمة تنتج عن التقاء بين ثقافات أو حضارات مختلفة. لأن الثقافة المنغلقة، إن وُجدت، لا تشهد تطوراً مهما. بل إن التطور يحدث إذا تمخض عن الالتقاء جوٌّ حواري بنّاء بدل العداء والرفض المسبقين. إذ في جو الحوار البناء تشحذ القدرات الادراكية ـــ الاستدلالية وتنمو النواة المعرفية ويتسع أفق النقد وإعادة النظر في البناءات السائدة. يمكن أن يؤدي الرفض إلى شحذ القدرات تلك، لكن قصد تحصين ما هو سائد باعتباره نهائيا. وهذا ما نلاحظه في فترات التحولات المهمة لدى مختلف المجموعات البشرية.

في أواخر القرن السابع وأوائل القرن السادس قبل الميلاد عاشت المجتمعات البابلية والمصرية والإغريقية تحولا مهما في كل جوانب الحياة العقدية والاجتماعية والمعرفية ؛ حيث تداخلت المعتقدات وتلاقحت وتغيرت الرموز الأسطورية بفعل الاحتكاك الكثيف بين مكوناتها الثقافية. هذه الفترة عرفت كذلك تراكما مهما للمعارف في جميع الميادين شكل مُحركاً مهماً في التغيير. إذ تطورت المعارف

(في الزراعة والتطبيب والمعمار...) وأسبابها (الملاحظة، الحساب، القياس...) فاتسعت النواة المعرفية وصارت أكثر صلابة بشكل بارز.

يرى فان در فيردن أن «علم الفلك أقدم علم طبيعي»، حيث احتل مكانة مرموقة نظراً للفائدة العملية التي كان يمثلها بالنسبة للتنجيم(7). إذ يحتاج المنجمون إلى جداول تبين حركة الاجرام السماوية وموقع كل واحد بالنسبة للأجرام الأخرى، لكي يبنوا عليها قراءاتهم وتوقعاتهم (بل تنبؤاتهم) للمستقبل. هذه الجداول كانت بمثابة سجلات طويلة ودقيقة تُسجل فيها نتائج الملاحظات المتكررة والمنتظمة عبر أجيال، معبّر عنها بالحساب والخطوط والرسوم.

يرى أُطُّو نويغباور (O. Neugebauer) وفان در فيردن (Van Der Waerden) أن علم الفلك لدى البابليين كان أغنى وأقدم من الفلك المصري والإغريقي. لكن هذا العلم شهد تطوراً ملحوظاً بكيفية **متوازية** لدى المجتمعات الثلاث، وإن كان بوتيرة مختلفة هنا وهناك(8). تراكمت الملاحظات وأصبح الاعتماد على الحساب والقياس أكثر فأكثر، مما يجعل التفسير والتوقع أكثر فأكثر متانة. كتب فان در فيردن : «نرى إذن أن الفترة ما بين 600 و300 قبل الميلاد كانت فترة مشعة في علم الفلك البابلي، سارت فيها الملاحظة والنظرية يداً في يد»(9).

الملاحظة والنظرية ترتبطان فيما بينهما ارتباطاً عضوياً ؛ لا يمكن الفصل بينهما إلا لغرض عملي لتسهيل التحليل. ولهذا ينعكس كل تجديد في جانب ما على الجانب الآخر. فالتنجيم وعلم الفلك ارتبطا منذ القديم الواحد بالآخر. ومن الصعب الفصل الصارم في مسألة الأسبقية التاريخية فيما بينهما. إذ لكي يكون التنجيم أكثر نشاطاً في القراءة والتوقع (التنبؤ) يلزم أن تكون الملاحظة الفلكية أكثر دقة ؛ والعكس صحيح. وقد سجل البابليون منذ القدم ملاحظاتهم حول

(7) Waerden, B.L. Van der; **Erwachende Wissenschaft**, b. II, **Die Anfaenge der Astronomie**, 1968, pp. 4-6.

(8) Neugebauer, O.; **The Exact Sciences in Antiquity** 1969; B.L. Van der Waerden, **Die Anfaenge der Astronomie**.
وفي مقالات أخرى مهمة نشرت في مجلات متخصصة في تاريخ العلوم و / أو تاريخ الحضارات. ويعتبر الدارسان حالياً سلطة في تاريخ العلوم القديمة.

(9) Waerden; **Die Anfaenge...**, p. 202.

القمر والشمس والكواكب الأخرى والكسوف والخسوف... ولهذا فإن التحول الذي شهدته الحياة الثقافية خلال القرن السادس قبل الميلاد كان شاملا. فنرى أن ذلك التحول ارتبط بتراكم الخبرة والملاحظات في الفلك وغيره. وفعلا، كما يثبت فان در فيردن فإن هذه الفترة عرفت تحولاً في التنجيم وعلم الفلك **مرتبطين**[10]. بل إن الارتباط أشمل، حيث تتفاعل كل مجالات الحياة الاجتماعية والعقدية والمعرفية والفنية، إلخ.

ولكن لا يمكن رصد جوانب ذلك التحول الذي عاشته المجتمعات البابلية والمصرية ؛ ولهذا سنشير فقط إلى السمات البارزة للتحول الذي حصل في المجتمع الإغريقي. (لعبت اللغة اليونانية وعوامل أخرى دوراً مهماً في تطور الفكر، بينما بقيت اللغات الأخرى متمسكة ببنيات عتيقة). لكن رغم ذلك، فإن أغلب المؤلفات التي ركزت على ميدان العلوم قد ضاعت ولم تصلنا إلا أخبار مبعثرة لدى هذا المؤرخ أو هذا المُجادل.

خلال القرن الخامس قبل الميلاد اتخذ الاهتمام برصد حركات الأجرام السماوية لدى الإغريق شكلا منظماً، يؤطره مشروعٌ من أجل المعرفة الواضحة وأسلوب تفكير يتوخى الدقة والبناء المتماسك. وقد لعبت دقة عمل الراصدين البابليين دوراً كبيراً في هذه اللحظة الدقيقة من الفكر الإغريقي، ولكن كذلك فيما بعد. واضح أنه، كما يرى فان در فيردن، بدون عمل الكتاب البابليين لما كانت دقة علم الفلك الإغريقي ممكنة.

يعيّن نويغباور ما يسميه بدايات علم الفلك لدى الإغريق حوالي سنة 400 قبل الميلاد. بينما يذكّر فان در فيردن أن راصدين فلكيين من صنف ممتاز أمثال : (Meton و Euktemon) قاما بملاحظات فلكية تمثل من الدقة ما يجعلها حاسمة في تطور الفلك الإغريقي، وذلك سنة 431 قبل الميلاد. في هذه الفترة (أواخر القرن الخامس وأول القرن الرابع قبل الميلاد) أقرّ جل المفكرين فكرة كروية الأرض، وفسروا الكسوف والخسوف، وضبطوا انتظام حركة الاجرام، الخ... لكن في هذه الفترة حدث ما هو أهم من الناحية الابستمولوجية، إذ لم يتوقف استخدام

---

(10) Waerden; **Die Anfaenge...**, pp. 249-252

الرياضيات في الملاحظات الفلكية عند وضع الجداول الحسابية، بل تعداه إلى التعبير عن المسافات بين الأجرام، وأحجامها، وزاوية الملاحظة، بالأشكال الهندسية. وقد تم هذا في إطار أسلوب تفكير اتجه نحو تعميق الاهتمام بالمشاكل الابستمولوجية المتعلقة بإمكانية المعرفة الدقيقة وأساليب الملاحظة والبناء... وفي هذا الجو المناسب وضع أفلاطون السؤال المشهور : «ما هي الحركات المنظمة والمنتظمة التي بواسطتها نعبّر عن الحركة الحقيقية الثاوية وراء الظواهر، لحركة الاجرام السماوية ؟». وفي هذه الفترة تعددت المدارس حيث شجعت الجدال والعمل المشترك من أجل بناء معرفة تقوم على الاستدلال والاختبار.

كان أودكسوس القنيدي (حوالي 408 ــ 355 قبل الميلاد تقريباً) وجهاً بارزاً في خضم التحول الذي عرفته الرياضيات وعلم الفلك (ثم انعكس هذا على العلوم التجريبية الأخرى بشكل مباشر). وعاصر مفكرين كان لهما أثر مماثل، وهما ديمقريطس وأركيطاس (كان الأول أكبر سنا من الثاني، وهذا أكبر سنا قليلاً من أودكسوس). كان أودكسوس يزور الأكاديمية ويناقش مع روادها ؛ عُرف أنه كان ينتقد بعض أوجه فلسفة أفلاطون. ربما كان ينتقد الطابع التأملي والمثالي لفلسفة أفلاطون لِما عُرف عن أودكسوس أنه كان يفضل الفحص والنقد والاستدلال والنشاط العملي. ثم إن أفلاطون عاب على أودكسوس وأركيطاس وآخرين كونهم يستعينون بالعمل والأدوات من أجل حل بعض المسائل الرياضية (مثل تضعيف المكعب). كما عرف عن أودكسوس انتقاده الشديد للتنجيم واعتباره إياه خارج المعرفة. حوالي 360 قبل الميلاد كتب مؤلفه «الظواهر»، لكن الكتاب ضاع ولم يبق منه إلا ما ورد في شعر أراطوس. بنى أودكسوس نموذجاً هندسياً للتعبير عن حركة الأجرام السماوية سُمي نموذج المدارات (أو الأفلاك) المتراكزة، حيث الأرض في مركز النظام الشمسي تدور حولها الأجرام الأخرى. وقد أخذ أرسطو بهذا النموذج وطوره قليلا.

عاصر عالِم الفلك هيراكليدس القنطري أودكسوس وأرسطو ؛ ولكنه كان يأخذ بأسلوب التفكير الفيثاغوري المتطور مع تتابع الأجيال. بنى هيراكليدس نموذجا مختلفا عن السابق من أجل حل مسألة القرب والبعد وتغيّر الاشعاع بالنسبة لبعض الكواكب. حيث عطارد مثلا يبدو أحيانا قريباً ومشعا أكثر، وأحيانا أخرى

يبدو بعيدا وأقل إشعاعاً : معنى ذلك أن المسافة بينه وبين الأرض ليست ثابتة. في هذا النموذج يدور عطارد (Venus) والمريخ (Mercure) حول الشمس، وتدور الشمس، ومعها حولها عطارد والمريخ، حول الأرض كما تفعل الكواكب الأخرى ؛ بينما تدور الأرض حول نفسها في كل يوم مرة واحدة. ربما وُجد هذا التصور قبله، لدى فيلولاوس وَ / أَوْ هيكيتاس وَ / أَوْ إكفانتوس. كيفما كان الأمر، فكل هؤلاء ينتمون إلى التقليد الفيثاغوري.

ومن أبرز الفاعلين في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الثالث قبل الميلاد في تقدم علم الفلك تلاميذ أودكسوس (هيليكون، بوليمارخوس، وكاليبوس)، ثم فيدياس (والد أرخميدس)، ثم أرسطرخس (كوبرنيك القديم). وقد أصبح علم الفلك يستثمر الملاحظة الدقيقة ويختبر النماذج النظرية ويتبنى الصوغ الرياضي ويسلك الاستدلال الواضح بصورة بارزة. وقد لعبت مدرسة كزيكوس التي أسسها أودكسوس دوراً رائداً حيث تبلور أسلوب تفكير يتوخى العمل المنهجي الصارم، ويعمق تقليداً للبحث العلمي. من ذلك الأسلوب، هذا نص لأرسطرخس الساموسي (حوالي 310 — 230 ق.م) يبين الدور البنّاء للرياضيات في علم الفلك، من كتاب **«في أحجام ومسافات الشمس والقمر»** :

«القضية الثامنة :

عندما تنكسف الشمس كلية، فإن الشمس والقمر يحتويهما نفس المخروط الذي قمّته عند عيننا.

حيث انه، إذا انكسفت الشمس فإنها تُحجَب عنا لأن القمر مَرّ قُبالتها. يجب أن تقع الشمس في المخروط الذي يغطي القمر والذي قمّته عند عيننا.

وإذا وقعت فيه، فإما أنها تقع فيه بالضبط، أو تخرج عنه من جانب، أو تحتل حيزاً أضيق من المخروط (Cône).

إذا خرجت الشمس عن المخروط، لن يكون الكسوف كليا، إذ يكون الجانب الخارج عن المخروط ملحوظاً.

إذا احتلت الشمس حيزاً أضيق من المخروط فإنها تظل محجوبة عن البصر خلال الزمن الذي يستغرقه مرور الشمس عبر الحيز الذي يفصل بين حجم الشمس وجانب المخروط.

لكن الشمس تنحجب كلية ولا يستغرق الكسوف زمنا ما، وهذا واضح من خلال الملاحظة.

إذن، لا تخرج الشمس عن المخروط ولا هو عنها.

لهذا، فإنها تقع بالضبط في المخروط الذي يحتويها ويحتوي القمر، وقمته عند عيننا»[11].

التحول الذي حصل في البناء المعرفي الفلكي (بُعيد تحول عاشته الرياضيات استدلالاً وأسساً وبناءً) كان لابد أن يؤثر على الميادين الأخرى. فعلاً بُعيد ذلك عاشت العلوم الفزيائية (الستاتيكا، الهدروستاتيكا، البصريات...) تحولاً مماثلاً منذ أواسط القرن الرابع قبل الميلاد. من بين من نشط في هذا التحول نجد ديمقريطس (قبيل الفترة تلك) وأركيطاس وأودكسوس وسطراطون (معلم أرسطرخس) وأرخميدس وكتيسيبوس وإراطوستينيس وغيرهم. هؤلاء ينتمون إلى مدارس مختلفة، لكن يجمع بينهم التوجه المعرفي الذي يستند إلى الاستدلال والاختبار بدلاً من الركون إلى الأخذ بالآراء السائدة. بلور هؤلاء أسلوب تفكير حول كيفية دراسة ظواهر الطبيعة، ووضعوا فرضيات من أجل الفحص والمعالجة الدقيقة وليس من أجل الجزم السهل، متبنين الوزن والقياس والصوغ الرياضي الفعال.

في أواسط القرن الرابع قبل الميلاد ساد الاهتمام في كل من الأكاديمية والليسيوم وكزيكوس (وربما في مدارس أخرى) بسُبل الاستدلال والبناء والمعرفة الصائبة. فكانت تُناقش خصائص ومميزات التعريفات والبديهيات والمسلمات والقضايا والمبرهنات في أفق البناء. نرجح أن مدرسة كزيكوس (أودكسوس ثم تلاميذه مباشرين وغير مباشرين) لعبت دوراً أهم من دور الأكاديمية والليسيوم في تقدم الاستدلال الفعلي في الرياضيات والفلك والعلوم الفزيائية. إذ كان أفلاطون يستعمل الرياضيات كطريق للجدل التأملي ؛ وكان أرسطو يباشر «التجريب» وينسق نظرية الاستدلال ولكن بدون توظيف الرياضيات بفعالية. أما أودكسوس وتلاميذه، فكانوا يتبنون الرياضيات كأسلوب للبناء وأداة للعمل. وربما جاز القول بأن مدرسة كزيكوس طورت أسلوب تفكير أكثر منهجية ووعيا بأسباب العلم مما

---

(11) Heath, T.; Aristarchus of samos. The Ancient Copernicus, 1981, p. 383

نجده في الأكاديمية والليسيوم. أسلوب التفكير ذاك هو المؤهل لأن يتفتح على التحليل النقدي (الاختبار وإعادة البناء والاستدلال إلخ) والنشاط التقني (الري، المعمار، النحت، إلخ) في أفق المعالجة التحليلية والمراجعة البناءة للمعرفة.

لم يتوقف استخدام الرياضيات في هذه الفترة عند الحساب والقياس (Mesure) والنِّسب، بل أصبح الصوغ الرياضي يوجِّه مجريات الملاحظة والتجريب ويكوّن عنصراً مُهماً في إدراك تطور الظواهر. فالصوغ الرياضي يتكفل، بفضل إدراك النِّسب وإتجاه القِيم في الوزن والسُّرعة...، بإسناد قِيم صائبة إلى ما تؤول إليه التجربة قبل إجرائها. الأمر يتعلق ببناء نموذج نظري — رياضي تُحمل إليه قِيم التجارب المُنجزة عملياً، وبانجاز العمليات الرياضية نصل إلى النتائج التي تؤدي إليها التجارب (حتى إذا لم تُجر التجارب في حينها). إذ الرياضيات تمكن من استنتاج «المجهول» من «المعلوم»، ومن هنا قيادتها للعمل العلمي بتسخير الثوابت والمتغيرات.

وهذا مثال يبين طريقة من الطرق التي ينوب بها النموذج الهندسي عن التجربة الفعلية، وكيف تمكّن الأداة الرياضية من «الولوج إلى مركز الأرض» لقياس شعاعها و«السفر حول الأرض» لقياس محيطها كما لو تمت التجربة فعلاً. هذا الانجاز يُسند إلى الرياضي والفلكي والجغرافي إراطوستينيس الكيريني (حوالي 280 — 195 ق.م) معاصر أرخميدس السيراكوسي وصديقه. تربى في كيرين، قورينا (Cyrena)، مدينة على شاطىء ليبيا، درس في أثينا، وعمل محافظاً لخزانة الاسكندرية وقد تمكن من حساب محيط الكرة الأرضية (وقطرها وشعاعها)، فوصل إلى قيمة تقريبية، لأنه في ذلك الوقت لم تكن تُتداول قياسات دقيقة (متر، كلم، إلخ) ؛ أما من حيث البناء المنهجي فإن عمله لا يختلف عن أساليب العمل الحديثة. (توجد صيغ مختلفة لإعادة بناء إنجاز إراطوستينيس)[12].

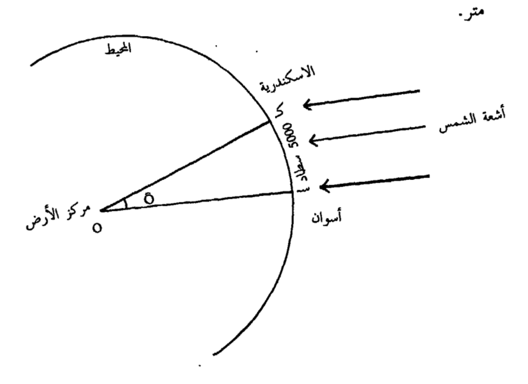
كان إراطوستينيس يعلم أن آباراً في أسوان (مدينة) تصل أشعة الشمس مستقيمة إلى عمقها، وذلك في منتصف النهار في أطول نهار في السنة (22 يونيو) ؛

---

(12) Heath, T.; **A History of Greek Mathematics**, Vol. II, 1981, pp. 106-7; G. Pólya, **Mathematical Methods in Science**, 1977, pp. 12-14; V. Milnitchouk & M. Arabadji, **Géologie Générale, Moscou**, 1983, pp. 234-5.

بحيث إذا أوقفنا عوداً على سطح الأرض فإنه لا يخلّف ظلا، إذ تكون زاوية الظل بالنسبة للعود صفراً. أما في مدينة الاسكندرية فإن عوداً واقفاً يخلّف ظلا، يمكن حساب زاويته.

يمر نهر النيل الذي يجري من الجنوب إلى الشمال على مدينتي أسوان والاسكندرية. فاعتبر الدارس أن المدينتين تقعان على نفس خط الطول تقريباً. والمسافة بين أسوان والاسكندرية هي 5000 سطاد. سطاد واحد = حوالي 258 متر.



البلورة المفاهيمية

المسافة بين أسوان والاسكندرية س ك = 5000 سطاد.

يجب حساب الزاوية س Ô ك.

بما أن أشعة الشمس **متوازية** تقريباً، فإن الزاوية س Ô ك تساوي الزاوية Â والزاوية B̂ حسب مبرهنات أقليدس I، 27، 28، 29 من كتاب **الأصول**.

بما أن الزاوية B̂ يمكن قياسها أو حسابها، وهي ′7°12 فإن Â كذلك هي 7°12 وكذلك س Ô ك الواقعة في مركز الأرض (= ′7°12).

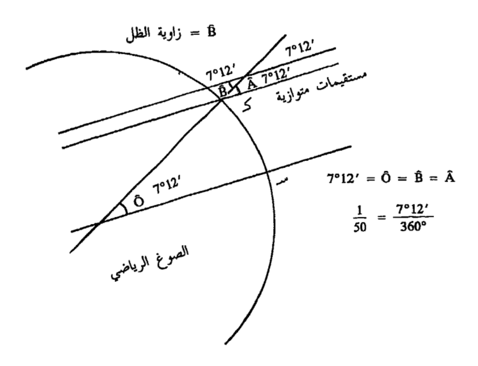
نسبة الزاوية سـ Ô كـ على نسبة المركز 360 هي :

$$\frac{\text{سـ } \hat{O} \text{ كـ}}{360°} = \frac{7°12'}{360°} = \frac{1}{50}$$

إذن المسافة سـ كـ تمثل $\frac{1}{50}$ بالنسبة لمحيط الأرض.

سـ كـ = 5000 سطاد ؛ فالمحيط يساوي 5000 × 50 = 250.000 سطاد.

أي 250.000 × 150 م = 39500 كلم (40008,548 كلم بالتقدير الحالي). والشعاع هو 6290 كلم تقريباً (6371,11 كلم حاليا).



الصوغ الرياضي

القرن الثالث قبل الميلاد (وهو عصر أقليدس وأرسطرخس وأرخميدس وإراطوستينيس وغيرهم) شكل لحظة التتويج المثمر في بناء صرح المعارف العلمية في الفلك والميكانيكا والبصريات (بعد الرياضيات) كنتيجة للتحول الكثيف والجذري الذي استغرق أكثر من قرن ونصف. لكن، مع نهاية القرن تغيرت وتيرة التحول ثانية حيث أصبح بطيئا بفعل التوتر الاجتماعي والسياسي (الحروب الرومانية) ؛ ثم أتت فترة ركود.

ويغلب الظن أن أيا من المجتمعات الأخرى لم تعرف هذا التحوّل الجذري المثمر. إذ عاشت في هذه الفترة تحولات بطيئة أو ركوداً نسبياً.

لنسجل بعض الملاحظات بخصوص ذلك التحول الجذري :

1 ــ النشاط المعرفي لا يقوم به أفراد منعزلون، بل يتم من خلال التواصل والحوار ــ وربما التنافس ــ بين مجموعة من العاملين في نفس الميدان أو ميادين متقاربة. في خضم التحول، نشأ الباحثون في تقاليد فكرية مختلفة أو إطلعوا عليها (فيثاغورية، ذرية...) لكن تشكَّلَ، عبر الحوار، «أسلوب تفكير» يتقاسمونه قليلا أو كثيراً، يوجه الأذهان نحو موضوعات محددة، لبلورة فرضيات وفحصها تجريبا واستدلالاً.

2 ــ لا يساهم الباحثون بنفس القدر في نفس الميدان. إذ بينما يغلب الميل إلى الالتصاق بالتجربة على البعض، يغلب التنظير على آخرين، ويجمع آخرون بين الاثنين. مثلاً، لدى أفلاطون «تغلب الفلسفة على العلم»، لدى أودكسوس «يغلب العلم على الفلسفة»، ولدى أرسطو «يغلب الاستدلال الصوري والملاحظة على الصوغ الرياضي»، إلخ. ولهذا يمكن القول أن «أسلوب التفكير» الذي تطور في مدرسة كزيكوس تميز عن التوجهات الفكرية التي سادت في الأكاديمية والليسيوم، وأن الفكر العلمي مدين لأودكسوس أكثر مما هو مدين لأفلاطون وأرسطو. بل ونجد أنه في مدرسة كزيكوس تبلور ما يسمى اليوم «تقليداً للبحث» العلمي واضح المعالم.

3 ــ لم يكن نسقا أفلاطون وأرسطو الفلسفيان يشكلان، في كل تفاصيلهما، القاسم المشترك ولا حتى السمة المهيمنة على الفلسفة الإغريقية. بل كانت هناك بناءات فكرية **متعددة**. كان رواد وتلاميذ الأكاديمية والليسيوم ينتقدون كثيراً من أوجه فلسفتي المعلمين. فالتعدد والجدل كانا المحرك الأساسي لخصوبة الأفكار وتطور المعرفة الاستدلالية أكثر.

4 ــ التحول الفكري كان **شاملاً** : فلسفيا ــ عقديا ــ علميا ــ فنيا... التحولات دائماً شاملة، لكنها لا تكون بنفس السرعة والأثر في كل المجالات. ولهذا فإن الرأي القائل بأن «الفلسفة أم العلوم» والرأي القائل بأن «الفلسفة تظهر

في المساء بعد أن يكون العلم قد ظهر في الصباح» هذان الرأيان متعارضان بوضوح، يحتويان معاً على ثغرة ابستمولوجية، لكون الرأيين معاً يُقران التأثير في اتجاه واحد. إذ أن كل الأنشطة ــ الآداب والفنون والعلوم والفلسفة والاعتقادات... ــ تتداخل وتخترق بعضها بعضا، بدرجات يصعب بيان حدودها.

5 ــ على إثر التحول الشامل، يُعاد تركيب عناصر الفكر السابق في نظام جديد، ويُعاد النظر في «الحقائق» و«المستحيل» بروح مخالفة. (ربما أصبحت «الحقائق» آراءً مسبقة وأصبح «المستحيل» أفكاراً تثبتها التجربة). بل تُعاد قراءة تاريخ الفكر البشري كله، حيث تظهر ميادين معرفية جديدة وأدوات غير معهودة، إلخ. التركيب النظري الذي يتشكل على إثر التحول لا يستوعب كل مضامين التقليد الفكري الذي ينحدر منه ويتجاوزه. وبالمقابل، فإنه لا يوجد تركيب جديد متحرر كلية من كل عناصر أسلوب التفكير الذي يرجع إليه الفضل في بلورته. ولهذا لا يمكن تعيين بداية التحولات ولا نهايتها بكيفية مضبوطة. لأن لكل مفهوم ماضي في الفكر الذي مرّ منه قبل أن «يحطّ الرِّحال» في هذا النسق أو ذاك، لكي «ينتقل» فيما بعد.

إذن، توجد محطات عبور بالنسبة للمعرفة، كما بالنسبة لأي جانب من جوانب الحياة الإنسانية، ولا يمكن الحديث عن المحطة ــ المنطلق الأول. فلا يمكن الحسم التام في مسألة بداية العِلم[13]. بل يمكن الحديث فقط عن تحولات تختلف من حيث السرعة والمدى. لهذا لا يمكن اعتبار بارمنيدس أوطاليس أو أنكسمندر أول من بنى نظرية علمية ؛ فقد تكوّنت نواة معرفية صلبة (علمية أو قبل ــ علمية، لا يمكن الفصل !) قبلهم، وتطورت معهم وبعدهم.

---

(13) يقترب تصورنا هذا من فكرة آبل ري Abel Rey حيث كتب : «لا توجد في التاريخ بدايات مطلقة... توجد متواليات، تتابعات،... هناك جذور وبدايات نسبية».

La Jeunesse de la Science Grecque, 1933, p. 480.

وقد استفدنا من حيث بلورة تصورنا من كتابات L. Fleck، I.B. Cohen، L. Laudan، وآخرين.

التّصويت وزمنا التنفس

محمد حساوي

كلية الآداب ــ الرباط

تقديم :

إن المتأمل في هذا العنوان يدرك بدءاً العلاقة الظاهرة بين شقيه، وبتعبير أوضح يدرك العلاقة بين وظيفتين : وظيفة التنفس ووظيفة التصويت. لكن إذا وُجد لوظيفة التنفس جهاز خاصّ يعمل بانتظام وبدون توقف لأن عمله مرتبط بوجود وحياة الكائن، فإن وظيفة التصويت، على العكس من ذلك، ليس لها جهاز خاصّ. إن إطلاق «الجهاز المصوت» ليس إلا إطلاقا مجازيّا. وهنا يدرك المتأمل أن العلاقة الظاهرة أعقد مما يتصور ذلك أن وظيفة التصويت ملتصقة وملحقة بالوظيفة التنفسية (لأنه بدون التنفس يستحيل حصول الصوت أو حدوث التصويت) وبالتالي بالجهاز التنفسي، كما تلتحق أو تلتصق بجهاز آخر هو الجهاز الهضمي، وإن بشكل ثانوي، ونعني بالجهاز الهضمي بعض عناصره مثل الأسنان واللسان وغيرهما... وتزداد تلك العلاقة تعقيدا عندما يدرك المتأمل أن التنفس يتكون من عمليتين، أولاهما دخول النفس وثانيهما خروجه. هاتان العمليتان تشكلان **زمنين مختلفين** : زمن إدخال النفس وزمن إخراجه.

هناك إذن زمنان تنفسيّان، فبأي منهما يرتبط التصويت ؟ وهل ارتباطه بأحدهما معناه الحلول محل هذا الأخير وإن إلى حين ؟. وبتعبير آخر كيف تنتظم العلاقة بين التصويت والتنفس ؟

إن إدراك العلاقة بين التنفس والتصويت ليس وليد اليوم وإن كان التقدم العلمي والتكنولوجي قد سمح بضبط أكبر وأدق لهذه العلاقة في كل أبعادها وحدودها.

إن التصويت الإنساني قد كان دائما ومايزال أكبر لغز. فقد افتتن الناس دوما

بالتصويت سواء في مجال الخطابة والفصاحة أو في مجال الغناء والانشاد، أو في مجال التخاطب والتواصل عموما... إلخ. ويكفي أن نتأمل العناصر المكونة للتعريفات المختلفة للغة (بمعنى اللسان) لنجد العنصر الصوتي حاضراً بقوة كبيرة قد لا تترك للعناصر الأخرى (الكتابة على سبيل المثال) سوى فرصة قليلة، بل شبه شاذة. لنأخذ إحدى التعريفات العربية الشهيرة والسائدة ؛ وهو تعريف ابن جني في كتابه الخصائص[1]. يقول ابن جني : «أما حدّها فإنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم».

هذا التعريف تناقله أغلب الذين تناولوا موضوع تعريف اللغة من بعده (وحتى الآن تقريباً). وهذا الحضور يعبر عنه بأشكال مختلفة، نقصد بكلمات متميزة مثل «عبارة» أو «لفظ» أو «كلام» إلخ. والمهم في كل ذلك هو وجود مفهوم الصوت. هذا الحضور القوي، نجده أيضا في تعريفات غير العرب. فقد أحصى جورج مونان في كتابه «اللسانية والفلسفة»[2]، تحت عنوان «تعريفات حديثة للغة»، أحصى مجموعة من التعريفات منذ القرن السابع عشر وإلى القرن العشرين ؛ فأبرز حضور العنصر الصوتي فيها كلها. هذا الحضور العام للعنصر الصوتي لا يبرره سوى أن اللغة صوتية في المقام الأول[3].

إن الباحثين في موضوع الصوت والمهتمين به قد عرضوا لعناصره الثلاثة

---

(1) أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ) : **الخصائص** (ثلاثة أجزاء)، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1 (1913)، ص 33/ ج 1.

(2) Georges Mounin, *Linguistique et philosophie*, P.U.F, 1975, Collection le philosophe, Les pages 103 à 120.

(3) القول : «إن اللغة صوتية في المقام الأول» يبرره ما يلي :
أ) أول شيء نستقبله من اللغة هو الكلام أي الوجه المادي الذي يدخل في إطار الظواهر الفزيائية والفزيولوجية.
ب) اللغة في أصلها وجوهرها وحقيقتها صوتية بدليل أن معرفتها مشروطة بالكلام قبل كل شيء.
ج) الصوت هو القادر وحده على نقل الواقع اللغوي.
د) الناس صوتوا أي نطقوا أو تكلموا باللغة قبل أن يتعلموا الخط أو الرسم.
هـ) الفعل الصوتي سابق في الزمن لغيره من طرق ووسائل ترجمة الواقع اللغوي.
و) اللغة في واقعها الصوتي تظل هي هي مهما كان الرسم أو الخط الذي يعبر عنها في الواقع الفضائي (الكتابة مثلا).

الكبري (المادة / المصدر / السبب) مجتمعة أو متفرقة. فهذا ابن جني في كتابه «سر صناعة الإعراب» يقول : «اعلم أن الصوت يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا»[4]. فأيا كانت الإشارات إلى بعض أسباب[5] حدوث الصوت (والحرف)، فإن ما يتضح جليا من كلام ابن جني شيئان اثنان أساسيان :

1 ــ عدم وجود جهاز خاص بالتصويت.

2 ــ المادة الخام التي يتكون منها الصوت مأخوذة من النفس الخارج.

وهذا يعني أن وظيفة التصويت لا تملك جهازاً خاصّاً بها، إنما هي ملتصقة بجهاز التنفس ويتضح عمق إدراك ابن جني لهذه العلاقة من خلال لفظ «مع»، أي أن التصويت لا يوقف النفس وإنما يتوازى معه. فالأصل النفس (الخارج) أما التصويت فهو تدخل بعض الأعضاء من الجهاز التنفسي (والجهاز الهضمي)، تدخلها في وجه كمية من النفس وفي نقطة محددة في مسارها وتحويلها إلى صوت لغوي وهو تحويل قصدي، وهذا يعني أن التدخل يكون بأشكال مختلفة وأحجام متنوعة وحركات متميزة من أجل انتاج أصوات وحروف لكل منها سمات وصفات خاصّة.

إن وظيفة التصويت لا تلغي إذن وظيفة التنفس، ذلك أن الوظيفة الأولى طارئة على الوظيفة الثانية. وهكذا فالتصويت عملية يتطلب انجازها توفر مادة أو طاقة معينة. هذه الطاقة تسمى : النفس.

---

(4) ص 4، ج 1 (تحقيق : مصطفى السقا وآخرين، ط 1، 1954، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة)، نفس الصفحة، ج 1 (تحقيق : حسن هنداوي، ط 1، 1985، دار القلم، دمشق).

(5) لن نخوض هنا في الحديث عن عناصر الصوت الأخرى (الأسباب مثلا) ولا في الحديث عن وسائل وشروط انتقال الصوت أو وسائل وشروط استقباله (الصوت)، لأن الحديث عن كل هذا ليس هنا مجاله.

لا صوت إلا باستهلاك الطاقة (النفس) :

إن التصويت مثله مثل باقي العمليات الحيوية للجسم، فهو محتاج مثلها لمادة معينة يتكون منها نتيجة تفاعل الأجسام مع هذه المادّة أو الطاقة. فلا يمكن لأي من العمليات الحيوية للجسم أن تتم دون استهلاك لكمية معينة من الطاقة ؛ مصدر هذه الطاقة يوجد في التفاعلات الكيماوية التي تحدث دون توقف داخل نفس الخلايا الحية، وأكثر هذه التفاعلات انتاجاً للطاقة، هي تفاعلات الاحتراق، أي التفاعلات التي يتدخل فيها الأكسجين[6].

فالطاقة التي تحترق من أجل التصويت أو انتاج الأصوات البشرية تسمى النفس كما أسلفنا. هذا النفس يحصل نتيجة تعاقب عمليتين متعارضتين تشكلان ما يعرف بالتنفس. العملية الأولى وتتلخص في وصول الهواء الداخل إلى الرئتين وامتلاء الحويصلات أو الجيوب الرئوية به، وتسمى هذه العملية **الإدخال** أي إدخال الهواء أو استنشاقه وهذا المصطلح هو المقابل للمصطلح الفرنسي «Inspiration». إدخال الهواء يتم عندما «يصير الضغط داخل الرئتين أقل من الضغط الجوي : وهنا يدخل الهواء عبر الأنف، والفم، والحنجرة، والقصبة والشعيبات نحو الجيوب أو الحويصلات الرئوية، وتسمى هذه العملية بالتنفس ذي الضغط السلبي»[7]. عملية الادخال تتم إذن نتيجة صراع بين قوتين : قوة الضغط داخل الرئتين وقوة الضغط الجوي. إلا أن قوة الضغط الرئوي لن تدوم طويلا إذ ستعقبها القوة المقابلة، القوة الخارجية أو قوة الضغط الجوي. وسيترتب عن هذا عملية ثانية هي عملية الاخراج، ويقصد بها على وجه الاختصار، إخراج الهواء، وهذا المصطلح يقابل المصطلح الفرنسي «Expiration».

العملية الثانية أو عملية الإخراج تحصل إذن عندما يصبح الضغط داخل الرئتين أقوى من الضغط الجوي، فالهواء يجري إذن نحو الخارج في الاتجاه المعاكس للاتجاه الذي سلكه عند الدخول[8].

---

(6) Isaac Asimov, *Le corps (Le squelette, les muscles, les organes)* ed. Maratout - Université, Paris 1977.

(7) Guy Cornut, *La voix*, ed que sais-je, N° 627, P.U.F 1983, p. 4

(8) نفس المرجع، نفس الصفحة.

كل من عمليتي الادخال والإخراج تؤلف ما يطلق عليه التنفس. وهذا المصطلح هو المقابل للمصطلح الفرنسي «Respiration»، وهكذا نستعمل :

الادخـــال مقابلاً لـــ Inspiration

والإخـــراج مقابلاً لـــ Expiration

والتـنـفـــس مقابلاً لـــ Respiration

والمقصود إذن استعمال مصطلحي الإدخال والإخراج على سبيل الاختصار أي بدلا من تعبير «إدخال النفس» و«إخراج النفس». فنحن نستعمل هذين المصطلحين بدلاً من آخرين مفردين يكثر استعمالهما، لكن يشوبهما بعض الغموض وانعدام الدقة. هذان المصطلحان الآخران هما : الشهيق والزفير..[9] وتفضيلنا للمصطلحين الأولين، يبرره كذلك استعمالهما في النصوص التراثية المتخصصة في المجال الطبي. ففي الجزء الثالث من كتاب الحاوي الكبير لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي[10]، نجد تحت عنوان كبير : «باب في التنفس وتقدمة المعرفة منه، بما يدل عليه وفعله في الجسم...»، نجد تناولاً دقيقاً لعمليتين تنفسيتين إحداهما : «جذب الهواء إلى داخل والأخرى دفعه إلى خارج»[11].

كما نجد الرازي في حديثه عن «أصناف سوء التنفس، اما عظيم متواتر واما عظيم متفاوت واما صغير سريع متفاوت هذا في الانبساط ومثل هذا في الانقباض»[12] يقول : «إن معنى السرعة إدخال الهواء وإخراجه سريع متواتر،

(9) إننا نتحاشى كثيراً استعمال مصطلحي «الشهيق» و«الزفير» لنفرق بين نوعين من العملية التنفسية : النوع الأول، بيولوجي أو حيوي، ويعبر عنه أساسا بالمصطلحين المذكورين، والنوع الثاني، تصويتي، ويعبر عنه بمصطلحي الإدخال و«الإخراج».

(10) أبو بكر بن زكريا الرازي.(ت 313هـ) : كتاب الحاوي في الطب، الطبعة الأولى، حيدرأباد، الهند، 1955.

(11) **المرجع السابق**، ص 282.

(12) نقل الرازي (في كتاب **الحاوي الكبير**، الجزء الثالث) عن مختصر النبض على رأي ج، أن «التنفس مركب من انبساط وانقباض ووقفتين، احداهما قبل الانبساط والأخرى قبل الانقباض، والوقفة التي قبل الانبساط أطول كثيراً من التي قبل الانقباض مادام الجسم بحاله الطبيعية، وكذلك مدة الانبساط أطول وادخاله الهواء في وقت أبطأ ومدة الانقباض أقصر، واخراجه الهواء في وقت أقل، أو الوقفتان يتبعان في الطول والقصر طول وقت الانبساط والانقباض فيطولان ويقصران بطولهما وقصرهما...» [289].

سريع متفاوت، بطيء متفاوت ومثال ذلك في الانقباض وهو اخراج الهواء فذلك ستة عشر، ثمانية في الانبساط وثمانية في الانقباض، وذلك أن المفردات ستة عظيم وصغير، وسريع وبطيء، ومتفاوت ومتواتر. فالعظيم والصغير يكونان في كيفية الادخال والاخراج، والسريع في سرعة حركة الإدخال والاخراج...»[13].

وهكذا نلاحظ تقابلا بين عمليتين ومجموعتين من المفردات والمصطلحات :

جذب الهواء ≠ دفع الهواء.
إدخال الهواء ≠ إخراج الهواء.
الادخـــال ≠ الإخـــراج.

هذه المجموعة من المفردات والمصطلحات تنتهي إلى تقابل مصطلحي الادخال والاخراج، وهو التقابل الذي سيتكرر مرات (في هذا الباب على الأقل) وعلى سبيل المثال، عند حديثه عن الأمراض الحادة والتنفس وذلك بقوله : «يعرض النفس المتواتر والعظيم عند انضغاط الحجاب في الأطعمة الكثيرة المحتبسة وذلك أنه يجب ضرورة أن يقل الهواء عند الادخال من أجل ضغط المعدة للحجاب»[14].

إن حركة التنفس إذن ومرة أخرى عملية تتشكل من تعاقب حركتين ذاتبتين هما الإدخال والإخراج.

فالتنفس بشكل رئيس وظيفة حيوية تضمن وصول الهواء إلى الرئتين، كما تضمن التبدلات الغازية. فالتهوية الرئوية، وامتلاء الحويصلات الرئوية هما اللذان يثيران الحركات الصدرية والبطنية المتواقتة، لكن ذات المدد الزمنية المتفاوتة، فالإخراج أطول مدة[15] من الادخال الذي يتم عبر المسلك الأنفي[16].

---

(13) **المرجع السابق**، ص 286.

(14) **المرجع السابق**، ص 289.

(15) يقول الرازي في ص 289 من الكتاب المذكور : «إذا كان النفس إلى خارج سريعا كانت الوقفة قبله سريعة، وإذا كان بطيئا كانت طويلة. لأن التنفس إلى داخل يعني في الانبساط إنما يكون سريعا عند فضل حاجة إلى الهواء البارد. وإذا كان التنفس إلى داخل بطيئا، كان الأمر في الوقفة التي قبله على الضد : لأن الطبيعة لا يحفز بها شيء إلى سرعة اجتذاب الهواء».

(16) Claude Dinville, *Les troubles de la voix et leur réeducation*, ed Masson 1978, p. 17

إن عملية التنفس، عملية تتم في إطار وظيفة بيولوجية حيوية أساسها حفظ الكائن الحي (هنا البشري) وهي عملية تتم بواسطة جهاز خاص ومنتظم يطلق عليه الجهاز التنفسي. هذا الأخير يقدم المادة الخام كما يقدم عناصر من جهازه لتساهم في أداء وظيفة أخرى ثانوية ملحقة به هي وظيفة التصويت. وهذه الوظيفة يتطلب إنجازها استهلاك جزء من نفس الطاقة التي تستهلك لإنجاز وظيفة التنفس. هذه الطاقة تختزنها الرئتان وهي مختلفة الحجم.

حجم[17] الطاقة الرئوية :

إن حجم الطاقة الرئوية يختلف بحسب الفرد والجنس والسن والحالة الصحية والنفسية وبحسب المران والأحوال الجوية، كما يختلف باختلاف طبقات التنفس وباختلاف الوظيفة البيولوجية أو اللغوية.

هذا الحجم التنفسي لا يكاد يتجاوز لتراً واحداً عند الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 8 و10 سنوات، بينما تتراوح بين 2,3 لتر و5 لترات (وأحيانا كثيرة يتجاوز هذه النسبة) عند الراشدين. وهذا الحجم أهم عند الرجل منه عند المرأة[18].

فالحجم الأقصى للرئتين شيء دينامي، ذلك أنه يتحدد بحسب طبيعة التنفس وبحسب نمط الادخال. فبينما هو مع التنفس الهادىء يقدر معدله بـ 500 سم³، فإن هذا المعدل يصل إلى 5000 سم³ مع الادخال الاجباري، بل قد يتجاوز الحجم الرئوي هذا المعدل، كما يقول اسحاق ازيموف، ليصل إلى ستة لترات ونصف، وهذا الفارق في تقدير ازيموف يعود إلى عدّ الرئتين جسما مكوناً من

---

(17) **«معجم الفزياء أو الطبيعة»**، الصادر سنة 1971، الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، يقترح تحت رقم 218 مصطلح «سعة» مقابلا للمصطلح الأجنبي **Capacity (capacité)** ونفس المصطلح يقترحه «المعجم الموحد للمصطلحات الفيزيائية»، الصادر سنة 1989 عن نفس المؤسسة، وذلك تحت رقم 371. هذا المصطلح (سعة) يقابل «**Capacité**» بمعنى «المحتوى الكمي». بهذا المعنى نستعمل بدورنا هذا المصطلح، كما سنستعمل أيضا مصطلح «كمية» ومصطلح «حجم» بنفس المعنى.

(18) **نفس المرجع السابق** (الاحالة رقم 11) نفس الصفحة.

عدد غير محدد من الحويصلات أو الجيوب[19] الرئوية. فالرئتان ليستا كيسين كما قد يرى غيره.

إن حجم الطاقة الرئوية يخضع أيضا للوضع الذي يكون عليه الفرد المتنفس، فهو «أقل أهمية بالنسبة للوضع المنبسط، وأكثر عمقا عندما يكون الفرد واقفا. وهو أقل قليلا عندما يكون هذا الفرد جالسا»[20].

إن حجم الطاقة الرئوية يختلف بحسب نمط التنفس (إدخالاً أو إخراجاً) وبحسب طبيعة التصويت، أي بحسب نمط النشاط اللفظي المقصود (طول الجمل أو قصرها قوة أو ضعف التلفظ). لكن هذا الحجم يفوق، في كل الأحوال، محتوى «الحجم الجاري» للتنفس الهادىء أو التنفس في وضع الراحة[21]. فالأحجام النفسية المعبأة لغير النفس العادي، يتم ضبطها بواسطة العضلات المخرجة. وهو ما يعني تنوعها وتغيرها وفق درجات الضغط الرئوي، أو الضغط الحاصل تحت الزردمة (الضغط تحت زردمي). فخلال التكلم يتراوح هذا الضغط الأخير عادة بين 2 و12 سم ماء، لكن في الخطاب العلني، يمكن أن يصل إلى 20 سم ماء، فالكمية الاخراجية تتراوح بين 60 و300 مل/ث. أما أحجام الهواء المعبأة فقلما تتجاوز لتراً ونصف اللتر.

ففي التكلم بصوت عادي تقترب الأحجام من السعة الوظيفية المتبقية. أما في الحديث العفوي، ذي الشدة (القوة) الضعيفة، فإن الأحجام تكاد تكون دائما

---

(19) إن عدد الحويصلات الرئوية ليس موضوع إجماع وبالتالي غير محدد. فعددها عند فاسيلي تاتارينوف في مؤلفه «**تشريح وفزيولوجيا الإنسان**» (دار «مير» للطباعة والنشر، ط 1، 1983)، يتراوح بين 300 و400 مليون حويصلة عند الشخص البالغ، ويصل سطحها الكلي عند الادخال إلى حوالي 100م²، (ص 197 من المرجع المذكور) أما اسحاق أزيموق فيقدر عددها بـ 600 مليون، وعندما تنبسط يصل سطحها (مساحتها) إلى 60 متر²، (ص 120 من المرجع المذكور بالاحالة رقم 6).

(20) Claude Dinville, *La voix chantée*, ed Masson, Paris 1982, p. 18

(21) إن تعبير «وضع الراحة» يجب ألا يفهم منه وضع السكون أو الجمود لأن التنفس لا يتوقف (اللهم هنيهة من الزمن بسيطة جدّا)، وإنما يجب أن يفهم منه وضع ما قبل الشروع في المجهود الإضافي.

أقل من السعة الوظيفية المتبقية(22).

أما في القراءة بصوت مرتفع، فإن الفرد (القارئ) يبدأ عادة خطابه بأحجام رئوية كبيرة (60 إلى 90%) من الحجم الحيوي.

وبخصوص الإنشاد، فإن الضغط تحت ـــ زردمي، يتراوح غالبا بين 5 و20 سم ماء، لكنه في الإنشاد ذي الشدة القوية قد يصل إلى 50 أو 60 سم ماء. فهذه الضغوطات القوية يمكن الحصول عليها بسهولة كبيرة في إطار الحجم الرئوي الكبير. فالسّعة الإخراجية تتراوح بين 100 و500 مل/ث، ولكي يكون استئناف إدخال الهواء سريعا ومهما، فإن هذا الإدخال يتم عادة عبر الفم مع فتح كبير للفضاء الحلقي ـــ الحنجري بشكل يسمح بتخفيض مقاومة جريان الهواء إلى حد أقصى.

إن أحجام الهواء المستعملة تتراوح في أغلب الأحيان بين 50 و60% من السعة الحيوية، أي أنها تفوق بوضوح السّعة الوظيفية المتبقية.

وبخصوص الأحجام الرئوية المعبأة، أوردت كلود دانفيل في كتابها المذكور أرقاما، تقول إن مجموعة من الباحثين حصلوا عليها بعد العديد من اختبارات قياس سعة الطاقة الرئوية. فهذه السّعة، بعد «إدخال عميق» تختلف من فرد لآخر. فهي تتراوح بين 3,5 ليتر و5,30 ليتر عند الرجال (كاروزو كان يدخل 4,5 ليتر). أما عند النساء فتتراوح هذه السّعة بين 1,8 ليتر و3,7 ليتر.

أما في حال الغناء (التصويت الغنائي) فإن السّعة تتراوح عادة بين 1,1 ليتر و1,5 ليتر حسب طول الجمل. كما أن هذه السعة تتغير حسب نمط التنفس، ففي التنفس الضلعي الأعلى تكون السّعة قليلة (ضعيفة) لأن هذا الموضع، هو الأكثر ضيقاً في القفص الصدري، يسمح بتطور قليل، ويحدث انقباضات مفاجئة في منطقة العنق والعضلات الحنجرية. يضاف إلى ذلك أن الصعود الحاجبي محدود والسبب في ذلك غياب الحركات الجوفية، وعلى العكس فإن التنفس الضلعي ـــ الجوفي يسهل الاتساع في الاتجاه الأمامي ـــ الخلفي، وإذن يزيد في السعة التنفسية

---

(22) Guy Cornut, *La voix* ... p. 11

دون مجهود، مع إمكان صعود الحجاب الحاجز[23].

إن فعالية التنفس لا تتوقف على السعة وحدها، بل تعتمد أساساً على ضبط النفس وعلى طريقة تنظيمه واقتصاده واستعماله بطريقة واعية. وضبط النفس معناه هنا معرفة حجم هذه الطاقة النفسية وحدود استعمالها.

فإذا كان حجم الطاقة الرئوية يصل إلى 5000 سم³ أو يتجاوزها، فإن توزع هذه الكمية يتم حسب مؤلف «التعبير الشفوي»، كما يلي :

أ ــ الهواء المتبقي (L'air résiduel) : 1500 سم³

ب ــ الهواء الجاري (L'air courant) : 500 سم³

ج ــ الهواء التكميلي (L'air complémentaire) : 1500 سم³ إلى 2000 سم³

د ــ الهواء الاحتياطي (L'air de réserve) : 1500 سم³[24]

فهذه الكميات المعبأة يتحكم فيها، كما سلف الذكر، عمل العضلات التنفسية. فعند التنفس في حالة الراحة، وهو التنفس الذي نستعمله في الحياة العادية خارج أي مجهود خاص. فكمية الهواء المعبأة تقع بين 400 و500 مل وتحمل اسم «الحجم العادي» فكل من الادخال والاخراج قد يصيران بحسب الحاجة والضرورة إجباريين، وهذه الإجبارية تأتي من تمديد أقصى للعمليتين العاديتين.

1) **الإدخال الاجباري** : إذا مددنا ــ بعد إدخال عادي، مددنا الحركة الادخالية إلى أقصاها، فإننا نحقق إدخالا إجباريا. فحجم الهواء الذي ندخل بهذه الطريقة إلى الرئتين يحمل اسم «حجم الاحتياط الادخالي» ويطابق تقريبا 3000 مل. هذه الحركة تتم بفعل انقباض الحجاب الحاجز والعضلات البين ــ ضلعية والعضلات الإدخالية الثانوية وأيضا بفعل العضلات الموسعة للعمود الفقري، فالعمل الأساسي خلال الإدخال يعود للحجاب الحاجز الذي يهبط لمعدل 1 سنتم ونصف[25].

2) **الاخراج الاجباري** : بعد إخراج هادىء يتطابق الهواء المتبقي في الرئتين

(23) Guy Cornut, *La voix* ... p. 12

(24) Lionel Bellenger, *L'Expression orale, que sais-je*, N° 1785, p. 45

(25) Guy Cornut, *La voix* ... p. 6

مع «السعة الوظيفية المتبقية» أي مع 30 إلى 40% من «السعة الحيوية»، وفي هذه الحال يكون الضغط الرئوي لاغياً لأن القوة التمددية للقفص الصدري وللنسيج الرئوي تتعادلان، «فإذا تم انطلاقا من «السعة الوظيفية المتبقية» أي من مضمون الرئتين في الهواء عند نهاية التنفس العادي، إذا تم انطلاقاً من هذا تمديد الاخراج ما أمكن فإنه ينتج عن هذا ما يسمى بالاخراج الاجباري. والهواء الذي يخرج من الرئتين بهذه الطريقة يطلق عليه «حجم الاحتياط الاخراجي» وهو حجم يقرب من 1200 مل. هذا الاخراج الاجباري يتم بفعل انقباض العضلات الاخراجية وخاصة العضلات البطنية»[26].

إن المجهود الإضافي ــ بغض النظر عن درجته وقوته ــ للعضلات الإدخالية والإخراجية يوضح أن الوظيفة التصويتية ــ الملحقة بالوظيفة التنفسية ــ تتطلب، من حيث مادة الانجاز، كمية خاصة بها وهو ما يعني ضرورة توزع مضمون الرئتين بشكل يضمن استمرار الوظيفة البيولوجية ويسمح بانجاز الوظيفة الصوتية، ونقول يسمح لأن ترتيب الوظيفتين ممكن ولكن في حدود مضبوطة، أي حدود الإرادي بالنسبة لحدود البيولوجي، وإذن سنكون في هذه الحال مع نوعين من النفس.

النفسان البيولوجي والصَّوْتي بين التداخل والترتيب :

1 ــ إن الوظيفة الأولى للجهاز التنفسي هي ضمان تنقية الدم، أي تحويل الدم الوريدي إلى دم شرياني. فالتعاقب الدائم للحركة الإدخالية، التي خلالها يدخل الهواء إلى الرئتين، وللحركة الإخراجية التي خلالها يتسرب الهواء من الرئتين في اتجاه الخارج، هذا التعاقب ينتج تجدداً دائما للهواء الموجود في الحويصلات الرئوية وهو ما يسمح بِأُكْسَنَةِ الدم وبطرح الغاز الكربوني الضروري لتنفس خلايا الجسم[27].

والفضاء الذي يتم فيه هذا التنفس بكل مكوناته وتعقيداته يختلف من حيث

---

(26) المرجع السابق، ص 6.
(27) المرجع السابق، ص 6.

الحجم ومن حيث الشكل. وهذا الاختلاف في حدّ ذاته يؤثر على نوع التنفس وبالتالي على نوع ما يصدر من أصوات بفعله.

فالناظر في القناة التنفسية، يلاحظ أن هذه الأخيرة تبدأ واسعة عند قاعدة الرئتين ثم تضيق أولا عند الصدر الأسفل، وثانية عند الصدر الأعلى، فهناك إذن ثلاث طبقات تنفسية، الأولى جوفية أو بطنية، الثانية صدرية والثالثة رأسية. وهذه الطبقات لها تأثيراتها على الصوت، وهي تأثيرات تنعكس خاصّة على مستوى الجرس الصوتي، كما تنعكس عامّة فيما يسميه علماء الأكوستيك «بالسجلات»، فكلما انتقلنا من الرئتين في اتجاه الشفتين، مروراً بالصدر، كلما صغرت التجويفات (ومعها صغرت كمية الهواء المخرج) وكثر الضغط والعكس، ولا يعني هذا مرة أخرى أن الضغط مرهون، ضعفاً وقوةً، بحجم التجويفات فقط.

إن الحديث عن الطبقات التنفسية، معناه الحديث عن أنماط تنفسية. عدد هذه الأخيرة يساوي عدد الطبقات، وكل طبقة تشكل نمطاً تنفسيا خاصّا. فعادة يتم التمييز بين ثلاثة أنماط : التنفس الصدري الأعلى، التنفس الصدري الأسفل، التنفس الجوفي (البطني). وبالفعل فإن التنفس يحصل وفق ثلاث حركات كل منها تتم في طبقة من الطبقات المذكورة.

الحركة الأولى تتم في الأسفل وذلك بتقدم وتراجع الجدار الجوفي أو البطني.

الحركة الثانية تقع فوقها وتتعلق بتوسيع وتضييق قاعدة الصدر.

الحركة الثالثة وتتم فوق هذه الأخيرة وتتم برفع وخفض الصدر.

وهذه الحركات الثلاثة تتطابق تقريباً مع ثلاثة أنظمة عضلية[28] والفرد المتمرن يمكنه أن يتنفس وفق كل واحدٍ من هذه الأنماط الثلاثة.. كما يمكنه أن يجمع بينها جميعاً في حركة واحدة شاملة.

«وبالفعل فإن الحركة التنفسية تجري بشكل متنوع حسب مزاج الفرد وحسب

---

(28) تتوزع هذه الأنظمة العضلية حسب ثلاثة أنواع من العضلات :

1 ــ عضلات رافعة للصدر (العضلات الأخمعية).

2 ــ عضلات موسعة للصدر (العضلات البين ــ ضلعية).

3 ــ عضلات مكورة للتجويف البطني (الحجاب الحاجز).

استعداداته في اللحظة التي يتنفس فيها، فإذا كان البال منشغلا بأحلام غامضة وهادئة، يكون التنفس من النوع الصدري البطني، وإذا كان منشغلا بأفكار مثيرة فإن التنفس يتطور نحو النمط الصدري الأعلى. فالانفعال يُرفع معه (التجويف) الصدري، والمفاجأة تترجم بادخال نشيط للنفس مع رفع (التجويف) الصدري، وفي حال الارتباك يظل الصدر مرتفعاً...»[29].

إن النفس البيولوجي يطرأ عليه تعديل من حيث الكم ومن حيث الأعضاء الفاعلة، هذا التغير يبدأ قبيل الكلام. «فأغلب الناس يدخلون النفس قبل أن يشرعوا في التكلم، وهذا الإدخال يتم بانقباض الحجاب الحاجز وهبوطه ثم بدفعه الأضلاع السفلى نحو الخارج. وفي نفس الآن فإن العضلات البين ــ ضلعية الخارجية وجزء من الواقيّة القصية للبين ــ ضلعية الداخلية، يرفعان الأضلاع... فعندما يكون الإدخال عميقاً فإن العضلات البين ــ ضلعية الخارجية قد تصحبها دون شك عضلات أخرى من عضلات الجذع. لكننا لم نعرف بعد على وجه التدقيق ماهية هذه العضلات الإدخالية الثانوية (لأنه حتى بعد إخراج عميق، فإنه يبقى دائما كمية ما منَ الهواء داخل الرئتين). وكيفما كان الحال فإن الغشاء الجداري يتبع الحركة الرابطة للحجاب الحاجز، كما يتبع حركة التوسيع التي يقوم بها القفص الصدري، مادامت تتصل بهذا الجزء أو ذاك من أجزاء الجسم. ومن نتيجة هذا الزيادة في الفضاء البين ــ غشائي. لكن بما أن هذا الفضاء محكم الغلق، فإن الضغط يصبح سلبيا. أما الهواء الذي يوجد في الرئتين فإنه ما يفتأ يتمدد من أجل تحييد هذا الضغط السلبي. فالرئتان عندما يكبر حجمهما، فإنهما تخلقان ضغطاً سلبيّاً في الحويصلات، فيدخل الهواء الخارجي عبر الأنف (أو الفم) إلى المسالك التنفسية السفلى من أجل تحييد هذا الانخفاض (في الضغط)»[30].

إن الهواء المُدخل (المستنشق) لكي يصير كلاما، يجب أن يدفع من جديد نحو الخارج. وهذا الدفع يتم بقوة معينة. وبتعبير آخر فإن المتكلم يجب أن يكون

---

(29) François Le Huche et André Allali, *(La voix Anatomie et physiologie des organes de la voix)*, ed. Masson, Pris 1984, p. 75.

(30) Y. Lebrun, *Anatomie et physiologie de l'appareil phonotoire*, ed. Labor / Fernand Nathan, Collection : Langues et culture, 1968, p. 10.

قادراً أن ينتج، خلال بعض الثواني، ضغطا شبه ثابت داخل الرئتين والقصبة الهوائية. فكلما أردنا التكلم بصوت مرتفع (بقوة) كان لابد من رفع الضغط الهوائي(31).

إن النسيج الرئوي، نسيج تمددي ومن ثم فهو دائما في حالة توتر ويميل باستمرار نحو الانقباض... فتمدد القفص الصدري وانخفاض الحجاب الحاجز المترتب عنه، يرغمان الرئتين على الاتساع. هذا النسيج الرئوي كما يقول «هـ. روفيَر في مختصره، كثير الصلابة وكثير التمدد في نفس الآن»(32).

فهذه القدرة على التصلب والتمدد هي التي تساعده على المساهمة في خلق الضغط أو إزالته كما تساعده على ضبط عمليتي التنفس عموما.

«فالرئتان ـــ وهما العضوان التمدديان ـــ تكونان عند نهاية عملية الادخال قد انتفختا هواءاً. وبما أنهما تميلان طبيعيّاً إلى الانقباض (الانكماش والتقلص) فإنهما تجذبان الغشاء الجداري، ويترتب عن هذا أن الحجاب الحاجز يُجذب نحو الأعلى بواسطة الرئتين وذلك منذ أن يبدأ في الانبساط، بينما يدفعه من الأسفل الضغط البطني الداخلي. هذا الضغط قد تضاعف بفعل هبوطه أثناء الإدخال».

1) النفس الصدري الأعلى :

إن هذا النفس ناتج عن الانخفاض الضلعي في شكل «قبة مضخة» وذلك بفعل العضلات البين ـــ ضلعية الداخلية، وهو انخفاض يترجم بتقعر للقفص الصدري (انزياح سلبي للقفص). هذه الحركة ينتج عنها انضغاط الجزء الأعلى للرئتين، فحدوث نفس صدري أعلى يفترض حركة صدرية تنفسية عليا. «ذلك أن التنفس الصدري الأعلى يتطابق مع الكلام أو مع الصوت غير الموجه (التعبير البسيط). واستعمال النفس الصدري الأعلى يؤدي إلى عمل خاصّ للحنجرة، التي يجب أن تلعب في هذه الحالة دوراً مزدوجاً، دور الغالق ودور «الهازّ» مع قطع الصّوت في شكل «وقفة حنجرية».

---

(31) المرجع السابق، ص 11.

(32) H. Rouvière, *Précis d'anatomie et de dissection*, ed. Masson, 1976

إن استعمال النفس الصدري الأعلى خلال مدّ الصوت يعد العنصر الرئيس لسلوك الصّوت الإجباري، وهذا لا يمنع أن يكون هذا النفس ـــ خارج هذا الاستعمال ـــ عاديا جدّا وذلك خلافاً لبعض الأقوال التبسيطية»[33].

وبخصوص هذا النفس أيضاً قيل الكثير عن مساهمة الحجاب الحاجز في مراقبة **الضغط النطقي**، لكن جميع التجارب «الالكتروميوغرافية» التي تم اعتمادها من أجل التحقق من هذا الزعم، أعطت نتائج سلبية : فعند أغلب المتكلمين الذين تم فحصهم، فإن الحجاب الحاجز ينبسط [أي لا ينقبض] في بداية الفعل الكلامي وبالنتيجة فهو لا يساهم البتة في مراقبة الضغط النطقي[34].

إن التنفس إذن فعل طوعي وغير طوعي في نفس الآن. فالإرادة تمارس على التنفس بشكل يجعل من الممكن تسريعه أو حصره أو حتى إيقافه بضع دقائق في حالة الحاجة (السباحة تحت الماء، اختراق غطاء غازي سامّ على سبيل المثال). فليس الضغط النطقي سوى نتيجة لتظافر عدة عوامل تتحكم مباشرة أو بشكل غير مباشر، في عملية التنفس عموما والتنفس الصوتي خصوصاً، لكن هذا الموضوع ليس مجال اتفاق بين الباحثين في التشريح وفزيولوجيا التصويت ؛ فقد ذكر في كثير من المؤلفات الصوتية أن **العضلات البطنية تساهم في انتاج الضغط النطقي**. إلا أن هذه الأطروحة تم دحضها بواسطة النتائج التي توصل إليها مجموعة من الباحثين على رأسهم **فوناكي وليدفوكد ودرابر وويتردج ومولر ولوبران**. هذه النتائج تم التوصل إليها بالاعتماد على تقنية «التصوير الكهربائي للعضلات» (الاليكتروميوكرافيا) : فعندما تتكلم بشكل عادي فإن العضلات البطنية لا تنقبض أي أنها لا تتحرك إلا عندما نتكلم بصوت مرتفع أو لما لم نعد نتوفر ـــ على مستوى الاحتياط النَّفسي ـــ إلا على كمية قليلة من الهواء داخل الرئتين[35].

أما ستسون فقد وصف في كتابه الأصواتية الآلية (الطبعة الثانية)، وصف فزيولوجيا عضلات الجدع في عملية الكلام، فلاحظ أثناء الكلام أن عضلات

---

(33) Le Huche, *La voix (anatomie ...)* p. 78

(34) Y. Lebrun *(anatomie ...)* p. 13

(35) **المرجع السابق**، نفس الصفحة.

الجدع الكبيرة تنقبض بين وقفتين[36] أو إدخالين، وهذا الانقباض، الذي يتم ببطء، يقلص التجويف القفصي فيصعد تيار الهواء من الرئتين نحو الحنجرة والتجويفات الفمية والأنفية. وهذا التيار تلتصق به نفخات من الهواء تحدثها انقباضات مفاجئة للعضلات البين ــ ضلعية الداخلية. فانقباض عضلات الجدع ــ حسب ستسون ــ انقباض مراقب أي أنه تدريجي وبطيء، أما انقباض العضلات البين ــ ضلعية الداخلية فهو على العكس قذفي، لأنّه يحرك القفص الصدري ثم يزول. أما هبوط الأضلاع، فيوقفه الانقباض القذفي للعضلات البين ــ ضلعية الخارجية. أو يوقفه الضغط المضاد الحادث بفعل نطق صوت صامت يمنع أو يحصر الهواء المخرَج. إن نفخة الهواء الناتجة عن انقباض البين ــ ضلعية الداخلية والتي تم إيقافها بفعل انقباض البين ــ ضلعية الخارجية أو بتضييق أو غلق صامتي في الفم ــ هذه النفخة من الهواء تشكل مقطعاً. فعندما يراد انتاج مقطع منبور، فإن الانقباض القدفي للبين ــ ضلعية الداخلية يتقوى بفعل تسريع مفاجيء وقصير لانقباض عضلات الجدع الكبير هذه النظرية المسماة غالباً بـ«نظرية خفق الصدر» (Chest - pulse theory)، قد تبناها عدد من اللسانيين، رغم أنها ترتكز على ملاحظات عامّة. وقد دحضتها نتائج التحريات الالكتروميوغرافية[37].

2) النفس البطني[38] :

في هذا النفس تنتج حركة العضلات المائلة والعضلات العرضانية للبطن، تُنتِجُ في نفس الآن :

---

(36) يسمي الرازي، في كتابه السابق، الوقفة أحياناً «سكونا» وذلك في قوله «إن التنفس مركب من ادخال الهواء وهو الانبساط والوقفة التي تكون قبل أن تبدأ باخراج الهواء أعني الانقباض والوقفة التي تكون بعده حتى تبدأ بانبساط ثان، فهذه أربعة أجزاء، حركتان إحداهما انقباض والأخرى انبساط، وسكونان أحدهما قبل الانقباض والآخر قبل الانبساط. والذي قبل الانقباض أقصر بالطبع وكأن النفس إنما هو ثلاثة أجزاء الانبساط والسكون الذي بعده والانقباض» (ص 291).

(37) Y. Lebrun, *Anatomie* ... p. 14

(38) تحدث لوبران في «تشريحه...» (إحالة 17) عن مجموعة من الخصائص تميز المقمقة (Ventriloquie) عن الفعل الكلامي العادي. وخلص منها إلى القول : «إن المقماق لا يستخدم بطنه أبدا من أجل التكلم»، وهذه الخصائص هي : 1) الحجاب يظل متشنجا،=

ـــ تراجعاً للجدار البطني الذي يترتب عنه سحب الحجاب الحاجز نحو الأعلى.

ـــ انخفاضا ضلعياً في شكل «عروة سطل» يترتب عنه تضييق جانبي جديد للقفص الصدري.

ومن تأليف هاتين الحركتين يحصل انضغاط الجزء الأسفل للرئتين، وفي هذه الحركة، فإن الحجاب الحاجز ـــ المضاد (المعاكس) للبطنيات، يحتوي ويراقب حركة هذه العضلات، متيحاً بذلك انفاقاً دقيقا للنفس حسب ضرورات إنتاج الصوت. فالبطنيات تدفع والحجاب الحاجز يجذب وذلك مثل اليد الثانية للعامل الذي يستخدم آلة للصقل فهو يدفع الآلة بيد ويجذبها باليد الأخرى. وهذا ما يسمح له بعمل قوي ودقيق في نفس الآن. ومن شأن هذا أن يتيح للحنجرة، التحرر من دورها كعاصرة، وتقتصر فقط على عملها كهزّازة بشكل أكثر ليونة.

والملاحظ هنا أن الصدر، خلال النفس البطني، لا يتقعر أثناء البث (الصوتي)، لكن على العكس من ذلك، تبدو اليد القصية (Manubrium sternal) ممدودة قليلا إلى الأعلى وإلى الأمام (انزياح ايجابي للقصّ). إن انجاز تنفس بطني يتطابق ومدّ الصوت، أي التصويت الحادث بالقصد الصريح للتأثير في الناس. فما أن تبدأ العضلات البين ـــ ضلعية الخارجية والجزء الواقي، للقص من العضلات البين ـــ ضلعية الداخلية (واحتمالا أيضا العضلات الادخالية الثانوية) ؛ ما أن تبدأ هذه العضلات في الانبساط حتى يتم خفض الأضلاع بواسطة الرئتين اللتين تجذبان الوجه الداخلي للقفص الصدري. كما أن هذا الخفض يتم أيضا بواسطة الغضاريف الضلعية التي تشنجت أثناء الادخال. إن انقباض الرئتين يحدث ضغطاً زائداً في الحويصلات، فيتسرب جزء من الهواء المدخل نحو الخارج من أجل تحييد هذا الضغط الزائد(39).

إن قوة الجذب في الرئتين، والحركة التي تقوم بها الغضاريف الضلعية، يشكلان

= 2) كمية الهواء تقل، 3) التردد الأساسي يرتفع أكثر، 4) لسان المزمار يغلق جزئيا مخرج الحنجرة، 5) الحلق يضيق أكثر، 6) الفك الأسفل والشفتان يكونان شبه ساكنين، (المرجع، ص 28).

(39) François Le Huche et A. Allali, *La voix (anatomie)* ... p. 78

معا ضغط الاسترخاء، الذي يتناسب مع كمية الهواء الحاصل في الرئتين. وعندما يفوق الاسترخاء الضغط النطقي الحاصل (وهذا يتم عندما نتأهب للنطق ببطء، بعد إدخال عميق)، فإن العضلات التي رفعت الأضلاع أثناء الادخال، تنبسط ببطء، وبشكل يحد من ضغط الاسترخاء... فكلما تناقص حجم الهواء في الرئتين، ومعه تناقص ضغط الاسترخاء[40]، فإن العضلات الادخالية تختزل حركة الحصر (الكبح)[41].

3) النفس المختلط :

إن النفس الصدري الأعلى والنفس البطني، المتميزين جدّا، وبصفة عامّة، بإمكانهما أن يجتمعا ولو انتقل الفرد من أحدهما إلى الآخر. وفي حالة توجيه الخطاب نحو المخاطب، فإن الطابع التعبيري يكون مهمّا. إن حركة الانحناء الفقاري، قد تتدخل أحيانا لتعقّد أيضا الآلية التنفسية. فالفرد يمكن أن يحدث ضغطا أكبر تحت الزردمة، ويكون هذا مصحوباً ببث صوتي أكثر كثافة من الناحية المبدئية. إلا أن هذه الآلية، يجب أن تبقى نسبيّا استثنائية حتى لا تؤدي إلى نتائج مزعجة بالنسبة للحنجرة. وبذا نكون قد وصلنا حدود الباتولوجيا[42]. إن الرئتين والجدار القفصي ــ عكس القلب ــ لا يملكان سلطة إيقاعية ذاتية، ذلك أن الطبيعة الدورية للإدخال وللاخراج مراقبة بواسطة أعصاب متموقعة في عجرة المخ[43]. فعند نهاية التلفظ بجملة طويلة، وبنفس واحد، أو عندما نتكلم بصوت مرتفع، فإنه من الضروري أن يصاحب العضلات البين ضلعية، عضلات أخرى، وخاصة الأيمكن الأكبر، والمائل الخارجي، والمائل الداخلي، والعضل العرضاني.

---

(40) Y. Lebrun, *Anatomie* ... p. 11

(41) كلما تناقص الحجم الرئوي، فإن «ضغط الارتخاء» ينخفض ويصير في النهاية غير كاف. فالعضلات المدخِلة، تتوقف عن الحركة أما الضغط فيحافظ عليه بواسطة العضلات المخرجة. فبعد إدخال عميق، فإن «ضغط الارتخاء»، الناتج عن القوة التمددية، يكون جدّ مرتفع. فالعضلات المدخلة، يجب أن تظل منقبضة «لتحصر» حركة غلق القفص الصدري (إحالة رقم 13، ص 11).

(42) Le Huche et Allali, *La voix (anatomie)* ... p. 78

(43) المرجع السابق، ص 76.

وهذه الأعضاء كلها لا تساهم فقط في خفض الأضلاع السفلى، ولكنها تقلص التجويف البطني الداخلي، وهذا الضغط، عندما يتزايد يدفع، الحجاب الحاجز وقاعدة الغشاء الجداري، يدفعهما أكثر نحو الأعلى[44].

إذا كانت الوظيفة الأساسية للجهاز التنفسي تتعلق أولا بضمان تنقية الدم أي تحويل الدم الوريدي إلى دم شرياني، كما سلف الذكر، فإن هذا الجهاز، يصلح ثانيا لانتاج النفس الضروري لتنفيذ بعض الأفعال مثل : النفخ، والصفير، والسعال، وكذا التكلم، والغناء، والصراخ. وخلال كل هذه الأفعال، التي يعد النفس محركا لها، فإن الوظيفة الأولى للجهاز التنفسي ــ تنقية الدم ــ يجب أن تستمر حاضرة، لكنها لم تعد الوظيفة الوحيدة التي تتحكم في الحركة التنفسية، فقد أصبح على هذه الأخيرة أن تتكيف قبل كل شيء مع ضرورات إنتاج النفخ، وهكذا، فإن على هذا الجهاز التنفسي، أن يقوم، في حال التصويت، بوظيفتين اثنتين في نفس الآن : 1) الاستمرار في ضمان تنقية الدم، 2) توفير النفس الملائم للضرورات المتغيرة للانتاج الصوتي[45].

إن الحديث هنا عن النفخ ينطلق في عدّ جهازنا التنفسي نوعاً من أنواع الآلات النفخية، لكونه يحتوي منفخة (Soufflerie) تتكون من الرئتين والقفص الصّدري والبطن ؛ ونظاما منتجاً للاهتزاز يتكون من الحنجرة والوترين ؛ وأعضاء مدعمة للجرس أو مُجْرِسة وهي الفم والحلق والتجويفات الأنفية. فالتنفس الصّوتي ليس هو التنفس الرياضي أو التنفس في حالة الرّاحة[46].

واعتبار جهازنا التنفسي من الآلات النفخية معناه فيما يرجع لموضوع التصويت أن الاخراج هو المصوت أي أن التصويت يتشكل من الهواء المخْرَج وذلك في الأغلب الأعم[47]. لكن التأكيد على الهواء المخرج (دون الخارج) معناه التفريق بين لحظتين في خروج النفس : لحظة الخروج الهادىء وهو حاصل عودة

(44) Y. Lebrun, *Anatomie* ... p. 12

(45) Le Huche et Allali, *La voix (anatomie)* ... p. 75

(46) Lionel Bellenger, *L'Expression* ... p. 44

(47) نقول الأغلب الأعم حتى لا نلغي من الحساب أي امكانية لاستعمال الهواء المدخل، رغم أن هذه الامكانية قليلة جدّاً، ولا يعتد بها في اللغات المعروفة.

الأعضاء التنفسية إلى وضع الراحة تحت تأثير القوتين التمددية القفصية (الصدرية) والرئوية، وذلك عندما تتوقف هذه العضلات عن العمل. ولهذا السبب يعد الزمن الإخراجي زمناً سلبيّاً[48].

أما لحظة الخروج (هنا الإخراج) النشيط، فهي اللحظة التي تتدخل فيها الإرادة بقصد التصويت. وهذا الاخراج يتطلب منذ بدايته تدخل نشاط عضلي، اللهم في حالة جدّ خاصة (حالة تنفس الصعداء المحسوس). وهذا التدخل هو ما يعبر عنه بالقول : إن الاخراج نشيط في التَّصويت ؛ وهذا النشاط يستدعي حسب النمط التصويتي المقصود مجموعتين عضليتين تتألفان من :

1 ــ المجموعة البين ــ ضلعية الداخلية.

2 ــ مجموعة العضلات الجوفية.

فخلال الاخراج يلاحظ استمرار النشاط الادخالي، الشيء الذي يعدل ويراقب الإخراج أي النفس الصوتي، ومن ثم فالحجاب الحاجز يراقب النفخ الجوفي.

إن التصويت يؤدي إلى تبني إيقاع تنفسي خاصّ، مختلف كليّة عن إيقاع التنفس الهادىء.

ــ ففي التنفس الهاديء، يكون الايقاع التنفسي منتظما ولا تتغير المدة من دورة إلى أخرى إلا قليلا. إن مدة الزمنين التنفسيين متشابهة، وإن كانت مدة الاخراج (النفسي) أطول قليلا من مدة الادخال (النفسي)[49].

ــ أما في التصويت، فإن الايقاع التنفسي يفقد انتظامه، إذ الإدخال يتقلص بشكل كبير ويتخذ شكل حركة نطقية، والاخراج يصبح نفخاً (نَفَساً) صوتيا، ويمتد بشكل متغيّر وأحياناً بشكل متقطع بواسطة توقفات مع حبس أو عرقلة حنجرية، تتطابق والتردد الطبيعي الذي يميز بداية الكلام العفوي.

هذا الانقلاب الايقاعي، يدل بوضوح على أن الوظيفة الصوتية، تصبح العامل الحاسم في السلوك التنفسي، كما يدل على أن ضرورات تنقية الدم تتراجع إلى المرتبة

---

(48) Le Huche et Allali, *La voix (anatomie)* ... p. 76

(49) Le Huche et Allali, *La voix (Anatomie)* ... p. 75

الثانية، وقد يترتب عن كثرة التراجع إلى هذه المرتبة، أن تنقية الدم لم تعد مضمونة بشكل كاف مما يترتب عنه حصول لهث يأتي بدوره ليعرقل عملية الكلام[50]. وهذا يوضح حدود التدخل الارادي، كما سلف الذكر.

زمنا التنفس أو تكييف التنفس للتصويت :

إن الرئتين ليستا مجرد مؤكسن للدم، بل إنهما خزّان لهواء التصويت. وتكييف التنفس للتصويت معناه ضبط التفاعلات الأساسية الحاصلة في إطار من تداخل العمليتين البيولوجية واللغوية. وبناء على ذلك فالحجم الأقصى للرئتين هو حاصل (مجموع) كميات فرعية بعضها ينتمي لعملية التنفس والبعض الآخر ينتمي لعملية التصويت. فلذلك «يجب أن تضبط كمية التبادل بين الهواء المتبقي (L'air résiduel) وهو 1500 سم³ الذي يظل في رئتينا بعد اخراج إجباري وبين الهواء الجاري وهو 500 سم³ الذي يكفينا في حالة الراحة، وبينهما وبين الهواء التكميلي ويتراوح حجمه بين 1500 سم³ و2000 سم³، وهي الكمية التي يمكن اختزانها بواسطة الادخال الاضطراري. فعند التكلم يجب استدعاء (أو استحضار) الهواء الاحتياطي الذي نحن في حاجة إليه بانتظام وحجمه هو 1500 سم³. فإذا لم نحتط عند إدخال الهواء التكميلي فإننا سنغرف من الهواء الاحتياطي وسنلهث[51].

تكييف التنفس للتصويت :

إن تكييف التنفس للتصويت معناه فرض انتظام خاصّ لضمان حصول الوظيفتين في ظروف ملائمة لا تخل بمتطلبات وبشروط أي من العمليتين أو الوظيفتين وجوداً وطريقة إنجاز.

هذا الانتظام الجديد لنظام الجهاز التنفسي (ولنظام الجهاز الهضمي) سيؤدي إلى انتظام مركب (من الجهاز التنفسي والهضمي) يقف وراء التسمية المجازية الجارية على ألسنة الباحثين في هذا الموضوع ونقصد «الجهاز المصوّت أو الصوتي».

---

(50) نفس المرجع، الصفحة 76.

(51) Lionel Bellenger, *L'Expression* ... p. 45

إن المقصود بالتكييف إذن هو مراقبة عملية التنفس بالشكل الذي يسمح لعملية التصويت أن تتوازى (مؤقتا) أو تتعاقب معها. وهذا هو ما عبر عنه ب. بلانسيان[52] في الجزء الثاني من مقالته حول فزيولوجيا التصويت : الوظيفة الصوتية بقوله : «خلال التصويت يجب مراقبة التنفس حتى يكيف تأثيراته (فعلَه) مع متطلبات البث الصّوتي. وهذا ما يسمى «النفخ». فإيقاع الادخال والاخراج يتعدل. وهكذا يجب أن يكون الزمن الادخالي سريعاً حتى لا يقطّع الإرسال الصوتي بشكل غير مضبوط $\left(\frac{01}{16}\right)$ من الدورة تقريبا. أما الزمن الاخراجي فسيتمدد (يطول) وهذا يتطلب إمساكاً (= حجزاً) للنفس من أجل السماح بمدة للبث الصوتي أطول ما أمكن مع المحافظة على ضغط صحيح»[53].

إن الصوت يمكن عدّه إخراجاً نفسيّاً مُصوّتا. ففي التنفس الهادىء، تمتلىء الرئتان إلى حدّ ما بفعل حركة العضلات الإدخالية أو المُدخِلة، وتفرغان نسبيّا بفعل العودة البسيطة لهذه العضلات إلى وضع الراحة. وعلى العكس فإن الاخراج يكون نشيطا في التصويت أي أن الهواء يخرجُ من الرئتين بفعل حركة العضلات الإخراجية، أو المُخرجة، وهذا الإخراج النشيط والضروري لانتاج الصوت، يسمى النفخ الصوتي[54] أو النفس الصوتي.

فإذا انطلقنا من الطبقات التنفسية (كما سبق) وأضفنا إلى ذلك طريقة التنفس وطبيعة الصّوت المبثوث نجد أن كل ذلك يترك بصماته وآثاره على علاقتي الإخراج والإدخال كزمنين تنفسين متعارضين، بعملية التصويت.

«فعندما يكون الصّوت، جيّد الجرس، لا نُحس أن هناك بثا للنّفخ ولكن بثا للاهتزاز. فالاخراج يفقد خاصيته كهواء ليكسب خاصية الصوت، ورغم إصماته ومراقبته بواسطة تقنية متطورة، فإن تيار الهواء يوجد مع ذلك. فالنفخ الصّوتي لا ينتج دائما بنفس الطريقة، فهو أحيانا ينتج بواسطة تخفيض القفص الصدري (النفخ القفصي الأعلى) وهذا ما يحدث أثناء التعبير البسيط. وأحيانا ينتج بفعل

---

(52) B. Vallancien / A. Moles : *Phonétique et phonation*, Masson et cie 1966

(53) المرجع المذكور، ص 65.

(54) Le Huche et Allali, *La voix (anatomie)* ... p. 25

حركة العضلات البطنية (النفخ البطني) وهذا ما ينتج أثناء المدّ الصّوتي. وأحيانا ينتج بواسطة حركة مركّبة من التخفيض القفصي ومن حركة العضلات البطنية (النفخ المختلط). وأحيانا يستعمل الانحناء القفصي (تقوس الظهر)، في سياق جهد مهم إلى حدّ ما وهذا ما يحدث في سلوك الإجهاد الصوتي»[55].

إن طبيعة التصويت الحاصل ذات علاقة مباشرة مع طبقة التنفس، «ففي التصويت المفاجئ يسود التنفس الصدري، بينما مجرد التكلم يتطلب أكبر استهلاك للهواء وتوزيعا جيّداً للنفس، وهو ما يحصل بواسطة الحزام البطني.

إن التنفس حركة آلية وإرادية في نفس الآن، ونقصد بالحركة الآلية ما يحدث خلال الراحة أو خلال النوم حيث التنفس العادي يتواصل بإيقاع يضمن حصول عمليتي التنفس بالشكل الملائم.

والحديث عن الجانب الإرادي معناه التدخل القصدي في التنفس والتصرف فيه تسريعاً أو حصراً بل وحتى ايقافا لبضع ثوانٍ إذا اقتضت الحاجة ذلك مثل المساعدة على رفع أو دفع شيء ثقيل أو عبور منطقة يملؤها الدخان الخانق أو الغازات السامّة، أو عند السباحة تحت الماء... إلخ إلا أن هذا التدخل يزداد أهمية في حالة التصويت. إنه التحكم في عملية التنفس الذي يجعل الكلام ممكنا، بل إن جودة الكلام أو عدمها تخضع لشكل وطبيعة التحكم في الحركات التنفسية، ولطريقة توزيع الكمية النفسية. فأول ما يجب أن يقوم به الخطيب أو المغني وحتى المتكلم المثالي هو الضبط الواعي لعمليتي التنفس وخاصّة منهما العملية الثانية أي عملية الاخراج. وهكذا فالتكلم السريع أو البطيء يفرضان على المتكلم أن يتوقف ليسترجع نفسه إن هو أراد مواصلة الكلام.

إن التنفس الصّوتي لا يشبه التنفس الرياضي أو التنفس في حالة الراحة، بل وأكثر من هذا، فإن التنفس في حال التلفظ ليس طبيعيا أو عفويا لذا يجب معرفته نظريّا والتمرن عليه[56] عمليّاً. إن تكييف التنفس وفق متطلبات التصويت سيعدل من الأحيزة الزمنية العادية التي يحتلها أي تعديل في عمليتي التنفس على وجه

(55) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(56) Lionel Bellenger, *L'Expression* ... p. 44

الخصوص. «في التنفس العادي، أي تنفس حالة الراحة أو المشي، تكون مرحلة إدخال الهواء هي النشيطة والطوعية. أما الإخراج فيتم بمجرد إرخاء (تسريح) العضلات المقصودة. فعند التكلم نلاحظ أن مرحلة الاخراج تستغرق أكبر مدة للتنفس الصوتي الذي يكسر روتين آليتنا التنفسية[57]. فعندما نتكلم، نخصص سدس $\left(\frac{01}{6}\right)$ الوقت للادخال والباقي أي خمسة أسداس $\left(\frac{5}{6}\right)$ للإخراج البطيء. ومعنى هذا أن الإخراج هو الوقت القوي.

والإخراج البطيء هنا شيء يرتبط بالتعلم والاكتساب لأن كل اضطراب فيه يؤثر سلبا من حيث الكمية ومن حيث الزمن الذي يستغرقه توزيعها، وانفاقها وفق متطلبات الكلام، فالكلام يتطلب مراقبة وضبطا للتنفس الذي يجب أن يكون بطيئا وأكثر سعة من وضع الراحة، «فالتنفس أثناء الكلام معناه تلبية الحاجيات الدائمة في أكسنة الدم وفي التخلص من الغاز الكربوني، فالهواء يتبع مسلكا معروفاً : الفم، المناخير، الحلق، الحنجرة، القصبة، الشعيبات ثم الرئتين. ذلك أن اتصال الدم والهواء يتم في فصوص الرئتين، وعن هذا الاتصال ينتج التبادل الكيماوي»[58].

إن نمط التنفس ينعكس سلبا أو إيجاباً على نوعية الصوت. «فالصوت يكون محجوزاً إذا صدر عن نمط مرتكزه التنفس القوي بواسطة نفخ القفص الصدري، ورفع الكتفين، واخراج كمية النفس بسرعة أكبر. فيجب إذن إيجاد نمط آخر للتنفس : التنفس البطني والضلعي. إذ عند التكلم لابد من «تسيير» (إدارة) حجم أقصى للرئتين (5000 سم^3)»[59].

إن المطلوب إذن آلية تنفسية تدخل الهواء بشكل ينفخ البطن (التنفس البطني) ويوسّع القفص الصّدري جانبيًا (التنفس الأضلاعي) وذلك بهدف ضمان وجود كتلة الهواء المطلوبة فوق الحجاب الحاجز (الديافراكم).

«إن التنفس أثناء الكلام يرجع إلى إدخال الهواء بواسطة الفم وبكمية تفوق

---

(57) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(58) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(59) نفس المرجع، الصفحة 45.

الكمية العادية، ونفخ البطن وتوسيع القفص الصدري، وإخراج الهواء وذلك بالتكلم بموازاة النفس خلال 15 أو 20 ثانية»[60].

«فالتكلم بتواز مع النفس يسمح للمتكلم أن يصوت طويلا أو بقوة دون أن يحس بالتعب أو بالاجهاد، لكن في حال استعمال مكبر الصوت، فإن هذا الأخير سيبرز، إذا لم يأخذ المتكلم في الحسبان تخفيف هذا الجهاز لمجهود المتكلم، سيبرز التوازي المذكور بشكل يصبح معه الكلام مشوباً بتوازي نفسي قويّ يختل معه صفاء الصوت وتبرز كل عيوب التنفس (الإدخال المتقطع، اللاجب، غياب النفس في نهاية الجملة الطويلة، تعديل جرس الصوت بشكل مستقبح»[61] فيبدو المتكلم وكأنه لاهث.

إنّ قوة الفعل الصوتي وسلامته تشترط حركة تنفسية أكثر انسجاماً. فإذا كان من الضروري اختزان كمية معينة من الهواء داخل الرئتين ليتشكل منها الصوت المراد إنتاجه، فإن ذلك يكون بسبق حركة تنفسية أي حركة إدخال ؛ سبقها لبث النفخ الصّوتي.

فانسجام الحركة التنفسية إدخالاً واخراجاً، وانفاقها بشكل مضبوط شرط لابد منه في تكييف التنفس للتصويت، وهذا التكييف يتطلب التنسيق المنسجم بين عمل النفس وعمل أعضاء الجهاز التنفسي (وكذا الهضمي). وهذا التنسيق معناه أن الصوت البشري أو اللغوي بصفة خاصة انتاج قصدي ويراعي حدود القصد : أعني الشروط التشريحية والفزيولوجية، ذلك أن «كل صوت إنما يبدو مناسبا للجسم الذي يكون منه، وبحسب صفاء جوهره وكدره الذي يكون متخذا منه وكبر أجسامه وصغرها، وطولها وقصرها، وسعة أجوافها وضيق ثقبها ودقة أوتارها وغلظها، وبحسب تحريك المحرك لها والمصوت بها»[62].

«وكيفما كانت الصعوبات في تكييف النفس للتصويت، فإن المهم، أن تظل دائما الحركات الجوفية والصدرية، في علاقة مع كمية الهواء المتنفس [...] فإذا

(60) **نفس المرجع**، الصفحة 46.

(61) Lionel Bellenger, *L'Expression* ... p. 77

(62) إخوان الصفا، **الرسائل**، دار صادر، بيروت (بدون تاريخ)، ص 134، ج 3، الرسالة 17.

استعملنا مقياس التنفس أثناء التدريب التنفسي، فإننا نحصل على معلومات مهمة وذلك باستخدام اختبارين : اختبار يقيس سعة الطاقة الرئوية، واختبار يوضح فعالية العمل العضلي. وهذه ثلاثة أمثلة على ذلك :

1) مغنية محترفة : إخراج	عادي، 3 ليترات. بطيء، 38 ثانية.
2) تلميذة في نهاية الدراسة : إخراج	عادي، 3 ليترات ونصف. بطيء، 16 ثانية.
3) تلميذة في السنة الثالثة : إخراج	عادي، لتران ونصف. بطيء، 34 ثانية.

فعندما يكون النفخ (النفس) غير منتظم، فإننا نلاحظ تناقصاً في الاختبار الثاني، فهذه الأمثلة توضح أن سعة الطاقة ليست العنصر الأكثر أهمية. وإنما الأهم من ذلك هو ضبط انقباض ورخاوة العضلات»[63].

إن العمل العضلي ذو أهمية كبيرة في ضبط كل من عمليتي الإدخال والإخراج، كما أنه يؤثر مباشرة في الأحجام الرئوية زيادة ونقصاناً. وهكذا فإن «حركة الإدخال تتميز بتوسيع في القفص الصّدري في كل أبعاده (أحجامه)، ومن تم تمدد الرئة التي ترتبط بجدران القفص الصدري بفضل صفيحتي غشاء الرئة. فعضلة الحجاب الحاجز تمثل القوة العضلية الرئيسة في عملية الإدخال، فهي عندما تتقلص تخفض مسنمَيها دافعة بذلك المضمون الجوفي نحو الخارج، وجارّة، نحو الأسفل، سطح القفص الصدري، وتمدد، على التوالي، الأضلاع الست الأخيرة، مكبّرة القطر العرضاني والأمامي الخلفي للقفص. فحركة تمدد الأضلاع يتممها تقلص العضلات بين ـــ ضلعية الخارجية، وأحياناً، تقلص بعض عضلات العنق المسماة بالعضلات المدخلة الثانوية التي يمكنها أن ترفع الأضلاع العلوية»[64].

لكن أي انتظام في عملية التنفس لا يمكنه أن يجهل أو يتجاهل عناصر تفوق

---

(63) Claude Dinville, *La voix chantée*,.. p. 19

(64) Guy Cornut, *La voix* ... p. 5

التدخل الإرادي (على محدوديته)، ذلك أن آلية التنفس تخضع لسن الفرد، فهي عند البالغ يتراوح ترددها ـــ في وضع الرّاحة ـــ بين 14 و20 إدخالا في الدقيقة كما تخضع لقامته. فكلما كان الفرد قصير القامة كان إيقاع تنفسه سريعاً. ومثال على ذلك أن التنفس أسرع عند الطفل مما هو عند الراشد. وعلاقة عنصر القامة بالايقاع التنفسي، نجدها عند الحيوان أيضاً. فهذا الايقاع يصل إلى 60 إدخالاً في الدقيقة عند الفأرة و108 عند طائر (الكناري) لكنه يصل إلى 12 إدخالا فقط عند الفرس[65].

إن انتظام الإيقاع التنفسي خلال التصويت معناه المراقبة التامّة لأزمنة كل من وظيفتي التنفس البيولوجي ووظيفة التنفس اللغوي، أي مراقبة التغيّر الحاصل في ترتيب كل منهما، حسب أولوية إحداهما على الأخرى، فإذا تكلمنا بشكل أسرع أو أبطأ فإنه يكون من الواجب علينا، إذا نحن أردنا مواصلة الكلام، أن نتوقف لاسترجاع نفسنا، وهذا التوقف يحتاج بدوره إلى لحظة مضبوطة وإلا سيصبح جليّا فيتحول إلى شبه نفس أو حتى نفس خالص. وبالتالي يتقطع الصوت. وبهذا الصدد لابد أن نوضح أن المقصود بالمراقبة، «تسيير» أو «إدارة» جزء من النفس فقط لأن الجزء الأكبر يتم بشكل آلي :

هذا «التسيير» يتم في مجالات محددة كالغناء والتجويد والانشاد والخطابة... إلخ. هذه المجالات تتفاوت متطلباتها وبالتالي يتفاوت ويختلف «تسيير» مادتها الخام أي النفس الصوتي.

خاتمة : إن تكييف التنفس للتصويت معناه إحداث انتظام جديد في عمليتي الادخال والاخراج التنفسيين. وهذا يعني بتعبير آخر وجود اختلاف بين العمليتين كمّا وكيفاً. هذا الاختلاف يتجلى أساسا في المستويات التالية :

1) **الايقاع** : إن الإيقاع التنفسي يتعدل بشكل عميق حيث يختزل الادخال ويمتد الاخراج.

2) **الاحجام** الرئوية المعبأة تخضع لنمط النشاط الصوتي وهي أحجام تفوق

---

(65) Isaac Asimov, *Le corps* ... p. 21

في كل الأحوال «الحجم الجاري» للتنفس. هذه الأحجام تخضع من جهة أخرى للضغط الرئوي.

3) **الضغط الرئوي** : إن الضغط الرئوي الذي يتطلبه التصويت يفوق بشكل ملحوظ الضغط الذي قد يحصل في التنفس العادي.

هذه التعديلات والاختلافات والتنوعات في الفعل التنفسي، تشهد على دينامية العملية الصوتية وتعقدها. وهذا يدل على أنه ليس هناك طريق مفضل وأمثل للتنفس خاصة وأن الفعل التنفسي يتدخل فيه أكثر من عامل وعلى رأس هذه العوامل العَامِل العصبي أو النورولوجي. وأخيراً فإنه مهما حصلت ضرورة التحكم و«التسيير» والترتيب في الفعل التنفسي وخاصة عندما يتعلق الأمر بوظيفة التصويت عموما، فإن التداخل يظل قائما وإن تفاوتت درجته من نمط صوتي لآخر.

الوجود والذات عند المعتزلة

أحمد العلمي

كلية الآداب ـــ القنيطرة

يهدف هذا البحث إلى دراسة إحدى اشكاليات الميتافيزيقا وهي علاقة الوجود بالماهية كما نوقشت في علم الكلام وبالخصوص في كتب المعتزلة. لقد درس هذا الاشكال بدقة عند فلاسفة المسلمين، من أمثال ابن سينا (ت 428هـ) وابن رشد (ت 595هـ)[1]. لكن لم يكن فلاسفة المسلمين هم أول من بحث في ذلك. وقد بينت دراسة الأستاذ جوليفي[2] الجذور الكلامية لأبحاث ابن سينا بصدد الشيء والثبوت والوجود. فالكتب الكلامية زاخرة بمادة فلسفية تدور حول اشكالية الذات والوجود. وسنعمل في الصفحات التالية على إبراز موقف المعتزلة من هذا الاشكال، وكيف بلوروا موقفا أصيلا شكل، بحق، تحولا أساسيا في تاريخ الفلسفة.

I ـــ الوجود والماهية في تاريخ الفلسفة :

انقسم تاريخ الفلسفة بصدد علاقة الوجود بالماهية إلى اتجاهين : اتجاه ينادي بعينيتهما، واتجاه ينادي بالتمييز بينها أي بزيادة الوجود على الماهية.

كان أرسطو هو مؤسس الاتجاه الأول، أي عينية الوجود والماهية. لقد ابدعت الأرسطية تصورا وجوديا أصيلا يقسم الوجود إلى عشر مقولات، هي الجوهر وتسعة أعراض (الكم والكيف...). فالوجود يتطابق مع الجوهر، وموقف أرسطو (ت 322 ق.م) هذا يدخل في إطار اشكالية رفض الاتجاه المثالي المتعالي

---

(1) ايتيان جيلسون : «الوجود والماهية»، الفصول الخاصة بابن سينا وابن رشد، فران، باريس.

(2) جون جوليفي : «إلى جذور أو نطولوجيا ابن سينا» بحث شارك به جوليفي في ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية، كلية الآداب، الرباط 1980، انظر مجلة الكلية.

الافلاطوني. فالماهيات عند أفلاطون مثل متعالية لا مبالية بما هو موجود. وفي نصوص شهيرة في تاريخ الفلسفة انتقد أرسطو هذا الموقف. فالماهية إذا اعتبرت متعالية فلا تأثير لها في ما هو موجود في العالم المحسوس. فوجودها أو عدمها لا يؤثر البتة في صيرورة العالم الحسي. لذلك أقام أرسطو تصورا فلسفيا تكون الماهية وفقه في تحايث مع ما هو موجود. يقول جيلسون «لنلاحظ بأن الانتقاد الأرسطي للافلاطونية كي يكون معللا، فإنه لابد أن تكون الماهية متطابقة مع «ما هو موجود» وبالفعل، إذا لم تكن كذلك، فإن علمنا لن يكون علما بالواقع المتحقق»[3].

هكذا إذن تتطابق الماهية مع ما هو موجود في الفلسفة الأرسطية. ويستحيل تصور تمييز بينهما. إذ ادعاء ذلك هو رجوع إلى المثل الأفلاطونية.

لقد أسس تصور أرسطو هذا تيارا فلسفيا هاما اخترق العصور والثقافات. وسنرى كيف أن الاشاعرة ومجموع أهل السنة قد قالوا بعينية الوجود والماهية. ولا يهم هنا البحث في ما إذا كانوا قد تأثروا بأرسطو أو أنهم قالوا بذلك وفق شروط أخرى. إذ الأمر الثابت هو أنهم قد أقروا بالعينية وهذا كاف لجعلهم في إطار هذا التيار الفلسفي.

وبشكل واع وصريح نادى ابن رشد بنفس الموقف الأرسطي. يقول في كتاب تفسير ما وراء الطبيعة «وقد غلط ابن سينا غلطا كبيرا فظن أن الواحد والموجود يدلان على صفات زائدة على الذات. والعجب من هذا الرجل كيف غلط هذا الغلط وهو يسمع المتكلمين من الأشعرية الذين مزج كلامه الإلهي بكلامهم»[4].

وبمقابل هذا الموقف تأسست فلسفة أونطولجية لا تقل أصالة عن التيار الأول كانت قد نادت بأن الوجود متميز عن الماهية. فهو ليس إلا تحديدا عارضا لها من الخارج. فهو عارض والماهية معروضة. فلا عينية ولا تطابق بل تمييز واختلاف.

---

(3) ايتيان جيلسون : «الوجود والماهية»، ص. 62، دار نشر فران، باريس، 1981، الطبعة العاشرة.

(4) ابن رشد : «تفسير ما وراء الطبيعة»، ص. 313، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1938.

ويعتبر جان دان سكوت، في إطار الفلسفة المسيحية القوروسطية، المدافع بحرارة عن هذا الموقف الأونطولوجي الفذ ضد القديس طوما الاكويني الأرسطي والرشدي النزعة. الا أن دان سكوت نفسه يشير بوضوح إلى المصدر الذي أخذ منه هذا التصور للوجود والماهية. يقول ايتيان جيلسون في معرض تحليله لفلسفة دان سكوت «ان نقطة الانطلاق (بالنسبة لدان سكوت) ليست إلا التصور السينوي للماهية، أو للطبيعة المشتركة، التي لم يفتأ دان سكوت تدريسها بدون أي تقليص»[5]. ومعنى ذلك أن دان سكوت يستعيد تصور ابن سينا للماهية. والماهية السينوية متميزة عن الوجود. إذ الوجود لا يدخل في تحديدها. فهي من حيث هي ليست إلا هي، لا عامة، ولا خاصة ولا متخصصة ولا كلية، ولا موجودة ولا معدومة. بل هي ماهية فقط. «إن الوجود الفعلي (عند دان سكوت) يضاف إذن إلى الماهية المتخصصة كأنه تحديد نهائي، ولكنه يترتب عنها. هل يتميز (الوجود) عن الماهية نعم، بلا شك، **ولكن كما يتميز في مذهب ابن سينا**»[6]. حقيقة أن دان سكوت لم يساير ابن سينا في كل مواقفه الأونطولوجية، لكن هذا الاختلاف بين الفيلسوفين لا يمكن اعتباره إلا «بافتراض أن دان سكوت وابن سينا قد افترقا بفضل نفس المبدأ، وإن أمكن القول، إنهما اختلفا انطلاقا من نفس نقطة الانطلاق»[7].

هكذا يبدو إذن أن التمييز بين الوجود والماهية لم يبدعه دان سكوت و لم يكن كذلك وليد الفلسفة الاغريقية، بل إن موطن احداثه قد كان في الفلسفة العربية الإسلامية. وبالفعل فإن إحدى الصراعات الفلسفية الحادة والخطيرة التي دارت بين السينوية والاشعرية والرشدية قد كانت حول زيادة الوجود على الماهية. وكتب ابن سينا بأسلوبه الاثباتي الجازم تبلور ذلك بوضوح. يقول ابن سينا في كتابه الشامخ الإشارات والتنبيهات : «قد يجوز أن تكون الماهية للشيء سببا لصفة من صفاته. وأن تكون صفة له سببا لصفة أخرى، مثل الفصل للخاصة. ولكن لا يجوز أن تكون الصفة التي هي الوجود للشيء، إنما هي بسبب ماهيته التي هي

(5) ايتيان جيلسون : «الماهية والوجود»، ص. 131.

(6) المرجع نفسه.

(7) المرجع نفسه.

الوجود، أو بسبب صفة أخرى ؛ لأن السبب متقدم في الوجود، ولا متقدم بالوجود قبل الوجود»[8].

لكن التساؤل الذي يطرح نفسه بإلحاح هو التالي، هل كان ابن سينا هو أول من أبدع هذا الموقف الفلسفي الهام أم أنه قد أحدث قبله، بل وقبل التيار الافلوطيني العربي ؟

II ـ الوجود والماهية في الفكر الإسلامي :

يبدو أن التمييز بين الوجود والماهية، الذي علق باسم ابن سينا في الفلسفة المسيحية، قد أبدعه المعتزلة. صحيح أن هذه النظرية قد وجدت أفاقا جديدة عند السينوية، لكن الشرف في ذلك يعود إلى المعتزلة التي أحدثت هذا التصور وبلورته في مبحث أصيل للوجود. وبصدد شرحه لأرسطو، يدعي ابن رشد أنه بتبنيه الفرق بين الماهية والوجود، لم يعمل ابن سينا إلا على اتباع الاشاعرة[9]. إن هذا النص يؤكد على الأقل بأن هذه النظرية لم تكن من إبداع الإغريق. وكأرسطي خالص ومتحمس يثبت ابن رشد كيف أن المعلم الأول قد بلور نظرية جوهرية للوجود توحِّد بين الوجود والجوهر. إن أصل التمييز إذن قد نبغ من علم الكلام الإسلامي. إلا أننا نعتقد اعتقادا جازما، وعكس ما يدعيه ابن رشد، بأن المعتزلة، وليس الأشاعرة، هي التي أبدعت هذا الفرق بين الوجود والذات. ذلك لأن الأشاعرة بتبنيها للتقليد الحنبلي، قد عملت جاهدة على تكفير هذا الموقف الاعتزالي. وهذا واضح وجلي من خلال كتب الشراح المتأخرين. «إن وجود كل مهية عبارة عن نفس حقيقتها»[10]، «لأن المشهور أن الأشعري (ت 324هـ) لا يقول بمعنى الوجود الا المهية المخصوصة فعنده لفظ الوجود في كل مهية مخصوصة يرادف الاسم الموضوع لتلك المهية بخصوصها كالإنسان والفرس..»[11].

---

(8) ابن سينا : «الاشارات والتنبيهات، الالهيات»، الفصل السابع عشر، إشارة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1985.

(9) ابن رشد : «تفسير ما وراء الطبيعة»، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1938، ص. 313.

(10) عبد الرزاق اللاهيجي : «شوارق الالهام»، مخطوط ص. 40، المكتبة الشرقية، باريس.

(11) المرجع نفسه، ص. 40.

والفناري (ت 834هـ) المتصوف الفذ الذي أبدع شرحا هاما لرسالة النفحات لصدر الدين القونوي يلخص لنا موقف الاشاعرة بصدد الوجود والذات. «الوجودات متخالفة وكل وجود عين مهية الموجود...»، «الوجود عين كل موجود»[12].

ولا يجب الاعتقاد بأن هذه النصوص ليست إلا تأويلات للفكر الاشعري وأنها لا تقدم لنا روح المذهب كما ورد عند أصحابه، وذلك لأن كتابات الاشعرية نفسها تؤكد ذلك. إن الباقلاني (ت 403هـ) الأشعري الفذ، يوحد، في كتاب التمهيد، بين الوجود والذات والشيء والموجود. فالقول بأن هذا الشيء ذات وبأنه موجود، ليس إلا التعبير عن حقيقة واحدة بثلاث كلمات مترادفة ومتطابقة. هكذا سينقسم الوجود حسب اختلاف الذوات[13]. «والأشعرية، يقول الشهرستاني (ت 548هـ)، لا يفرقون بين الوجود والثبوت والشيئية والذات والعين»[14]. «ان وجود الشيء وعينه وذاته وجوهريته وعرضيته عندنا عبارة عن معبر واحد... والتمييز بين الشيئية والوجود وبين الشيئية مما لا يؤول إلى معنى ومعنى بل إلى لفظ ولفظ»[15].

وحتى موقف الجويني (ت 479هـ) لا يضع موقف شيوخه موضع سؤال. صحيح أنه على خلاف الاشعري والباقلاني لا يوحد بين الوجود والذات التي لها خصائص وحقائق متحددة بكونها هذا السواد أو هذا البياض، إلا أنه يوحد بين الوجود والذات من حيث هي، أو حسب تعبيره، توحيد الذات والثبوت. وهكذا بتمييزه بشكل ما بين الوجود والحقائق القائمة بالذات أمكنه اعتبار هذه الخصائص، من سوادية ولونية، كأحوال. فكون الشيء أبيض حالا زائدة على الذات وعلى الوجود ؛ وهكذا. فصفات الشيء أحوال، لكن الوجود ليس البتة بحال..والجويني نفسه يعلن ذلك بوضوح. «ان الوجود ليس بحال مع تقدير اثبات

---

(12) المرجع نفسه، ص. 71.

(13) الباقلاني : «التمهيد»، ص. 158، سطر 2 ــ 6، نشر ماكارثي، بيروت، 1957.

(14) الشهرستاني : «نهاية الاقدام في علم الكلام»، ص 151، سطر 1 ــ 2، نشر أ. كييوم.

(15) الباقلاني : «التمهيد»، ص. 129.

الأحوال»[16]. ان الدليل الذي يستعمله الجويني لاثبات ذلك، أي نفي كون الوجود حالا، ليس إلا الدليل الذي كان قد استعمله الأشعري والباقلاني لدفع نظرية الأحوال جملة. «اما بطلانه (أي بطلان كون الوجود حالا زائدة على الذات) على مذهبنا فلأن حقيقة الذات الوجود، وليس الوجود معنى زائدا على الذات»[17]، إذن «فالوجود هو الثبوت»[18].

فعلى عكس ما يدعيه ابن رشد فليست الاشاعرة هي التي أحدثت القول بالتمييز بين الذات والوجود. وتبعا لنص له أهمية تاريخية قد ورد في كتاب المواقف للايجي (ت 756هـ) فإن الجاحظ هو أول من تصور أن الذات هي الثابتة وليست هي الموجودة. وهذا الموقف المتميز للجاحظ قد دشن تيارا أونطولوجيا جديدا في تاريخ الفكر الفلسفي. وحسب الايجي واللاهيجي وغيرهما من الشراح الكبار فقد تبلور تياران في الفكر الإسلامي يستحيل رد واحد منهما إلى الآخر[19]. فمن جهة نجد الاشعري وأبا الحسين البصري (ت 436هـ)، وهو من متأخري المعتزلة، يتفقان على إثبات وحدة الذات والوجود. وهذا الموقف يندرج فيه حتى ابن رشد. وبصفة عامة فهو التيار الفلسفي الذي أخذ انطلاقته مع أرسطو واستمر حتى القديس طوما الاكويني مرورا بالأشعرية والرشدية. ونحن لا نريد من ذلك أن نقول بأن الأشاعرة قد ورثوا موقف أرسطو، لأن التيار الاشعري قد استلهم روح المذهب الصفاتي. فالصفاتية قد نشأت باكرا في الفكر الإسلامي قبل بداية الترجمة. فعينية الوجود بحقيقة الشيء وصفاته قد نبع كذلك في أحضان مذهب أهل السنة والجماعة. وكيفما كان الحال فإن هذا الموقف الفلسفي قد كان متأصلا في الفكر الإسلامي. وبمقابله نجد تمييز الوجود والماهية الذي أبدعه المعتزلة وقال به الحكماء.

---

(16) الجويني : «الشامل في أصول الدين»، ص. 129، تحقيق علي سامي النشار وفيصل بدير عون وسهير محمد مختار، منشأة المعارف بالاسكندرية 1969.

(17) المرجع نفسه، ص. 129.

(18) المرجع نفسه، ص. 637.

(19) عضد الدين الايجي : «المواقف»، المبحث الأول، «الشيء عندنا الموجود، وقال الجاحظ والشعرية هو المعلوم»، ص. 56، عالم الكتب، بيروت.

III ـــ أدلة المعتزلة :

أ) الوجود والذات والشيء :

يتركب الموجود، في التصور الاعتزالي، من ذات وصفة ذات وصفات مقتضاة عن صفة الذات، ثم من الوجود الذي يظهر هذه الصفات. وهذه المستويات تكون أي موجود كان. وإذا كان المستوى الأول، أي الذات، والمستوى الأخير، أي الوجود، يتسمان بالشمولية فإن صفة الذات والصفات المقتضاة عنها هما اللتان تحددان تفرد الموجود واختلافه عن موجود آخر. فالجوهرية التي هي صفة الذات، والتحيز الذي هو صفة مقتضاة عنها، هما اللذان يحققان تفرد واختلاف الموجود.

إن التساؤل الذي يطرح نفسه هو التالي : أية علاقة تتحدد بين الوجود والمستويات الثلاثة الأخرى، هل هو عينها أم مختلف عنها جملة ؟ أم أنه مختلف عن بعضها وعين البعض الآخر ؟

لنبحث أولا في علاقة الوجود بالمستوى الأول، أي الذات. هل هناك عينية بين الطرفين ؟، بحيث أن بينهما ترادفاً وتطابقاً، أم أن هناك اختلافا وتمييزا ؟

لنرجع إلى تقسيم المعلومات كما وردت عند المعتزلة.

يقسم المعتزلة المعلومات إلى ثلاثة أقسام. أولا المستحيل وهو الأمر المتناقض في ذاته والذي لا يصح قطعا وجوده. وهو مثل اخبار «المخبر عما لا أصل له فلا يكون لخبره مخبر»[20]. ومثال ذلك الاخبار عن شريك القديم، واخبار المخبر عن الأمور المستحيلة.

ثم هناك المعلوم الذي هو ثابت. أي ما يصح وجوده. وهو «الخبر الذي له مخبر»[21] والعلم الذي له متعلق. وهو ينقسم إلى قسمين : أولا ما هو متحقق ومتعين في الخارج كجوهر موجود متعين، وعرض متخصص وقائم بجوهر ما. ثانيا ما يتصور وما يخبر عنه أي ما له مخبر لكن مخبره ومعلومه ليس بمتحقق وليس

---

(20) ابن متويه : «التذكرة في أحكام الجواهر والاعراض»، ص. 334، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، تحقيق سامي نصر لطف وفيصل بدر عون.

(21) المرجع نفسه.

بموجود، لكنه ثابت. أي يصح ويمكن وجوده و تحققه. وهو ما سماه المعتزلة بالمعدوم. فالمعدوم ليس هو الخبر الذي «لا أصل له فلا يكون لخبره مخبر». أي ليس هو المستحيل. لأن ما لا مخبر له لا يسمى معدوما بل منفيا. أما المعدوم هنا فهو المعلوم المتعلق بعلم يكون غير متحقق وغير متعين لكنه يكون ثابتا أي يصح وجوده. «لأن من حق كل معلوم **أن يصح حدوثه على وجه** وذلك طريق العلم به، لأنه متى لم تجوز حدوثه من جهة القادر عليه لم يعلم معدوما»[22].

هكذا نرى بأنه عندما أقصى المعتزلة المستحيل والمنفي فإنهم قد حصروا المعلوم بين المتحقق والمعدوم. وهما معا يشتركان في الشيئية. لأنه سواء تعلق الأمر بالموجود المتحقق أو بما سيوجد فيما بعد فإنه شيء ثابت. فالشيئية تعم كل معلوم يصح وجوده. لذلك فالشيئية لا تعني قط الوجود. وليست هي الموجود. إذ يستحيل ونحن بصدد المعتزلة إقامة معادلة بين الشيئية والوجود أو الموجود. لأن كل ما هو موجود فله الشيئية، لكن ليس كل ما هو شيء موجود ضرورة. وقد استدل المعتزلة على ذلك بأدلة شهيرة.

يقول ابن متويه (ت 469هـ) في ايراد الدليل الأول ضد من يصرف الشيء إلى الموجود «فإن زعم زاعم أن قولنا شيء ينصرف إلى الموجود، لم يستقم له ذلك، لأنهم يقولون علمت شيئا موجودا، ولو كان كما يدعونه لاقتضى التكرار. كأنه يقول : علمت موجوداً موجودا»[23]. ولما كان قول القائل علمت شيئا موجودا ليس بتكرار بل إفادة، إذ انها تحدث معنى اخباريا أي أنها تضيف صفة، التي هي الوجود إلى شيء ما، وجب إقامة تمييز بين الشيئية والموجود. ومن جهة أخرى لو كان «هذا الاسم [الشيء] يختص بالموجود [يقول أبو هاشم الجبائي (ت 321)] لوجب أن يكون قول القائل «علمت شيئا معدوما متناقضا»[24]،

---

(22) القاضي عبد الجبار : «المغني في أبواب العدل والتوحيد»، الجزء الرابع، ص. 247، سطر 12 — 14، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، تحقيق الدكتور أحمد فؤاد الاهواني.

(23) ابن متويه : «التذكرة في أحكام الجواهر والاعراض»، ص. 74.

(24) القاضي عبد الجبار : «المغني»، الجزء الخامس، ص. 252، سطر 9 — 11.

«كأنه يقول علمت موجودا معدوما»[25]، «وإذا بطل ذلك علم أنه [الشيء] يجري على المعدوم والموجود جميعا»[26]. هكذا فالشيئية إذا تساوت مع الوجود ستؤدي إلى التكرار أي إلى تحصيل الحاصل، ومن جهة أخرى ستؤدي إلى التناقض أي إلى جمع الموجود والمعدوم. وكل من التناقض وتحصيل الحاصل باطلان منطقيا. فوجب بذلك اعتبار معنى الشيئية مخالف لمعنى الوجود ولمعنى المعدوم. «ولذلك لا يستفاد بقول القائل «علمت شيئا» أن الذي علمه موجود أو معدوم»[27].

ب) الوجود وصفات الذات :

بعدما ميز المعتزلة بين الوجود والذات فإنهم سيميزون بين الوجود وصفات الذات والأحكام الثابتة فيها. وحجج المعتزلة على ذلك هي التالية : «إن هذه الصفة [الوجود] هي غير صفة الجنس»[28]. إن صفات الذات (صفات الأجناس) مثل الجوهرية واللونية لازمة للذات. لكن الوجود ليس بصفة ذات وليس البتة بذات، بل إنه يضاف إلى هاته مثلما يضاف إلى تلك. فالوجود ليس إلا شرطا لظهور الصفات المقتضاة عن صفات الذات. فالجوهرية صفة ذات. والتساؤل عن علة الصفة باطل، إذ لا علة لصفة الذات. إذ أنها غير مجعولة. لأن كل صفة ذات ثابتة لنفسها ولا تحتاج إلى علة وإلى فاعل كي تكون كذلك. فالجوهرية التي هي حال غير معلل، لازمة، بمصاحبة الأحكام المتضمنة فيها، للذات المتساوية. وكي تظهر هذه الأحكام المتضمنة والثابتة في الجوهرية يجب أن يضاف إليها الوجود من الخارج. فالوجود ليس علة لهذه الأحكام بل هو شرط في ظهورها. فالوجود إذن شرط في ظهور صفات الذات. صحيح أن تحقق هذه الأحكام في الأعيان تحققا ضروريا يحتاج إلى شيء آخر فوق شرط الوجود. إذ لابد من علة توجب ذلك. وكون هذه الأحكام ثابتة في صفات الذات يدل على العلة الموجبة لها. فمع الوجود توجب الجوهرية الأحكام الثابتة فيها مثل التحيز والكون.

---

(25) ابن متويه : «التذكرة»، ص. 74.

(26) القاضي عبد الجبار : «المغني»، الخامس، ص. 252، س. 10 — 11.

(27) المرجع نفسه، ص. 252، س. 13 — 15.

(28) ابن متويه : «المجموع في المحيط بالتكليف»، ص. 138، س. 4.

فصفات الذات هي التي **توجب** أحكامها. إلا أن هذا الإيجاب يحتاج رغم ذلك، إلى شرط يصاحبه. فهو إيجاب مشروط. إيجاب ثبوتي مشروط بالوجود. على الوجود إذن ان يضاف إلى صفات الذات كي توجب هاته الأخيرة أحكامها. «فأما حكم كونه موجودا فهو **ظهور** أحكام الذوات لأنه موقوف على الوجود»[29]. فالجوهرية هي العلة الموجبة للتحيز في حين أن الوجود شرط لذلك. «فكل موجود لأجل وجوده تظهر صفته المقتضاة عن صفة الذات وبوجوده يعرف ما هو عليه في ذاته»[30]. فالجوهر لما هو عليه يؤثر في تحيزه عند الوجود. و«كذلك السواد»[31].

الوجود إذن يُظهِر، وبه تتحقق الذات في الأعيان وتظهر صفاتها وأحكامها الواجبة والممكنة والمستحيلة. في حين أن الوجود عند الأشعرية ليس ما به تتحقق الذات بل **هو** التحقق الذي للذات. وهذان الموقفان يختلفان اختلافا صارخا. فموقف المعتزلة الذي يعتبر الوجود شرطا للتحقق يفترض أساسا أن صفات الذات لها ثبوت قبل الوجود. الأمر الذي يتضمن زيادة الوجود على صفات الذات والأجناس. فإذا كانت صفة الذات تحتوي وتوجب أحكامها، وإذا كان الوجود شرطا فقط لظهور هذه الأحكام، فإننا نرى أن حكم صفة الذات يختلف عن حكم الوجود، إذ كيف يمكن الخلط والمزج بين هذين النوعين من التأثير. فالاختلاف الحاصل بين العلة الموجبة وما هو فقط شرط يدلنا أو، حسب تعبير المعتزلة، يقودنا إلى اختلاف وتمييز أكثر عمقا وهو الحاصل بين الذات وبين الوجود. فلأنهما يختلفان اختلف تأثيرهما.

أما الدليل الثاني الذي يورده أبو رشيد النيسابوري كي يثبت «أن الجوهر جوهر لذاته»[32] وليس جوهرا لأجل وجوده، فإنه يقوم على اثبات أن الوجود صفة واحدة متواطئة بين الموجودات. فإذا كان الوجود هو صفة الذات وجب

---

(29) ابن متويه : «المجموع في المحيط بالتكليف»، ص. 159، س. 27.

(30) المرجع نفسه، ص. 136، س. 5 — 6.

(31) المرجع نفسه، ص. 136، س. 10.

(32) أبو رشيد النيسابوري : «كتاب المسائل في الخلاف»، ص. 38، تحقيق معن زياده ورضوان السيد، معهد الانماء العربي، ط. 1، 1979.

ضرورة أن يكون علة لها. وإذا كان الأمر كذلك وجب «أن تكون الموجودات كلها جواهر وقد عرفنا فساد ذلك»[33]. «لأن صفة الوجود صفة واحدة»[34]. ليست صفة الوجود هي صفة الذات، أي صفة ذات كانت. وثبوت الصفات سابق على وجودها. صحيح أن الوجود يظهر ويحقق هذه الصفة في الأعيان، لكن الصفة بتحققها تكتسي كيفية جديدة ليس إلا. إذ من الثبوت تتحول إلى الظهور والتحقق.

يستنتج المعتزلة من هذا الدليل دليلا آخرا. إذا كانت صفات الذات ثابتة بدون علة لأنها ثابتة لنفسها، فإنها رغم ذلك تتحقق وتوجد بالفاعل. وذلك لأن كل صفات الذات، ماعدا الالهية، حادثة. ووجوب الثبوت الذي هو ثابت لكل صفة ذات لا يعني أنه وجوب الوجود. إذ وجوب الثبوت ووجوب الوجود لا يثبت إلا للالهية. أما صفات الذات الأخرى فإنها تكتفي فقط بوجوب الثبوت. لذلك فوجوب الثبوت الذي يكون ثابتا لكل صفة لا يعني أنها ضرورة واجبة الوجود. فكي توجد صفات الذات وكي تتحقق على الفاعل أن يضيف إليها الوجود. هكذا نلاحظ بأن هناك تمييزاً بين ما هو ناتج عن الفاعل وبين ما هو ثابت في نفسه. «يبين ذلك أنا قد دللنا على أن **كونه جوهرا لا يجوز أن يكون بالفاعل**. وقد ثبت وجوده بالفاعل. **ومحال أن تكون الصفة الحاصلة بالفاعل هي الصفة التي لا يجوز أن تحصل بالفاعل**»[35].

والخلاصة التي تترتب على ذلك هي أن الوجود صفة تضاف إلى الجوهر، بل إلى كل صفات الذات. ومرة أخرى فإن التمييز بين الذات والوجود يتصور من جهة المعلولية. إلا أنه عوض الانطلاق من التمييز الحاصل بين الأحكام الذي يقودنا إلى التمييز الواقع بين العلل، أي عوض الانطلاق من حكم الوجود الذي هو شرط لظهور صفات الذات، كي نصل إلى اختلافه مع ما هو علة لهذا الظهور، فإننا هنا، في هذا الدليل، نتمركز مسبقا في مبدإ الوجود وصفة الذات. فالاختلاف الحاصل بين ما هو بالفاعل وبين ما هو لنفسه هو الذي يسمح لنا بتقييم الاختلاف

(33) المرجع نفسه، ص. 28.
(34) المرجع نفسه، ص. 30.
(35) المرجع نفسه، ص. 46.

بين الجوهر والوجود. فالتمييز بين عللهما هو الذي يؤدي بنا مباشرة إلى التمييز بين أحكامهما.

ج) الوجود وأحكام صفات الذات :

ليس الوجود زائدا على صفات الذات فقط، بل كذلك على أحكامها المتضمنة فيها. فالجوهر عندما يستقبل الوجود يتحيز. والتحيز متضمن في الجوهرية. فهو ليس صادرا عن الفاعل. ولا عن علة خارجة عن الجوهر. فالتحيز يتحقق ويظهر عندما يضاف الوجود إلى الجوهر. وحتى وان كان الجوهر لا يتحيز إلا مع الوجود، وان كل متحيز فهو ضرورة جوهر موجود، فإن العكس ليس بصحيح. لأن كل موجود ليس ضرورة متحيزا. فوجب اعتبار الوجود زائدا على التحيز كذلك. إذ هو شرط لتحققه ليس إلا. ولذلك رفض أبو هاشم الجبائي موقف النصيبي الذي يدعي بأن «صفة الوجود في الجوهر هي التحيز، ولا يفرد الوجود لمجرده صفة زائدة على التحيز ولا التحيز يكون صفة زائدة على الوجود»[36].

ويخصص ابن متويه (ت 469هـ) فصلا كاملا للرد على هذا الموقف المدخول. ومرة يستعمل ابن متويه الدليل الذي استعمله أبو رشيد، ومرة أخرى يعيد دليل التعليل. وفي كتاب المسائل يورد أبو رشيد النيسابوري تواطؤ الوجود كدلالة على فساد موقف النصيبي. إن الأحكام التي تترتب عن الجوهرية من تحيز وكون ليست هي الوجود، «وأحد ما يدل على ذلك أيضا ان الجوهر عند الوجود يجب أن يكون متحيزا. فإما أن يكون الوجود مؤثرا في تحيزه، أو يكون المؤثر أمرا سواه ولابد من ذلك لأن الصفة إذا وجب ثبوتها عن صفة أخرى، ووجب زوالها عن تلك الصفة، ولا يمكن تعلق الصفة بأمر آخر سواها، وجب أن تُعَلَّق بها لأن المؤثرات تثبت بهذه الطريقة وما يجري مجراها. **ولو كان المؤثر في التحيز صفة الوجود لوجب في كل موجود أن يكون متحيزا. وإذا استحال ذلك وجب أن يكون المؤثر في ذلك صفة أخرى زائدة على الوجود**»[37].

---

(36) ابن متويه : «التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض»، ص. 59.

(37) أبو رشيد : «كتاب المسائل»، ص. 43 — 44.

إن الفكرة الأساسية المتضمنة في ثنايا هذه الأدلة هي **نظرية الأحوال**. لأن إحدى المعايير الأساسية لهذه النظرية هي تقرير تفرد وتميز الحال. إذ القول بأن مفهوما ما حال هو اثبات تمييزه عن المفاهيم الأخرى، وإن كانت متشابهة ومتواجدة معا. هذا يعني بأنه كلما حصلت هناك وحدة فإن الحال سيختفي وسيرتفع. لأن الحال أساسا تمييز واختلاف. إن هناك على الأقل ثلاثة أنواع من الاختلافات تنطبق على صفات الذات التي هي أحوال غير معللة. فهي أولا تتميز عن الذات المتساوية والتي تكون لازمة لها. ثم انها تتميز فيما بينها. فالجوهرية ليست هي اللونية، وأخيرا تتميز عن الوجود الذي يضاف إليها من الفاعل. فاعتبار صفة الذات حالا هو افتراض أنها تختلف عن ملزومها أي عن الذات وعن لازمها أي صفة الوجود.

د) الوجود وحكمه :

كل هاته الأدلة، التي تثبت زيادة الوجود وتمييزه عن صفة الذات، تنطلق من صفات الذات كي تقرر تميز صفة الوجود. إلا أن المعتزلة لم تكتف بهذه الطريقة اللامباشرة لاثبات زيادة الوجود. حقيقة أن القول بزيادة وتمييز صفات الذات يفترض تمييز وزيادة الوجود، إلا أن تفرد صفة الوجود، بهذه الطريقة، ليس إلا استنتاجا. لذلك فإن كتاب «المجموع» سيبحث عن امكانية اثبات مباشر ومبدىء لزيادة الوجود. ودليل ابن متويه ينطلق من الوجود نفسه دون حاجة للمرور من صفة الذات. وهنا كذلك يتدخل **الحال** لحسم الاشكال. إذ الوجود حال. وهذا يعني أولا أن الوجود ليس صفة ذات. ومثلما أن الأحكام هي التي أدت بنا إلى اثبات تمييز صفات الذات فكذلك هي التي ستقودنا إلى تمييز الوجود من حيث هو. لأن «الصفات انما تتميز عن غيرها بالأحكام فلا يحصل العلم بالصفة على طريق التفصيل والتمييز بينها وبين غيرها إلا بعد أن نعلم حكمها»[38].

علينا إذن أن نبحث عن حكم الوجود من حيث هو. وكتاب المجموع يورد لنا ذلك «فأما كونه موجودا فهو ظهور أحكام الذوات لأنه موقوف على الوجود. فما لم يكن موجودا لم يثبت الصفات المقتضاة ولا يثبت الأحكام الراجعة

---

(38) ابن متويه، كتاب «المجموع»، ص. 157، س. 5 — 6.

إليها»[39]. «... وكان حكم صفة الوجود ما ثبت من ظهور صفة الذات بها حتى يكون هو الذي يصح ذلك (..) فكل موجود لأجل وجوده تظهر صفته المقتضاة عن صفة الذات وبوجوده يعرف ما هو عليه في ذاته»[40]. حكم صفة الوجود إذن اظهار صفات الذوات. وهذا الحكم، الاظهار، هو الذي يضمن تفرد وتميز الوجود عن غيره من الصفات. إذ لا اظهار إلا للوجود.

هكذا يبدو، من خلال النسق الاعتزالي، ان الوجود تابع وخاضع للثبوت. فصفات الذات تتضمن في ثناياها وجوب ثبوتها. وليس الوجود هنا إلا إحدى كيفياتها. وفي هذا التصور، حيث الوجود ليس إلا شرطا للظهور وللتحقق، فإنه سيكون ضرورة خاضعا للثبوت ولأحوال الذات. فالتحيز لا يصدر عن الوجود، لكن هذا الأخير شرط في ظهوره. حقيقة أنه قبل الوجود تكون أحكام صفات الذات ثابتة ومتضمنة فيها. فالتحيز لا يظهر إلا عند الوجود. إلا أن هذا لا يمنع من كون التحيز صفة حقيقية وثابتة في الجوهر. فبالوجود يتحلى الجوهر بكيفية جديدة إذ يمر من الثبوت إلى الظهور. وهذا تغير في كيفية ثبوت التحيز وليس اختلافا في طبيعته. إلا أن التحيز لا يمر من اللاوجود، من العدم، إلى الوجود. لكنه ينتقل من الثبوت إلى الوجود، من التضمن إلى الظهور. فالتحيز مثله مثل كل صفات الذات الأخرى يكتسي كيفية جديدة ليس إلا.

ووفق هذا المنظور فإن الاختلاف والتماثل لا يترتبان عن الوجود، بل عن صفات الذات وأحكامها المتضمنة فيها والمقتضاة عنها. وبهذا الصدد فإن نظرية الفرق الاعتزالية ستتدخل كي تستخلص تصورا حيث أن الذات وصفاتها تكون ثابتة في نفسها ويكون الوجود زائدا عليها.

لنلخص إذن موقف المعتزلة. الموجود تركيب بين الوجود وثلاث مستويات من الثبوت. الذات، وصفة الذات ثم الأحكام المترتبة عنها. فهذه المستويات الثلاثة تنتمي إلى الثبوت. فلها أسبقية على الوجود والظهور. فكأن أسبقية مستوى يؤدي بنا إلى مستوى آخر. فالثبوت يؤدي بنا إلى ثبوت آخر. فالتحيز يقودنا إلى

---

(39) ابن متويه، كتاب «المجموع»، ص. 159، س. 27 — 28.

(40) المرجع نفسه، ص. 136، س. 1 — 6.

الجوهرية. مثلما ان صفة الذات، التي هي علم تفصيل، تفترض علم جملة أي ثبوت ذات متساوية. فكل مستوى من المستويات الثابتة يقودنا إلى المستوى الآخر. لكن أي طرف منها مهما كانت أهميته وأسبقية ثبوته فإنه لا يؤدي بنا البتة إلى الوجود. فالثبوت لا يتضمن الوجود بل إنه يستقبله كحال وحدث قادم من الخارج.

IV ـــ اعتراضات الاشاعرة :

إن هذا التصور الجديد لعلاقة الذات بالوجود، الذي أحدثه المعتزلة ودشن منحى وجوديا جديدا في الفلسفة، قد واجه اعتراضات وانتقادات من طرف مجموع الاشاعرة. وقد لخص لنا الايجي في كتاب المواقف، هذه الشكوك والشبه. فإذا كان الوجود يضاف إلى الماهية «من حيث هي غير موجودة فكانت معدومة فيلزم اتصاف المعدوم بالوجود وأنه تناقض»[41].

أما الاعتراض الثاني فإنه يتبلور على الشكل التالي : «قيام الصفة الثبوتية بالشيء فرع وجوده في نفسه ضرورة، فلو كان الوجود صفة قائمة بالماهية لزم أن يكون قبل الوجود لها وجود. ويلزم تقدم الشيء على نفسه. ويعود الكلام في ذلك الوجود ويتسلسل»[42]. أما الاعتراض الثالث فإنه متعلق بالعرض أي بالوجود. «فلو كان زائدا لكان له وجود ويتسلسل»[43].

إن هذه الاعتراضات الثلاثة التي أوردها الايجي سيقدمها التفتزاني في شرح المقاصد، لكنه سيجعل منها اثنين فقط. الأول متعلق بالعرض أي بالوجود. والثاني بالمعروض أي بالماهية. «فالماهية المعروضة إما معدومة فيتناقض أو موجودة فيدور أو يتسلسل. وتقرير الثاني ان الوجود العارض اما معدوم فيتصف الشيء بنقيضه ويثبت في المحل ما لا ثبوت له في نفسه واما موجود فيزيد وجوده عليه وتتسلسل الوجودات»[44].

---

(41) الايجي : كتاب «المواقف»، ص. 48.

(42) المرجع نفسه، ص. 48.

(43) المرجع نفسه، ص. 48.

(44) التفتزاني : «شرح المقاصد»، ج. 1، ص. 361، تحقيق عبد الرحمن عميرة، مكتبة الكليات الأزهرية.

إن هذه الاعتراضات التي أرادت تحطيم نظرية زيادة الوجود على الماهية التي أحدثها المعتزلة قد وجدت حلها في كتبهم. وسنحاول استخلاصها من خلال كتب المعتزلة التي وصلتنا مؤخرا وكذلك من خلال التحليلات التي أقامها المفسرون بعد المعتزلة. ونحن نعتقد بأن نظرية الأحوال التي أبدعها أبو هاشم الجبائي هي بالضبط التي ستسمح بتجاوز الصعوبتين. فنظرية الأحوال ستكسر الفكر الثنائي الذي ساد عند الأشاعرة والذي مكنهم من إيراد الاعتراضين. فالحال سابق على الوجود والعدم. إذ هو ليس بموجود وليس بمعدوم. لأن الحال ثابت. فالثبوت ليس هو الوجود وليس هو العدم. بل هو سابق لهما، بحيث ان الشيء لا يكون موجودا أو معدوما إلا إذا كان أولا ثابتا. وعلى العكس من ذلك فما ليس بثابت، مثل الأمور المنفية فيستحيل أن يكون موجودا أو حتى معدوما. الحال إذن «توصف بالثبوت دون الوجود» لذلك فالحال «لا يوصف بالوجود والعدم»[45]. «ثم فرقتم [يقول الاشاعرة لأصحاب الأحوال] بين الوجود والثبوت فاطلقتم لفظ الثبوت على الحال ومنعتم اطلاق لفظ الوجود»[46]. وكتاب المغني للقاضي عبد الجبار يؤكد هذا الفهم الذي اختاره الشهرستاني للحال «**لا مدخل لها [الصفات الراجعة للجنس] في الوجود والعدم، وإنما هي أحوال تجب له لجنسه**»[47]. فصفات الأجناس، أي الأحوال اللامعللة، ثابتة ولا يدخل في حقيقتها الوجود والعدم.

هكذا فالثنائية الاشعرية بين الوجود والعدم ستحطم على يد المعتزلة. إذ هناك مستوى سابق للوجود وهو الثبوت. لذلك جاز للصفات الثابتة أن تستقبل الوجود من حيث هي ثابتة. فلا تناقض ولا تسلسل. لأن الوجود لا يضاف إلى الجوهرية من حيث هي موجودة وإلا فتحصيل حاصل أو تسلسل. ولا يضاف إليها من حيث هي معدومة فيضاف الوجود إلى العدم. بل انه يضاف إليها من حيث هي ثابتة.

---

(45) الشهرستاني : «نهاية الاقدام في علم الكلام»، ص. 135.

(46) المرجع نفسه، 134، س. 14 — 15.

(47) القاضي عبد الجبار : «المغني في أبواب العدل والتوحيد»، الجزء الثامن، ص. 166، س. 9.

هكذا سيتم تجاوز الاعتراض بابداع مستوى جديد سابق للوجود، وهو الثبوت. وهذا الثبوت لا يرد إلى الذهن ولا إلى العلم الإلهي، بل هو متقرر في الخارج.

أما جواب المعتزلة على الاعتراض الثاني فإنه قد تبلور على الشكل التالي. إذا كان الوجود يضاف إلى الذات الثابتة في الخارج فإنه يتحتم على الوجود أن يكون ثابتا كذلك. لذلك فإن موقف المعتزلة بشأن هذا الاعتراض كان دليلا لاثبات الأحوال. «الوجود ليس موجودا، وإلا زاد وجوده ويتسلسل، ولا معدوما، والا اتصف الشيء بنقيضه»[47]. ومعنى ذلك أن الوجود حال. أي لا يمكن رده إلى الذات ولا يكفي القول بأنه اسم مخطوط ولا حتى أنه معقول ثان كما سيقول الطوسي فيما بعد. فكون الوجود ليس بذات ولا بصفة ذات تعذر أن تنطبق عليه الموجودية والمعدومية. إذ هو وجود فقط. إذ كي يكون موجودا أو معدوما وجب أولا أن يكون ذاتا. لكن الأمر على خلاف ذلك. فوجب هنا كذلك إقامة مستوى يتمحور فيه **الوجود** بعيدا عن مستوى الموجود. لأن الوجود صفة للموجود وليس هو الموجود. وفي نص ممتاز يجيب فيه الطوسي على تمويهات فخر الدين الرازي المعتادة ضد المعتزلة «يقولون [المعتزلة] إن الوجود أخص من الثبوت. **والموجود كل ذات ليس له صفة الوجود والصفة لا يكون لها ذات لا جرم لا تكون موجودة ولا معدومة ومن هنا ذهبوا إلى القول بالواسطة. فإنهم يعنون بالذات** والشيء كل ما يعلم أو يخبر عنه بالاستقلال والصفة كل ما لا يعلم إلا بالتبعية وكل ذات اما موجودة أو معدومة»[49]. فالوجود لا يكون موجودا «لأن الصفة لا يكون لها ذات موصوفا بالوجود»[50].

إن نظرية الاحوال إذن هي التي مكنت المعتزلة من تجاوز اعتراضات الاشاعرة بصدد زيادة الوجود. فكي يكون الوجود زائدا على الماهية عليه أولا أن يكون حالا. فعند زيادته فهو ليس بموجود في الاعيان حتى نسقط في التسلسل إلى ما لا نهاية ؛ وليس بمعدوم لأن الذات وحدها هي التي قد تكون كذلك، وهكذا

(48) الايجي : «المواقف»، ص. 57 — 58.

(49) الطوسي : على هامش «المحصل للرازي»، ص. 39، القاهرة.

(50) المرجع نفسه.

يتفادى التناقض. وحتى وان كان الوجود لا موجودا ولا معدوما فإنه يستحيل رده، من حيث هو، إلى الذهن، أو الادعاء بأنه من المعقولات الثانية. فأسبقية الثبوت والتقرر على التحقق في الاعيان هي التي تقصي مفهوم المعقول الثاني. فزيادة الوجود على الذات بمستوياتها ليست منطقية بل ميتافيزيقية.

هكذا يبدو جليا بأن السبق قد كان للمعتزلة في إبداع تيار فلسفي كان هو أول من واجه، في إطار الفكر الإسلامي، بوعي أو بلا وعي، الاتجاه الأرسطي. فنقطة الانطلاق للتمييز بين الوجود والماهية لم يكن عند الاشاعرة ولا عند ابن سينا بل عند المعتزلة. بحيث يمكن اعتبار هذا التمييز احدى المحددات الأساسية للفكر الفلسفي الاعتزالي. ان دراسة هذا الاشكال الفلسفي تجعلنا نلمس إلى أي مدى كان الفكر الاعتزالي مبدعا ومجددا، بل ومؤسسا لتيار فلسفي طبع تاريخ الفلسفة عبر العصور.

ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود(*)

عمـــر أفـــا

كلية الآداب ــ الرباط

تعتبر القراءة في تاريخ الخط المغربي قراءة في الحضارة المغربية، وان المتأمل بوعي في حنايا الحروف وانعطافاتها، إنما يقوم برحلة في أعماق تلك الحضارة.

ولعل أكثر الوثائق أصالة وأقواها عدّة أمام الباحث المتطلع لقراءة تاريخ هذا الخط، إنما تتمثل في خطوط المصاحف[1] والآثار المعمارية[2] والقطع النقدية[3] قبل غيرها. ذلك أن الخطاط، وهو بصدد انجاز مثل هذه الوثائق، يكون مسلحا بقوتين : إحداهما قوة الحماس والتقوى اللذين تقتضيهما الرغبة في مضاعفة الثواب

(*) قُدِّم هذا العرض مساهمة في مهرجان المغرب العربي الأول للخط العربي والزخرفة الإسلامية الذي أقيم بالتعاون بين الجمعية المغربية للخط العربي والزخرفة الإسلامية وجمعية أنجاد للمغرب الشرقي في كلية الآداب بالرباط بتاريخ 1990/3/9.

(1) أنجز الخطاط الجزائري محمد شريفي دراسة جامعية قيمة عن خطوط المصاحف، انظر : شريفي محمد بن سعيد.ــ **خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة، من القرن الرابع إلى العاشر الهجري**، من منشورات : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.

(2) من أشهر الدراسات والنماذج المنشورة حول الخطوط في العمارة المغربية، انظر مثلاً :

Bel (A).- **Les inscriptions arabes de Fes**.- Imprimerie Nationale, 1919.

(3) لا توجد غير إشارات قليلة جدّاً تتعلّق بالخط المغربي انطلاقاً من الكتابات على النقود نسوق أمثلة منها :

Eustache, (D).- Corpus des Dirhams Idrisites et contemprorains : Etudes sur la numismatique et l'histoire monétaire du Maroc, Rabat, Imprimerie de l'Agdal, 1970-1971.

توري عبد العزيز.ــ «حول كنز صغير حديث الاكتشاف»، **مجلة المناهل**، عدد 30، سنة 1984، ص 282.

عثمان عثمان إسماعيل.ــ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى (1992)، جـ 1 : 342.

والأجر ؛ والثانية قوة العناد الذي تقتضيه صناعة النقش، فيكون الفعل مصحوبا بسبق إصرار، تُحَفِّزُه الرغبة في التفوق، مما يجعل مثل هذه الأعمال تختزن مقداراً هائلا من الابداع.

وإن مساهمتي هذه، إنما تعتبر بداية أولية في مشروع — لم ينجز بعد — يستهدف قراءةً في تاريخ الخط المغربي عبر الكتابة على القطع النقدية، لاستجلاء ما عرفه هذا الخط من تطور تاريخي، وما يكتنزه من أصالة تمثلت في هندسته وقواعده المتميزة. ونعالج الموضوع هنا في جانبيه المنهجي والتطبيقي.

أولا : الجانب المنهجي :

أما بخصوص الجانب المنهجي لهذا الموضوع، فإنه يقتضي اتباع ثلاث مراحل أساسية :

المرحلة الأولى : تتضمن فحص أدوات العمل ووسائل التحليل، بما فيها :

1 — تصور الطريقة التي تتم بها الكتابة على النقود.

2 — الإلمام بالجانب المعرفي لتطور الخط المغربي من خلال المراجع السائدة.

3 — دراية تامة بأنواع الخطوط المغربية[4] والمشرقية.

4 — استقصاء وجمع مختلف النماذج النقدية المعروفة عن طريق المراجع وبالاعتماد على القطع النقدية الموجودة في بعض المتاحف وضمن المجموعات الخاصة. ويعتبر هذا الاستقصاء حاسماً من بين هذه الأدوات، لأننا نعلم أن أي

---

(4) ظهرت محاولات لتاريخ أولي لأنواع الخطوط المغربية وهي دراسات في مستوى نهاية الإجازة في العلوم الإنسانية انظر :
المصلوحي محمد.— **إبداع الخط العربي**، بحث بشعبة الدراسات الإسلامية بإشراف الأستاذ محمد اللوزي السنة الجامعية 84 — 1985.
الشقيري فتيحة.— **جوانب من التطور التاريخي للخط المغربي**، بحث بشعبة التاريخ بإشراف عمر أفا السنة الجامعية 87 — 1988، وقد طبع بمطبعة المعارف الجديدة بالرباط 1990.
غير أنه ظهر مؤخرا كتاب مهم في هذا الموضوع للأستاذ محمد المنوني. انظر :
المنوني محمد.— **تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة**، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1991.

مجموعة نقدية مهما بلغ عدد قطعها لا يمكن أن توفر للباحث جميع ما صدر من المسكوكات.

المرحلة الثانية : تتضمن رصد مراحل تطور الخطوط وإخضاعها من حيث الزمن لعهود الدول المتعاقبة على الحكم بالمغرب ؛ وفي كل عهد يتم ضبط ما يلي :

1 ــ استخراج جداول للحروف المفردة حسب أشكالها من القطع النقدية.

2 ــ استخراج مقاطع كاملة للعبارات المكتوبة على النقود لإبراز تركيب حروفها. ويتم هذا الاستخراج بالنقل المقلد أو بالتصوير.

3 ــ تصنيف مقاطع الحروف حسب معامل ضرب السكة في عهد كل دولة.

4 ــ تحليل المعطيات المتجمعة للوصول إلى نتائج تحدد أنواع الخطوط السائدة ومميّزات تلك الخطوط ومستواها في عهد إحدى الدول، قبل الانتقال إلى عهد دولة أخرى.

المرحلة الثالثة : التصدي لمجموع النتائج لاستخراج الملامح العامة لتطور الخط المغربي وتصنيف أنواعه بناء على قواعد مدققة، وبالتالي الإجابة عن التساؤلات الكبرى التي تعرفها المراجع المتداولة، والخروج من مرحلة التناقضات التي في حجم التناقض بين الرأي القائل بأن الخط الكوفي والنسخي وصلا إلى المغرب، وقد بقي الخط النسخي لسهولة رسمه أصلا للخط المغربي[5] وبين الرأي القائل بأن الخط الكوفي هو أصل للخط المغربي بعد ما طرأ عليه من التغيرات[6] وكذا الإجابة على كثير من التساؤلات الأخرى.

وهكذا فإن الشروط التي يضعها هذا المنهاج تجعل إنجاز هذا العمل في حاجة إلى وقت ومجهود كبيرين لا تستوعبهما ظروف هذه المساهمة.

ولذلك نكتفي بإعطاء أمثلة عن ملامح الخط من خلال الكتابة على النقود في عهد الدولة الإدريسية، مع تقديم ملاحظات أولية بخصوص العهود الأخرى، وقد

---

(5) مايزال هذا الرأي مجالاً للنقاش رغم ما يفيده مضمون المقال المنشور للخطاط يوسف دنون حول تعايش النسخي والكوفي (انظر مرجع هامش 10).

(6) أغلبية الآراء تأخذ بالخط الكوفي أصلاً للخط المغربي ومن بينها رأي : هوداس.ــ محاولة في الخط المغربي، (م.س)، ص 192.

أعددنا بصدد ذلك نماذج توضيحية لخطوط كل فترة[7].

نطلق إذاً من محاولة إدراك الطريقة التي تتمّ بها الكتابة على القطع النقدية، مقتصرين هنا على ذكر أشهرها[8] : فسواء كانت النقود من الذهب أو الفضة أو النحاس، فإن الكتابة عليها تخضع لمجموعتين من العمليات :

المجموعة الأولى : والهدف منها إنجاز الخاتم من الحديد الصلب، ويستلزم ذلك :

1 ــ تخطيط الكلمات المطلوبة على مساحة من الورق بحجم الدينار أو الدرهم.

2 ــ إعادة التخطيط معكوساً، بحيث يقرأ من اليسار إلى اليمين.

3 ــ تخطيط العبارات المعكوسة على الطرف الأول لخاتم مهيّإٍ من الحديد.

4 ــ نقش الخاتم بإفراغ أماكن الحروف ؛ فتبدو الكلمات عبارة عن تجاويف لحروف معكوسة.

5 ــ بنفس الطريقة، يتم إعداد الطرف الثاني للخاتم مماثلاً للأول حجماً، مخالفاً له من حيث العبارة المكتوبة، فيكون الخاتم جاهزا، وهو من قطعتين متقابلتين بهما صيغة النص المراد طبعه على وجهي الدينار أو الدرهم.

ملاحظة : إن نقش أشكال الحروف والعناية بحافاتها ونهايتها هما اللذان يحددان قيمة الخط، ومنها تنطلق معياريتنا لضبط مستويات الخطوط من حيث الجودة.

المجموعة الثانية : والهدف منها هو ضرب النقود وختمها، ويتم ذلك كما يلي :

1 ــ تهييء القطعة النقدية المعدنية المراد ضربها، وذلك بتحديد شكلها ووزنها.

2 ــ وضع هذه القطعة بين طرفي الخاتم فوق السندان.

---

(7) استعنا بالخطاط المغربي محمد المعلمين في عملية تقليد خطوط القطع النقدية المدرجة ضمن لوحات هذا البحث، فبذل في ذلك غاية الجهد.

(8) لخصنا بتركيز الجانب الوصفي لطريقة الكتابة على النقود ومراحلها، مع تجنب التفاصيل التقنية المتعلقة بالجانب الصناعي، كما تجنبنا وصف الطرق المعقدة مثل طريقة الختم على الكريات المعدنية الساخنة.

3 ــ قيام «صاحب المطرقة»[9] بضربة تجعل جزيآت القطعة النقدية تنضغط داخل تجاويف الخاتم فتتشكل كلمات بارزة الارتفاع على وجهي القطعة ميسورة القراءة.

ملاحظة : إن نسبة قوة الضغط التي يحدثها «صاحب المطرقة» أثناء عملية الضرب تعتبر ذات أهمية، بحيث ينبغي أن تكون مضبوطة : فإذا قلّت كمية الضغط عسُرت قراءة الكتابة ؛ وإذا قويّ الضغط تشققت جوانب القطعة النقدية وتشوهت حافاتُ الحروف ونهاياتُها.

بعد هذا التصور السريع لطريقة الكتابة على النقود، ننتقل إلى معاينة السِّمات المميّزة لأنواع الخطوط في هذه الكتابة.

ثانياً : الجانب التطبيقي :

1 ــ الكتابة على النقود في عهد الأدارسة :

ونعتني في هذا العهد بالقطع النقدية المتداولة في الفترة الممتدة بين عام 172هـ و295هـ / 788 ــ 908م.

فبعد الفحص الأولى لما توفر لنا من نماذج النقود الإدريسية، اعتماداً على جرد لقطع نقدية من خلال بعض المجموعات ومن خلال الصور المرافقة لدراسات في الموضوع[10]، نبادر إلى إبراز حقيقتين لهذه النقود : الحقيقة الأولى أنها لا تتوفر

(9) يطلق على كل فرد في دار السكة اسم خاص به تبعا لمهمته في عمليات الضرب : فمنهم «صاحب المزبرة» وهو المكلف بقطع الصفائح المعدنية وتحويلها إلى قطع نقدية فضية أو ذهبية مهيأة للختم ؛ ومنهم «صاحب المطرقة» وهو المكلف بضرب الخاتم ليتم طبع القطع النقدية. فمهمة الأول «القطع»، ومهمة الثاني «الختم» أو «الضرب»، وآخر «التطريق» وما إلى ذلك من العمليات (انظر تفاصيل مثل هذه العمليّات في المراجع التالية) :
ــ الحكيم، علي بن يوسف.ــ **الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة**، ط 2، دار الشروق، القاهرة، 1986.
ــ ابن بعرة، منصور الذهبي الكاملي.ــ **كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية**. تحقيق عبد الرحمان فهمي، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966.
ــ الجزنائي، أبو العباس أحمد حمدون.ــ **الأصداف المنفضة عن أحكام علم صناعة الدينار والفضة**. (مخطوط الخزانة الكُتونية).

(10) رجعنا إلى مثل هذه النماذج من خلال عدة مجموعات نقدية، منها : =

على قطع ذهبية، وإنما هي قطع فضية وأخرى من النحاس، وسنرى مدى انعكاس آثار هذه الحقيقة على مقدار جودة الخطوط ؛ والحقيقة الثانية أن جميع القطع في هذا العهد كُتِبت بالخط الكوفي دون غيره، ويتميز الخط الكوفي بأن حروفه مستقيمة ذات زوايا حادة، وهو ما يسمى بالخط اليابس بينما يعتبر غيره خطوطاً لينة[11].

وبتحليل نماذج الخطوط في النقود الإدريسيّة، استطعنا تحديد خطوط خمسة وعشرين معملاً لضرب السكة موزعة جغرافيّاً بين مناطق حضارية وأخرى بدوية مع الإشارة إلى وجود عُسر في ضبط الفرق بين هذين المجالين بدقة، زيادة على أن بعض دور السكة لم يتمكن الدارسون من توطينه جغرافيّاً بكيفيّة محدّدة حتى الآن.

أما تحديد مستويات الخطوط في النقود الصادرة عن هذه المعامل، فقد اعتمدنا في تصنيفها على مدى جمالية الحروف وتناغم أشكالها ؛ وذلك بملاحظة الجانب الهندسي لحافاتها الجانبية ونهاياتها، وهو ما أشرنا إليه حينما تحدثنا عن نقش الأختام.

وفي إطار هذه الشروط صنّفنا تلك الخطوط حسب مستوى جودة خطوطها إلى ثلاثة مستويات، فكان ذلك يتكامل جغرافيّاً مع توزيع المعامل على الشكل التالي :

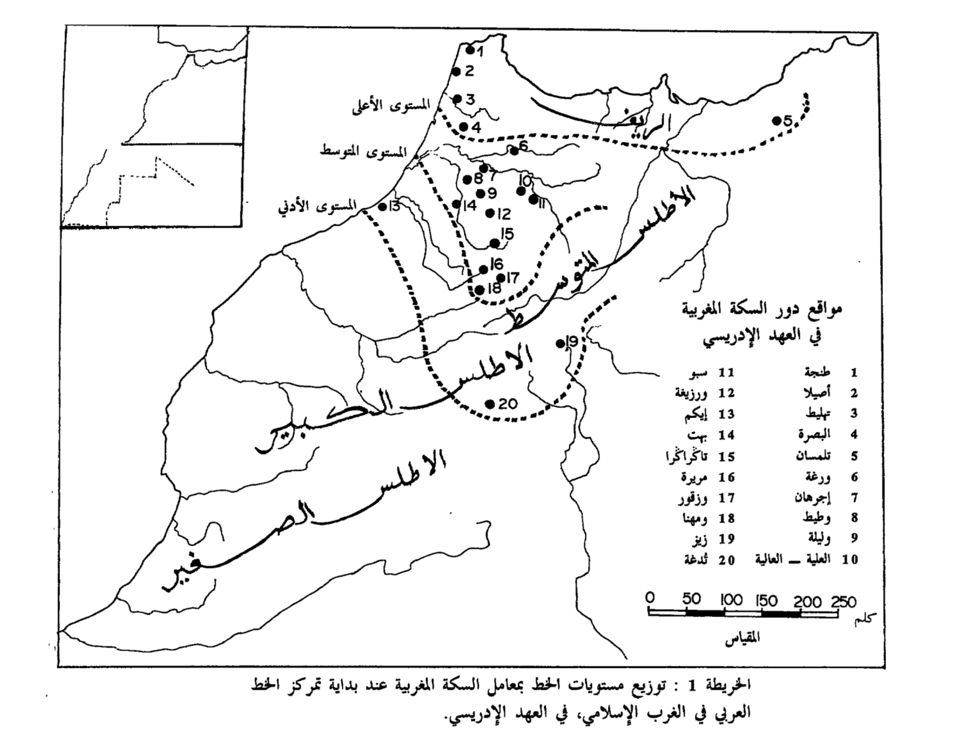
ـــ المستوى الأعلى من الخطوط ينتمي إلى معامل طنجة وأصيلا والبصرة وأحوازها، ويصنف معها معمل تلمسان.

ـــ المستوى المتوسط ينتمي إلى معامل وليلي وفاس متجها صوب الأطلس المتوسط، في معامل العالية وطيط وزقورة ومهنا وتاكْراكْرا... وغيرها.

ـــ المستوى الأدنى ينتمي إلى معامل إيكّم في تامسنا وتدغة في درعة ومريرة وزيز.

= مجموعة الأستاذ أحمد شرف الدين، بمدينة العيون، ومجموعة المتحف الأثري التابع لوزارة الثقافة بالرباط وغيرها، وكذلك من خلال الصور ضمن كتاب أسطاش ـــ الوارد في هامش 3 ـــ وكتاب بريط : Brethes, Joseph Dominique.- **Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques**.- imp. Les Annales Marocaines, Casablanca, 1939.

(11) ذنّون يوسف.ـــ **خط الثلث ومراجع الفن الإسلامي**، ضمن أعمال ندوة الفنون الإسلامية : المبادىء والأشكال والمضامين المشتركة، 1983، إعداد أحمد عيسى وآخرون، دار الفكر، دمشق، 1989.



الخريطة 1 : توزيع مستويات الخط بمعامل السكة المغربية عند بداية تمركز الخط العربي في الغرب الإسلامي، في العهد الإدريسي.

وفي هذا التصنيف يتجلى وجود مركز الجاذبية في منطقة طنجة. وتقل جودة الخط في هذه الفترة كلما ابتعدنا عن هذا المركز نحو الهوامش. ويبدو أن الخطوط وإن كانت وافدة أصلاً مع الفتح الإسلامي من المشرق، فإن مركز الجاذبية كان يتجه يومئذ نحو الأندلس حيث كانت تستقر الطاقات البشرية بعد فتح بلاد ايبيريا ؛ وتأتي نصوص ابن خلدون في المقدمة لتؤكد هيمنة التيار الأندلسي في مجال الخط وهو يتحدث في المراحل اللاّحقة عن تطور الخطوط المغربية[12]. وقد بدا لنا أيضاً حينما لاحظنا هندسة توزيع الكتابة في فضاء القطعة النقدية، وكذلك توحيد العبارات أحياناً في أغلب القطع، أن هناك نموذجاً موحّداً تؤخذ عليه الأختام في أكثر من معمل واحد. غير أن ذلك لا يؤثر في التصنيف الذي قمنا



في الطوق :

محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

في الوسط :

محمد رسول الله

القاسم بن ادريس

اللوحة 1 : نموذج من الخط الكوفي بدون تنقيط (الآية 33 من سورة التوبة) : درهم إدريسي ضرب سنة 241هـ في عهد القاسم بن إدريس (Eustache, 1971. PL 1. N°5).

(12) ابن خلدون عبد الرحمان.ــ مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت (د.ت)، ص 466.

به لأنه حتى وإن كان النموذج موحداً، فإن إمكانيات تجويد الخط متفاوتة من معمل إلى آخر ؛ بل ــ أكثر من ذلك ــ نجد بعض المعامل تتعرض فيها جودة الخط للانخفاض أحياناً ثم تعود للارتفاع أحياناً أخرى، وذلك حسب مستوى الخطاطين ممّا يلاحظ حتى في المعامل الواقعة في المنطقة الأولى المتميزة بجودة الخط.

إلى هذا الحد يمكن أن نصدر حكماً عامّاً على الخط الكوفي الشائع على القطع النقدية طوال العهد الإدريسي. فالخط المستعمل يعتبر متواضعاً، تغلب عليه البساطة، ولا يظهر عليه أيّ أثر للتحضّر : فنهايات الحروف لا أثر فيها للزخرفة والجمالية ؛ فهو خط كوفي يتميز بالجفاف وعدم الاغتناء مما يعتبر انعكاساً لحالة الدولة نفسها، التي كانت تعيش وضعية اقتصادية محدودة ؛ ويعتبر عدم ظهور الدنانير الذهبية ــ كما لاحظنا في مجال التداول ــ مؤشراً يؤكد هذه الوضعية كما يؤكد ما يتسم به الخط من جفاف، وإلى جانب هذه الرؤية فإننا لم نغفل أن سك النقود الذهبية كانت تقف دونه صعوبات تتمثل، من جهة، في عدم توسُّع الدولة الادريسية تجاريا نحو مناجم الذهب الافريقية، ومن جهة فإن سك النقود الذهبية ظل من الحقوق التقليدية للخلافة العباسية في الشرق و لم يقع تجاوز هذا التقليد في الغرب الإسلامي إلا في عهد الأمير عبد الرحمان الثالث بالأندلس حيث سك الدينار الذهبي في بداية القرن الرابع الهجري العاشر للميلاد.

2 ــ الكتابة على النقود في العهود اللاّحقة (ملاحظات أولية) :

1) في العهد المرابطي : ظهرت النقود الذهبية بوفرة بفضل نمو تجارة القوافل مع افريقيا، كما اتسعت الامبراطورية المرابطية نحو الأندلس ؛ فعرف الخط الكوفي جودة تفوق الخط الكوفي في العهد الإدريسي حيث تعلو حافات حروفها بعضُ الزخارف، بالإضافة إلى ما يبدو من ليونة في أشكاله الهندسية، وبالخصوص في القطع المضروبة بالأندلس (اللوحة 2).



في الوسط :

بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار باشبيلية
عام احدى واربعين وخمسمائة

في الطوق :

الامام عبد الله امير المومنين العباسي

اللوحة 2 : الخط الكوفي المزخرف : على دينار مرابطي ضرب باشبيلية سنة 541هـ (مطبوع بنك المغرب، الرباط، 1987، ص 19).

وفي هذا العهد ظهرت في بعض القطع بوادر الخط المغربيّ اللّيّن الذي يدعى «خط الثلث المتمغرب»[13] وبخاصة تلك القطع التي ضربت في سجلماسة في عهد يوسف بن تاشفين، والتي ضربت في قرطبة في عهد إسحاق بن علي. وكان بعض الباحثين قد درج على تصنيف الخطوط إلى نوعين : خط جاف، وهو «الخط الكوفي» ؛ وخط ليّن وهو «الخط النسخي». ومن هنا وقع خلط في المصطلح بين الخط النسخي وخط الثلث فكانوا يسمون الخطوط اللينة التي ظهرت بالمغرب

---

(13) تطور اسم هذا الخط من «الخط المشرْقي» إلى «الخط المشرْقي المتمغرب» إلى «خط الثلث المتمغرب» وقد استحسن الأستاذ محمد المنوني الاسم الأخير، لمطابقته للاسم الحقيقي.

على النقود وعلى الآثار المعمارية باسم الخط النسخي[14]. والواقع أن الخط النسخي يكاد يكون معدوما على الآثار وعلى النقود عند القرن السابع الهجري / الثالث عشر للميلاد، بحيث اقتصر على المصاحف والمخطوطات بصورة عامة، بينما كان خط الثلث ــ وهو خط التزيين والزخرفة ــ قد استعمل على الآثار والنقود بالمشرق منذ القرن الرابع الهجري / العاشر للميلاد[15] وهو الذي شاع استعماله في الاثار المعمارية والنقود بالأندلس والمغرب منذ أواخر العهد المرابطي وبداية العهد الموحدي إلى الآن، وقد تعرض لتحويرات جمالية على يد الخطاط المغربي بأسلوب مخالف للأسلوب المشرقي، وقد سمي من أجل ذلك «خط الثلث المتمغرب» وهو من أصل خط الثلث وليس من الخط النسخي.

2) **في العهد الموحدي** : اختفى الخط الكوفي تدريجيّاً وظهر خط الثلث المتمغرب على جميع القطع النقدية الذهبية منها والفضية، ولعل ذلك راجع إلى التعارض السياسي والمذهبي الذي حصل بين الموحدين والمرابطين، زيادة على أن اختفاء الخط الكوفي كان ظاهرة عامة في المشرق العربي أيضاً في القرن الخامس الهجري[16]. وبدلاً من الشكل الدائري ضرب الموحدون الدرهم المربع، كما رسموا الشكل الرباعي على الدنانير المستديرة، وكانت الخطوط فيها تميل إلى الثُّلث، واتخذت أوضاعاً زخرفية مما يسمى بـ«خط الثلث المتمغرب».

---

(14) أشار الأستاذ توري عبد العزيز إلى احتدام النقاش حول ظهور الخط النسخي في الغرب الإسلامي ؛ ولكنه أبقى على تسمية الخط غير الكوفي الذي ظهر على النقود وعلى الآثار المعمارية في العهد الموحدي باسم الخط النسخي، كما درج على ذلك هوداس وغيره ؛ انظر : هوداس، محاولة في الخط المغربي (م.س)، ص 172.

(15) ذنّون يوسف.ــ **خط الثلث ومراجع الفن الإسلامي** (م.س)، ص 108.

(16) ذنّون يوسف.ــ **الجديد في نشأة الخط العربي وتطوره إلى القرن السابع الهجري** (عرض قُدّم ضمن أعمال الندوة الثقافية لمهرجان المغرب العربي الأول للخط والزخرفة الإسلامية بكلية الآداب بالرباط في مارس 1990).



في الوسط :

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وعلى اله وصحبه الاكرمين لا اله الا الله محمد رسول الله

في الطوق :

الخليفة الامام المومن بالله تعالى / المرتضى ابن امير المسلمين ابو حفص
ابن سيدنا الامير الطاهر ابى ابرهيم بن سيدنا الخليفتين

اللوحة 3 : نموذج من خط الثلث المتمغرب : على دينار موحدي ضرب في عهد أبي حفص عمر المرتضى، توفي 665هـ (Brethes. P. 142).

3) **في العهد المريني** : نما الخط المغربي وتطور وغلب على القطع خطّ الثلث المتمغرب مع تطور في أصنافه، كما ظهر في بعضها الخط المعروف بالمجوهر.

لم يقع بعد استيعاب كل التطورات الحاصلة في هذا العهد من خلال النقود. والمعروف أنه في هذه الفترة تميزت أشكال من الخطوط المنسوبة إلى أغلب بلدان





الوجـه :

لا اله الا الله الامر كله لله لا قوة الا بالله

الظهـر :

الله ربنا محمد رسولنا المهدي امامنا

اللوحة 3 مكرر : الدرهم الرباعي الموحدي وعليه نموذج من خط الثلث المتمغرب، ضرب بسبتة بدون تاريخ (مطبوع بنك المغرب، ص 19).

الغرب الإسلامي : منها الخط القيرواني ــ في تونس ــ والخط الجزائري والخط الفاسي والخط الأندلسي والخط السوداني.

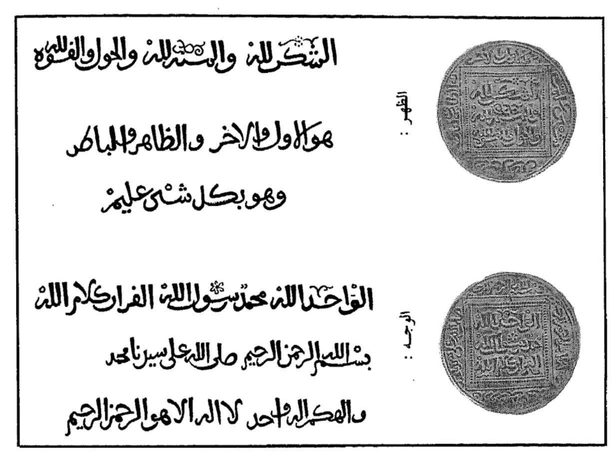
وعُرفت من خطوط المغرب الأقصى خمسةُ أنواع استمرّ استعمالها حتى الآن، وهي خطوط : الكوفي والثلث المتمغرب والمبسوط والمجوهر والمسند أو الزمامي[17].

وكان كلّ نوع من هذه الخطوط يستعمل في أغراض خاصة. فالكوفي كان يستعمل في كتابة المصاحف الأوْلى، وفي الكتابة على النقود ؛ ثم اقتصر على عناوين

---

(17) المنوني محمد.ــ **تاريخ الوراقة المغربية** (م.س)، ص. 13، 47.

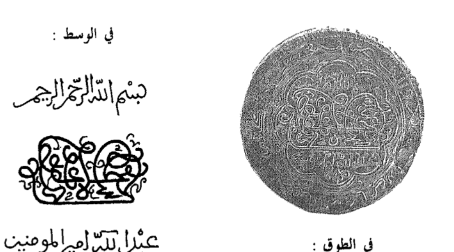
سور القرآن الكريم وبعض الزخارف الأثرية، وكان خط الثلث المتمغرب يستعمل على النقود والآثار المعمارية وعناوين السور القرآنية وزخارف المخطوطات، بينما استعمل الخط المبسوط في كتابة المصاحف عموماً، واستعمل الخط المجوهر في كتابة الظهائر والرسائل السلطانية وعقود الأنكحة وبعض المخطوطات. وقد اختص الخط المسند أو الزمامي بكتابة مختلف أغراض الكتابة السريعة مثل تقاييد العدول والتقاييد عامّة، وكذلك الرسائل والمذكرات الشخصية.



اللوحة 4 : نموذج خط الثلث المتمغرب، دينار مريني ضرب بسجلماسة، بدون تاريخ (Brethes. PL. 24, N° 1353).

4) **في العهد السعدي** : نمت هذه الأنواع من الخطوط المغربية وتأنق بالخصوص منها «خط الثّلث المتمغرب» المكتوب على القطع النقدية، (اللوحة 5).

لعل ذلك كان بتأثير الأسلوب التركي الذي كان له دور كبير في مجال الخط العربي في هذه المرحلة ؛ واستمر ذلك إلى نهاية حكم أحمد المنصور الذهبي وأبنائه،



اللوحة 5 : خط الثلث المتمغرب، على مثقال فضي سعدي ضرب بمراكش سنة 1016هـ (مطبوع بنك المغرب، ص 24).

ثم آل الأمر فيما بعد إلى عدة إمارات تقاسمت الحكم، فظهرت نقود الإمارة الدلائية في وسط المغرب[18] ونقود الإمارة السملالية في القسم الجنوبي منه[19]. ولم نستطع تتبع ما حدث من تطور في الخطوط خلال هذه المرحلة، لأن تلك السكك لم يبق لها وجود فيما نعلم.

5) **في العهد العلوي** : نظراً لأن هذا العهد دام أزيد من ثلاثة قرون، فقد طرأت على البلاد أحداث كانَ لها أكبر الوقع في مسيرة الخط المغربي. وأهم هذه الأحداث هيمنة الضغوط الأجنبية، التي ظهرت بوادرها منذ القرن الثامن عشر

---

(18) حجي محمد.ـــ الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ط 2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1988، ص. 232.

(19) أفا عمر.ـــ مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822 ـــ 1906)، منشورات كلّية الآداب بأكادير، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء، 1988، ص. 277 ـــ 284.

واستفحلت طوال القرن التاسع عشر، ثم أفضى ذلك إلى فرض نظام الحماية الفرنسية على المغرب، وكان قد استمر إلى منتصف القرن العشرين.

خلال هذه المدة الطويلة فإن النقود العلوية[20] إذا استطاعت أن تحتفظ — في بداية الدولة — برونق خط الثّلث المتمغرب كاستمرار للتأثير السعدي فإن هذا الخط عرف نوعا من التردي بعد وفاة السلطان مولاي اسماعيل. لكن الإصلاح النقدي الذي قام به السلطان محمد بن عبد الله سنة 1766[21] أعاد رونق هذا الخط إلى القطع النقدية وبالخصوص إلى قطع المثقال الفضي الذي وقعت تحليته بآيات قرآنية، (اللوحة 6).



اللوحة 6 : خط الثلث المتمغرب كتبت به (الآيتان 34، 35 من سورة التوبة) على مثقال فضي علوي ضرب في عهد السلطان محمد بن عبد الله
.(Brethes. PL. 32, N° 1799)

(20) وضع المستعرب الفرنسي، واحد المختصين في علم المسكوكات الإسلامية، موسوعة قيّمة عن مسكوكات الدولة العلوية في ثلاثة مجلّدات بعنوان :

Deustache, Daniel.- **Corpus des monnaies Alawites,** collections de la banque du Maroc, et autres collections mondiales, Publiques et Privées, Rabat, 1984.

(21) جرمان عياش.— **دراسات في تاريخ المغرب**.— مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1986، ص. 108.

ومنذ بداية القرن التاسع عشر، ونتيجة الزحف الاستعماري الذي أحدث اضطراباً في جميع مرافق المجتمع المغربي، تدهورت قيمة النقود وقلّت جودة خطوطها، فاستمر هذا التردي في الخطوط علي الرغم من نشأة الطباعة الحجرية بالمغرب في هذه الفترة سنة 1864[22]، أي بعد أربع سنوات من حرب تطوان بل استفحلت رداءة الخطوط، وخاصة بعد الانقطاع النهائي للنقود الذهبية حيث أصبح مجال التداول بالمغرب مقتصراً على انتشار قطع فضية صغيرة تتألف من الدراهم وأنصافها وأرباعها وقطع الفلوس النحاسية. إلى جانب هذه القطع، برزت هيمنة العملة الأجنبية الفرنسية منها والاسبانية على الخصوص.

وفي إطار إصلاحات القرن التاسع عشر، قام السلطان مولاي الحسن بإصلاح

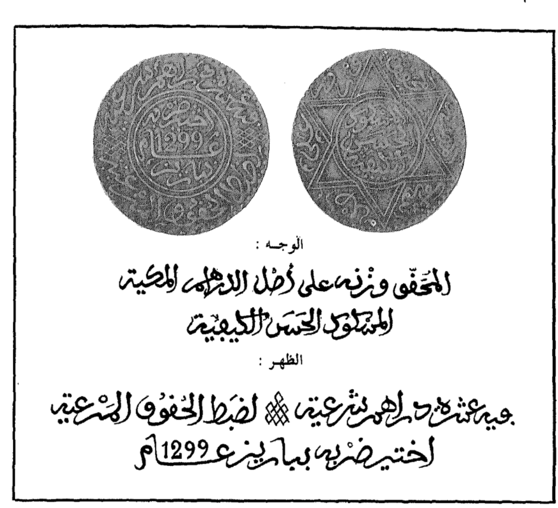


اللوحة 7 : نماذج أولية للنقود المضروبة بباريس في عهد السلطان مولاي الحسن وهي بخط الثلث المتمغرب (الأصل محفوظ بملف مديرية الوثائق الملكية بالرباط).

(22) جرمان عياش.ـــ نفس المرجع السابق، ص. 121 ـــ 143 ؛ وانظر عن نشأة الطباعة أيضا : المنوني محمد.ـــ **مظاهر يقظة المغرب الحديث**.ـــ ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، وشركة النشر والتوزيع : المدارس، الدار البيضاء، 1985، ج 1، ص. 257 ـــ 294.

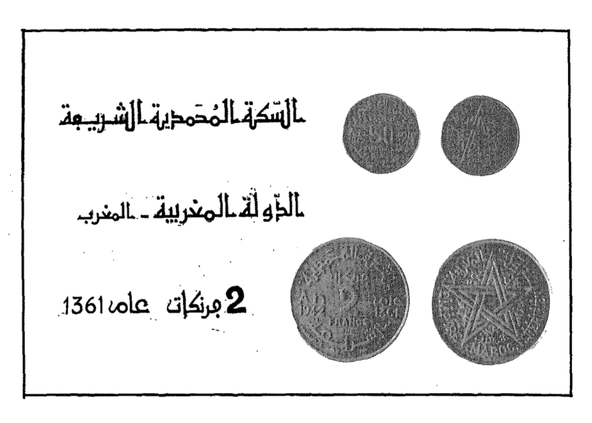
نقدي سنة 1881 حينما ضرب النقود المغربية بأوروبا وشمل ذلك إصلاحاً في مجال الخط أيضاً كما تؤكد ذلك النماذج التخطيطية المحفوظة في مديرية الوثائق الملكية بالرباط، وهي من «خط الثّلث المتمغرب»، (اللوحة 7).

يظهر رونق هذا الخط من خلال القطع الفضية الخمس المضروبة في باريس برسم السكة الحسنية، (اللوحة 8).



اللوحة 8 : خط مرونق من صنف «خط الثلث المتمغرب» على قطعة المثقال الفضي الحسني المضروبة بباريس 1299هـ، (Eustache, 1984, T. 3, PL. 34, N° 1300).

وهذا الخط هو الذي استمر به إصدار جميع القطع المضروبة بأوروبا خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر برسم السكة العزيزية والحفيظية، وطوال فترة الحماية الفرنسية على المغرب (1912 ــ 1956) ولم تغيّر الحماية هذا الخط على الرغم من استبدالها نظام الدرهم بنظام الفرنك سنة 1920، غير أنها أصدرت ثلاث قطع بالخط الكوفي الجميل إبّان الحرب العالمية الثانية مع استمرار الإصدار بخط الثّلث المتمغرب (اللوحة 9).



اللوحة 9 : نموذج الخط الكوفي الذي استعملته الحماية الفرنسية بالمغرب في قطعتين نحاسيتين سنة 1361هـ/ 1942.



اللوحة 10 : نموذج خط الثلث السائد على القطع النقدية المغربية بالإضافة إلى خط النسخ منذ 1376هـ/ 1956م إلى الآن.

ومنذ حصول المغرب على الاستقلال سنة 1956 حتى اليوم، فإن الخط الذي تصدر به النقود المغربية هو الخط النسخي وخط الثلث سواء منها القطع النقدية المعدنية أو الأوراق المالية البنكية[23]، (اللوحة 10).

(23) للاطلاع على نماذج النقود الخاصة بالدولة العلوية يمكن الرجوع إلى كتاب دنيال أوسطاش (مرجع هامش 18) وكتاب جوزيف بريط (مرجع هامش 9).

وفي الختام، إذا كان يهمنا من هذا العرض أن ننبه إلى إحدى الوثائق الأساسية، وهي القطع النقدية، بهدف تتبع الأطوار التي مرت بها الخطوط المغربية وكتابة جانب من تاريخنا الحضاري، فإننا نهدف أيضاً إلى إثارة الانتباه إلى ضرورة إعادة النظر في أمر الخط المغربي اليوم ؛ وذلك ببعثه حضارياً على مختلف المستويات :

1 ــ كتابة مختلف أطواره التاريخية.

2 ــ فرز أنواعه المختلفة، وتحديد موقعها من الخطوط الأندلسية والأفريقية.

3 ــ تحسين أصنافه وتجميلها على غرار ما حدث بالنسبة للخطوط المشرقية المشهورة على يد كبار الخطاطين، وهي عملية أساسية[24].

4 ــ التأكيد على توظيف الخطوط المغربية في مجالات الحياة العامة كأحد الوجوه الناصعة المعبرة عن هويتنا.

ومع أن أربعة عشر قرنا من حضارتنا مسجلة بهذه الخطوط، فإنه على المستوى التعليمي نجد كثيراً من طلبتنا ولو أنهم في مستوى متقدم من البحث الجامعي، فإنهم يصادفون عسراً كبيراً أثناء قراءة أغلب الوثائق والكتب المخطوطة وهم بصدد إنجاز بحوثهم، وهذا أمر لا تخفى أبعاده الخطيرة في مجال البحث.

---

(24) أن أغلب نماذج الخطوط المغربية التي تقدم للقارىء العربي تقدم له انطلاقا من مخطوطات في حالة رديئة وتصوير غير واضح مما يعطي عن هذه الخطوط انطباعات بصرية رديئة. فالخطوط المغربية في حاجة إلى مزيد من التحسين وإلى تقديم جيد، وقد ظهر مؤخرا كتاب قدم بعض نماذج الخطوط المغربية بشكل لائق، انظر :
السجلماسي محمد.ــ **ذخائر مخطوطات الخزانة الملكية بالمغرب**.ــ مطبوعات AER édition، باريس، 1987.

حول المجاعات والأوبئة بالمغرب خلال العصر الوسيط

محمد الأمين البزاز

كلية الآداب ـــ الرباط

تشكل الأوبئة والمجاعات أحد الثوابت في تاريخ المغرب بحيث يصعب الحديث عن ماضي البلاد في غياب إلمام بها أو رصد لآثارها المتعددة الجوانب. ولقد سبق أن قمنا بدراسة وافية للموضوع بالنسبة للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر(1) ؛ كما سبق لروزنبرجي والتريكي أن قاما بالعمل نفسه فيما يخص القرنين السادس عشر والسابع عشر(2). فكان يتعين، لتكتمل الرؤية، مد الاطار الزمني ليشمل الحقبة الوسيطة. من هنا كان الدافع لهذا البحث ؛ فهو يطمح إلى التوغل في مقاربة المجاعات والأوبئة بالمغرب من القرن التاسع الميلادي إلى نهاية القرن الخامس عشر.

على أننا نبادر إلى القول بأننا لن نقوم هنا بعرض كرونولوجي. فما ورد من معلومات في بطون المصادر والمراجع عن الوقائع التي تهمنا خلال هذه الحقبة لا يزيد، في أكثره، عن إشارات ونتف متفرقة لا تسمح بالقيام بعملية تتبع دياكروني متواصلة في الزمان ومن شأنها أن تساعدنا على أن نؤلف منها وحدة أو سلسلة متصلة الحلقات. لذلك فإن مسعانا سيقتصر على ابداء جملة من التأملات

(1) البزاز (محمد الأمين) : **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 18، 1992.

(2) Rosenberger (B.) et Triki (H.) : «Famines et épidémies au Maroc au XVIe et XVIIe siècles»; **in Hespéris-Tamuda**, 1ère partie V. V, 1974; pp. 109-175, 2e partie V. VI, 1975, pp. 5-103.

انظر أيضا : أستيتو (محمد) : **الكوارث الطبيعية في تاريخ مغرب القرن السادس عشر**، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب بفاس، 1988.

والاستنتاجات العامة، سواء فيما يتعلق بنسق تعاقب المجاعات والأوبئة وآليتها وردود فعل المعاصرين، أو فيما يخص نتائجها على الصعيد الديموغرافي والاقتصادي والسياسي.

وأملنا أن تكون هذه المساهمة إضافة مفيدة إلى حقل معرفي نرجو أن يستمر في النمو حتى يوازن ما تراكم في أوربا من دراسات في الموضوع.

1 ـــ المـجـاعـــات :

كان المغرب خلال العصر الوسيط، كما هو الشأن في باقي العصر الأخرى، يعيش في رهان دائم مع الطبيعة التي كانت تتقلب بين العطاء والشح تبعا لوفرة الأمطار أو قلتها. فإذا جادت السماء، تمكن الناس من زراعة الأرض في اطمئنان، وجاءت «الصابة» طيبة في مقدارها وأسعارها. أما إذا حدث الجفاف، فمعنى هذا ضعف المحصول أو بطلانه، وارتفاع أسعار الغلال مما كان يتسبب في حدوث مجاعات رهيبة. فإذا بحثنا في الوقائع، اعتمادا على الجدول رقم 1، نرى أن المجاعات تفشت على الأقل 20 مرة من منتصف القرن التاسع إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلاديين ـــ وهذا دون أن نأخذ بعين الاعتبار المجاعات المحلية أو تلك التي لم يشر إليها الاخباريون ـــ مما يعني مجاعة في كل 28 سنة وثلاث إلى أربع مجاعات في كل قرن. على أن القرن الثالث عشر استأثر بحصة الأسد، إذ سجلت فيه سبع مجاعات، تميزت بامتدادها وتقاربها، وقد حدث أغلبها عندما كانت الدولة الموحدية تمر بطورها النهائي مما جعل الأمور تسير دون أن يكون للدولة أي دور في ايقافها.

أما المدة الفاصلة بين كل مجاعة وأخرى فقد اختلفت بين حدود دنيا من 3 إلى 18 سنوات، وحدود متوسطة من 25 إلى 37 سنة، وحدود قصوى من 52 إلى 82 سنة. ولئن كان من الطبيعي أن كل مجاعة تدوم بمعدل سنتين، فإن هناك مجاعات تميزت بطولها الزمني، فامتد بعضها أربع سنوات، وبعضها الآخر ست سنوات، وهذا دون أن نأخذ في الاعتبار رواية ابن أبي زرع التي تتحدث عن مجاعة دامت 12 سنة (من 253هـ/ 867م إلى 265هـ/ 878م)[3] أو

(3) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب بروض القرطاس...**، الرباط، 1973، ص 96.

روايته عن مجاعة أخرى دامت 17 سنة (من 619هـ/ 1222م إلى 637هـ/ 1239م)[4]. لكن من الملاحظ أن هذه المجاعات الممتدة كانت نادرة ومتباعدة زمنيا فيما بينها.

ومما هو جدير بالذكر أن بلدان المغارب الأخرى والأندلس لم تكن أحسن حالا من المغرب، فقد عانت بدورها من طغيان الأزمات الغذائية. فهل هذا يدل على وجود تزامن في تعرض بلدان المنطقة للقحوط ؟ لقد سبق للكاتب اللاثيني أرنوب Arnobe (ت 327م) أن لاحظ أن موريطانيا الطنجية عانت في إحدى السنوات من القحط بينما كانت موريطانيا القيصرية ونوميديا تتمتعان بمحاصيل طيبة[5]. والملاحظة نفسها نسجلها بالنسبة للحقبة التي تهمنا. فهناك سنوات عجاف طالت كل بلدان المغارب والأندلس، كما حدث في سنوات 260هـ/ 873 — 874م، 303هـ/915 — 916م، 407هـ/1017م ؛ وهناك بالمقابل سنوات عجاف أخرى ضربت طرفا دون آخر. فمثلا عندما كانت الأندلس تعاني من القحط سنة 232هـ/ 846م، كان المغرب ينعم بالرخاء. كما أن القحوط التي ألمت بافريقية في سنوات 395هـ/ 1005م، 425هـ/ 1034م، 469هـ/ 1077م، 483هـ/ 1090م — 1091م، 543هـ/ 1148 — 1149م، لم نجد ما يدل على أنها امتدت إلى المغرب. وهكذا فقد عانت بلدان المنطقة من نقص الهواطل في فترات مختلفة وأخرى مشتركة مما يدل على عدم وجود حتمية في العلاقة بين الذبذبات المناخية في كل منها. وتلك هي إحدى خصائص المناخ المتوسطي.

إذا وسعنا إطار المقارنة ليشمل القارة الأروبية، نلاحظ أن المغرب كان أحسن حالا نسبيا. ففيما بين القرنين العاشر والرابع عشر الميلاديين انتشرت في فرنسا على سبيل المثال، 42 مجاعة عامة منها 10 في القرن العاشر، و26 مجاعة في القرن الحادي عشر الميلادي[6]. فكم إذن نحن بعيدون عن مجاعات المغرب كما أثبتناها

---

(4) نفسه، ص 41.

(5) أورده : Boix (Ch.): «Années de disette, années d'abondance; sécheresses et pluies au Maroc»; in **Revue des calamités**, Genève, n° 26-27, 1949, p. 2.

(6) Braudel (F.) : **Civilisation matérielle, économie et capitalisme..**, t. 1, Paris, 1979, p. 55

الجدول رقم 1 : سنوات المجاعات والأوبئة

السنة	المجاعة	الوباء	المصدر
260هـ/873-874م	= =	× ×	ابن عذارى «البيان»، 1848، ج1، ص 116
285هـ/898-899م	= =	× ×	ابن أبي زرع «روض»، 1973، ص 97
303هـ/915-916م	= =		ابن أبي زرع «روض»، 1973، ص 98
307هـ/919-920م		× ×	ابن أبي زرع «روض»، 1973، ص 98
344هـ/955-956م		× ×	ابن أبي زرع «روض»، 1973، ص 193
379هـ/989-990م	= =	× ×	ابن أبي زرع «روض»، 1973، ص 102
407هـ/1016-1017م	= =	× ×	ابن أبي زرع «روض»، 1973، ص 118
411هـ/1020-1021م	= =		ابن أبي زرع «روض»، 1973، ص 118
444هـ/1052-1053م	= =		«البيان»، 1848، ج 1، ص 255
452هـ-457هـ/1060-64م	= =		«روض»، 1973، ص 111
535-540هـ/1140-45م	= =		«التشوف»، 1984، ص 183، «البيان» 1985، ص 12، «الكامل»، 1966، ج 11
571هـ/1175-1176م		× ×	«البيان»، 1985، ص 266
607هـ/1211-1212م	= =		«البيان»، 1985، ص
610هـ/1213-1214م		× ×	«روض»، 1973، ص 272
616-617هـ/1219-20م	= =	× ×	«البيان»، 1985، ص 266
619-624هـ/1222-27م	= =		«روض»، 1973، ص 274، Raynaud, Etude, 1902
630هـ/1233-34م	= =	× ×	«روض»، 1973، ص 276
634-635هـ/1237-38م	= =	× ×	«روض»، 1973، ص 277
679هـ/1280-81م	= =		«روض»، 1973، ص 405
693هـ/1294-95م	= =	× ×	«روض»، 1973، ص 384
724هـ-727هـ/1324-27م	= =		«روض»، 1973، ص 401 و413
750هـ/1349-50م		× ×	البزاز «الطاعون الأسود»، مجلة كلية الآداب، الرباط، ع 16، 1991
764هـ/1363-64م		× ×	ابن هيدور «الأمراض الوبائية»، الخزانة الحسنية
776هـ/1375-76م	= =		ابن قنفذ «أنس الفقير»، 1965، ص 105
1412م	= =		Fagant, Extraits, 1924, p. 298
819هـ/1416-17م		× ×	الوزان، «وصف افريقيا»، 1980، ج 1، ص 166
846هـ/1442-43م		× ×	«الاستقصا»، ج 4، ص 101
1494م	= =	× ×	Boix, Années de disettes, 1949, p. 5

في جدولنا. وحتى على افتراض أن ثمة مجاعات لم يشر إليها الاخباريون، فلا مجال للشك في أن المغرب كان أحسن تغذية من أوربا في الحقبة الوسيطة.

كانت الأزمات الغذائية تنجم أساسا عن السنوات العجاف التي غالبا ما كانت مصحوبة بزحف الجراد القادم من الصحراء، فيندر حينئذ وجود الطعام، وترتفع الأسعار ارتفاعا كبيرا. ففي مجاعة 624هـ/ 1227م ارتفع ثمن القمح إلى 15 دينارا للقفيز، وفي العام 630هـ/ 1233م إلى 30 دينارا، بينما كان يصل في أوقات الرخاء إلى 20 درهما للصحفة، وحتى إلى 6 دراهم (انظر الجدولين 2 و3). وعلما بأن الخبز كان يشكل العمود الفقري في تغذية السكان، كما لاحظ ذلك المؤرخ الاغريقي بركوب Procope منذ القرن السادس الميلادي، فإن غلاء أثمان القمح وغيره من الحبوب بمثل هذه النسبة الكبيرة، كان يحدث أزمة في الخبز تلجىء الناس إلى أكل الأعشاب.

على أنه ينبغي أن نضيف، إلى جانب العوامل الطبيعية من جفاف وجراد، عاملين آخرين من صنع البشر، كانا يساهمان بدورهما في ارتفاع أسعار المواد الغذائية :

أولهما الاحتكار. فقد كانت خبرة الجوع والتنبؤات المستقبلية بوقوعه تقنع من يملك الغذاء بضرورة اختزانه، مما كان يساهم في تصعيد موجة الغلاء. فعندما قرر الخليفة الموحدي الرشيد الخروج في حملة ضد الخلط، وكان ذلك خلال مجاعة 632هـ بمراكش، ظهرت بالمدينة «الحنطة» مما باعه المحتكرون، وكانت بكمية كبيرة جدا، إذ يخبر ابن عذاري أنه «كان عندهم منها ما تتمشى به أحوال الناس مدة طويلة ولكن حب النفس منعهم من اخراجه والتمسك به»[7].

وثانيها تأثير الحروب والفتن التي كانت تشتد بالخصوص في ظل ضعف السلطة المركزية وفي فترات الصراع بين الدول المنهارة والقوى المناهضة لها، ولا يتعلق الأمر هنا بالخسائر البشرية في صفوف المتحاربين أو غيرهم، وإنما بانعكاسات الحروب على معيشة السكان. ففي هذه الفترات الحرجة تتوقف الزراعة، وتهجر القرى، ويتعرض للتدمير جزء له شأن من موارد الغذاء. وعلى الخصوص، فقد

(7) ابن عذاري : **البيان المغرب..**، قسم الموحدين، دار الثقافة، 1985، ص 321.

الجدول رقم 2 : أسعار بعض المواد الغذائية في أوقات الشدة

المادة	السعر	السنة	المصدر
القمح	3 دنانير للمد	916-915/303	ابن أبي زرع، ص 98
الدقيق	أوقية بدرهم	1053-1052/444	ابن عذاري، 1985، ص 255
الدقيق	ربع بمثقال	الثورة الموحدية	ابن عذاري، 1985، ص 16
القمح	15 دينارا للقفيز	1227-1226/624	ابن أبي زرع، ص 274
القمح	30 دينارا للوسق	1234-1233/630	ابن أبي زرع، ص 276
الدقيق	ربع بثلاثة دنانير	1236-1235/632	ابن عذاري، 1985، ص 319
الدقيق	ربع بـ 37 درهما	1238-1237/634	ابن عذاري، 1985، ص 339
القمح	30 دينارا للقفيز	1239-1238/635	ابن أبي زرع، ص 255
القمح	10 دراهم للصاع	1281-1280/679	ابن أبي زرع، ص 405
القمح	10 دراهم للمد	1295-1294/693	ابن أبي زرع، ص 409
الدقيق	6 أواق بدرهم	1295-1294/693	ابن أبي زرع، ص 409
القمح	90 دينارا للصحفة	1325-1324/724	ابن أبي زرع، ص 401
القمح	15 درهما للمد	1325-1324/724	ابن أبي زرع، ص 401
الدقيق	4 أواق ردرهم	1325-1324/724	ابن أبي زرع، ص 401
اللحم	5 أواق بدرهم	1325-1324/724	ابن أبي زرع، ص 401
الزيت	أوقيتان بدرهم	1325-1324/724	ابن أبي زرع، ص 401
العسل	أوقيتان بدرهم	1325-1324/724	ابن أبي زرع، ص 401
السمن	أوقية ونصف بدرهم	1325-1324/724	ابن أبي زرع، ص 401

الجدول رقم 3 : الأسعار في أوقات الرخاء

المادة	السعر	السنة	المصدر
القمح	3 دراهم للوسق	862-824/247-208	ابن أبي زرع، ص 96
الدقيق	ربع درهم	1257/656	ابن أبي زرع، ص 302
القمح	6 دراهم للصحفة	1257/656	ابن أبي زرع، ص 302
العسل	3 أرطال بدرهم	1257/656	ابن أبي زرع، ص 302
الزيت	40 أوقية بدرهم	1257/656	ابن أبي زرع، ص 302
لحم البقر	أوقية بدرهم	1257/656	ابن أبي زرع، ص 302
لحم الضأن	70 أوقية بدرهم	1257/656	ابن أبي زرع، ص 302
التمر	8 أرطال بدرهم	1257/656	ابن أبي زرع، ص 302
اللوز	صاع بدرهم	1257/656	ابن أبي زرع، ص 302
الشابل	فرد بقيراط	1257/656	ابن أبي زرع، ص 302
الملح	حمل بدرهم	1257/656	ابن أبي زرع، ص 302
القمح	20 درهما للصحفة	1275-1274/673	ابن أبي زرع، ص 384
الشعير	8 دراهم للصحفة	1275-1274/673	ابن أبي زرع، ص 384

كانت البهائم، التي يصعب على الفلاحين وضعها في مخابىء آمنة، تقع فريسة سهلة في أيدي المحاربين النهابين. وبهذه الطريقة كانت الحروب توجه ضربات قوية إلى الاقتصاد القروي، سيما وأن إبادة جزء هام من الأبقار والخيول كان ينعكس رأسا على العمل في الحقل وعلى المردود، ويؤدي إلى تفشي مجاعات محلية. ولم تكن المدن في مثل هذه الأوقات العصيبة أقل معاناة من البوادي، خاصة عندما تتعرض لحصار ممتد. هذا ما حدث، مثلا، خلال حصار قبيلة الخلط لمراكش عام 632هـ والذي تحدث عنه ابن عذاري بقوله :

«وشرعوا (الخلط) في تدمير البحائر وقطع مياهها وشجراتها، وقد خلت أمامهم المداشر والقرى... فضاقت الأرض على الناس بما رحبت لانقطاع المرافق والموارد وارتفعت الأسعار وعدمت الأقوات وقل كل مرفق وأعوز وجدان ما ينتفع به الناس من الحطب والتبن والفواكه والخضر وما يجلب من البوادي واقشعرت الجلود من هول المكابدة في طلب شتى أنواع الحنطة وبلغت مبلغا لا عهد بمثله حتى انتهى الربع الواحد من الدقيق اللطيف الفاسد إلى ثلاثة دنانير والناس في ازدحام على من يشعرون عنده زنة الخردلة منه»[8].

* * *

للتخفيف من بؤس السكان، والحيلولة دون قيام اضطرابات الجوع، كانت تتخذ على المستوى الرسمي عدة تدابير لتنظيم عملية الغوث، من شأنها أن تساعد الدولة على تعزيز سلطتها وتزكية مشروعيتها في الحكم. من ذلك الاجراءات التي اتخذها الخليفة الموحدي المستنصر إبان مجاعة 616هـ/ 1217م، والتي تحدث عنها ابن عذاري بقوله :

«أمر (المستنصر) بفتح المخازن المعدة لاختزان الطعام ففتحت للعامة وفرقت عليهم فذكر أنها كانت بثمن للأقوياء وبغير ثمن للضعفاء، وبالجملة فإنه أصدق منها شيئا كثيرا وأعطى من الأموال عطاء جزيلا فحسنت أحوال الناس بذلك»[9].

---

(8) نفسه، ص 318.

(9) نفسه، ص 267.

من ذلك أيضا ما ذكره ابن أبي زرع عن التدابير التي اتخذها السلطان المريني أبو سعيد عثمان عند مجاعة عام 724هـ/ 1323م :

«وصنع أمير المسلمين في هذه الشدة والمجاعة مع رعيته من الخير ما لا يقدر واحد على وصفه، فتح لهم أهراء الزرع وأخرجه للبيع، فبيع 4 دراهم للمد، والناس يبيعونه بخمسة عشر درهما، وأمر بالصدقات، فلم يزل يفرقها بطول أيام الشدة، يمر بها الثقات على حارات المدينة فيعطونها أهل التستر والبيوتات وذوي الفاقات والحاجات كل على قدر حاله وضعفه فكانوا يأخذونها من دينار ذهبا إلى ربع دينار»(10).

إلى جانب مثل هذه المساعدات الرسمية، كانت تتخذ مبادرات احسانية فردية من طرف الميسورين. وكان اللجوء إلى مثل هذا السلوك أمرا شائعا في مجتمع ينعكس عليه الدين كعامل من أبرز العوامل المؤثرة فيه. من ذلك ما رواه ابن أبي زرع عن الفقيه محمد بن إبراهيم المهدوي (ت 595هـ) الذي دخل فاسا «بأربعين ألف دينار فأنفقها كلها في سبيل الخير» ؛ ويضيف المؤلف أن مجاعة أصابت المدينة، فباع الفقيه المذكور ألف وسق من القمح للمعوزين «بوثائق وأخرهم بالثمن إلى أجل، فلما حصل الأجل استدعاهم فحضروا في منزله فحل الوثائق في المَاء وقال لهم أنتم من ذلك في حل فإنني ما بعت إلا من الله تعالا»(11).

من جهته، يذكر ابن الزيات أن الفقيه أبا حفص عمر ابن الصنهاجي (ت 561هـ) جمع خلقا كثيرا من المعوزين لما ألمت مجاعة 535هـ/ 1140م، فكان يقوم «بمئونتهم وينفق عليهم»(12).

بيد أن مثل هذه المساعدات لم تكن تفي دائما، في شدة طاحنة، بالحاجيات مهما كانت أهميتها. من ثم كان ضعفاء الناس يضطرون إلى بيع أملاكهم بسعر

---

(10) ابن أبي زرع، 1973، م.س، ص 401.

(11) **نفسه**، ص 128.

(12) ابن الزيات : **التشوف إلى رجال التصوف**، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط، 1984، ص 183.

زهيد مقابل لقمة عيش[13]. أما المعدمون فكانوا يُتركون لمواجهة المصير المحتوم. وقد أمدنا ابن عباد بنص يجسد هذه الحالة، إذ يقول في رسالة بعث بها إلى فاس :

«والمراد منكم أن تخبروني بما استقر عليه أمركم من حال الناس الذين هم يموتون جوعا وعريا من غير مبالات (كذا) أحد بهم، فلا أدري أوجدوا في ذلك رخصة، أم أخذوا في قلوبهم وأبدانهم من سوء حال ما ذكرناه حصة، أم سكتوا عن ذلك كما هو المألوف والمعهود، وخلوا الكفة تنطح العمود، وهذا هو الظاهر (...) كيف وهذه نازلة قد شدت، وبلية قد غلبت سائر البلايا وبدت، إذ فسدت فيها أديان الناس ومروءاتهم وأخلاقهم، أما فساد أديانهم فلإهمالِهم المساكين وتخليتهم إياهم حتى يموتوا جوعا وعريا، وقد وجبت عليهم مواساتهم...»[14].

وفي إطار الصراع من أجل البقاء، كان الجائعون يضطرون إلى تناول مواد تكميلية، حيث يرتد الاقتصاد إلى شكله البدائيِّ، فيسود القطف والالتقاط. فمن جملة ما كانوا يقتاتون به نواة الزيتونة بعد طحنها، ونبات تبودا، وهو شبيه بالقصب ينبت عادة في الصهاريج والأنهار والسَّواقي، فيجفف ويصنع منه خبز[15]. وفي كتاب «التيسير في المداواة والتدبير»، لأبي مروان عبد الملك بن زهر، نجد إشارات أخرى إلى ما كان يقتات به الجائعون ؛ يقول المؤلف :

«وقد شاهدت وأنا في أسر علي بن يوسف وفي سجنه ـــ قوما كانوا في أطباق سجنه المعروف بقرقدين، يتطارحون على أعشاب كانت تزال عن السقوف ويأكلونها، وأن ما كانوا يأكلون نوعا مذموما من أنواع الينوع وغير ذلك لألم الجوع... وشاهدت بمراكش قوما قد بلغ بهم جهد الجوع، فكانوا يكسرون عظام الجيف البالية من حفير مراكش ويصطلبون أمخاخها، وكان قد ظهر فيهم الموت

---

(13) يذكر ابن الزيات في هذا الصدد أن امرأة اضطرت إلى بيع دارها بـ 500 دينار في «عام مجاعة شديدة» (نفسه، ص 153). وبذلك كانت المجاعة فرصة بالنسبة للبعض لاحتجان الثروات عن طريق استغلال الضعفاء وهو ما سماه ابن خلدون بحوالة الأسواق (المقدمة، ص 870 — 871).

(14) تفضل الأستاذ محمد المنوني مشكورا باطلاعي على هذا النص وهو ضمن رسائل ابن عباد الكبري.

(15) ابن عذارى، 1985، م.س، ص 326.

الذريع»[16].

بالموازاة مع ذلك، كان يتم اللجوء إلى وسائل أخرى : العنف واللصوصية، بل وكان الجائعون يضطرون حتى إلى أكل اللحوم البشرية.

بقي علينا أن نشير إلى أن الإنسان القروسطي في المغرب اكتسب خبرة كبيرة في مقاومة الجوع بالادخار والتقشف، وكان تخزين الطعام من ضرورات الحياة ؛ فالمخزن أو المطمورة جزء أساسي في المزرعة أو بيت المزارع[17].

2 ـ الأوبئة :

نلاحظ من الجدول رقم 1 أنها لم تكن تقل تفشيا عن المجاعات، فقد بلغت حصيلتها في الحقبة نفسها 17 وباء، أي بمعدل وباء في كل 32 سنة. بيد أن هذا التعادل النسبي بين عدد الأوبئة والمجاعات ـ وقد تكون مصادرنا هي المسؤولة عنه ـ لا يعني وجود تزامن حتمي بين الظاهرتين. فهناك أوبئة صرفة حدثت بمنأى عن كل قحط أو مجاعة، كما هو الشأن في سنوات 307هـ/919م، 344هـ/955م، 571هـ/1175م، 610هـ/1213م، 750هـ/1349م، 819هـ/ 1415م. مع ذلك، فإن ما يميز الأزمات الديموغرافية في المغرب من النوع القديم، هو تلاقي القحوط والمجاعات والأوبئة، وقد تنضاف إليها، أحيانا، النتائج المترتبة على الحروب.

أما إذا أردنا أن نتساءل عن طبيعة هذه الأوبئة فلابد، للحصول على إجابة كافية ومقنعة، من التزود بمزيد من المعلومات المتعلقة بها. فالنصوص لا تتحدث عن أمراض معينة، وإنما تتضمن إشارات عامة إلى «الوباء»، و«المرض» و«الطاعون»، وهي تسميات فضفاضة تستعمل لدى الاخباريين للدلالة على كل وباء معد يتسبب في وقوع وفيات مرتفعة، وهذا دون أي وصف للأعراض من شأنه أن يساعدنا على تحديد طبيعته. على أن سكوت الاخباريين عن ذكر الدماميل، والقيء، وبصق الدم، والاسهال، يدفعنا إلى ابداء كثير من التحفظ إزاء لفظة «الطاعون» التي كثيرا

(16) طبعة دمشق، ص 430 (تفضل الأستاذ محمد المنوني مشكورا باطلاعي على هذا النص).

(17) موسى (عز الدين) : **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشرق، 1983، ص 192.

ما استعملوها. والحال أننا نعرف، حسب الدراسات الحديثة المتعلقة بهذا الوباء الخطير، أنه ارتفع عن العالمين الشرقي والغربي بعد قرنين من طغيانه الدوري. فآخر طاعون عرفه الشرق هو طاعون عام 770م. وآخر طاعون عرفه الغرب هو طاعون نابولي عام 761م[18]. وبعد احتجابه في ظروف غامضة، فإنه لم يعد إلى الظهور إلا بعد حوالي خمسة قرون، ابتداء من الطاعون الأسود عام 1348. ومن الطريف أن نذكر هنا تلك الرواية العربية، التي تناقلها الكثيرون، والتي تشير بالفعل إلى ارتفاع الطاعون عن الشرق. تقول الرواية إن أحد رجالات الدولة العباسية صرح علانية بأنه لمن يمن الطالع أن يرتفع الطاعون بعد استيلاء العباسيين على الحكم ؛ وتضيف الرواية أن أحد الحاضرين، من أنصار الأمويين، أجاب بسخرية بأن الله لا يعاقب العباد بطامتين، فاستعاض عن الطاعون بالعباسيين[19].

ابتداء من الطاعون الأسود، أحس المعاصرون بأنهم أمام مرض جديد «لم يسمع بمثله». فلم يعرفوا وباء تفشى على هذا النطاق، ولا كارثة فتكت بالأرواح هذا الفتك الذريع كما حدث بسبب هذا الطاعون «وقد تمادى الوباء وكثر حتى نيف الأموات في اليوم على ستة آلاف وقنط الناس»[20]. لذلك اعتبروه «الطاعون الأول العام في الأرض»[21]. نعرف، من جهة أخرى، أنه كان بالنسبة لابن خلدون بمثابة التحول الطارىء الذي غير، مع «الغزو» الهلالي، وجه المغرب والمبرر لانجاز مشروعه المتعلق بكتابة التاريخ.

بعد تكرر موجات الطاعون، واتساع المسافة الزمنية، ازداد الاحساس لدى

(18) يجب ألا ننساق مع الاشارات التي نجدها لدى الاخباريين وأصحاب التراجم، كابن الأثير، وابن خلكان، إلى ظهور الطاعون في المشرق الإسلامي فيما بين 770م و1347م ؛ فكما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإن هؤلاء الكتاب كانوا يستعملون كلمة «الطاعون» للدلالة على أي وباء يحدث وفيات مرتفعة، وبالتالي فإن «الطواعين» التي أشاروا إليها خلال الحقبة المذكورة أعلاه، ليست طواعين حقيقية وإنما أوبئة أخرى غير محددة. ينظر حول هذه المسألة:

Biraben (J.N.) : Les hommes et la peste en France et dans les pays méditerraniens; Mouton, Paris, 1976, 2 vol.

(19) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(20) تفضل الأستاذ محمد المنوني مشكورا باطلاعي على هذا النص.

(21) ابن قنفذ : **كتاب الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 2، 1973، ص 345.

الناس بأن عاملا جديدا أصبح يشكل جزءا من بنيتهم الحياتية. ذلك ما يمكن استخلاصه من رواية ابن هيدور (توفي بفاس سنة 816م) التي تقول :

«أخبرني شيخي... قال ليلة من الليالي عام أربعة وستين وسبعمائة قد أخذت مضجعي فنظرت في حالة الوباء الثاني الواقع إذ ذاك وهالني أمره فنمت مغمور القلب»[22].

نلاحظ أن الكتّاب أصبحوا يؤرخون بالطاعون الأسود ؛ وليس من المستبعد أن تفاجئنا النصوص، ذات يوم، بمن يتحدث عن طاعون ثالث، ورابع... وإذا كان الكتّاب اللاحقون، الذين لم يعايشوا الطاعون الأسود، قد خلطوا بين الأوبئة القروسطية، ونعتوها بدون تمييز بالطاعون، فلأن هذا الوباء أصبح متواترا متغلغلا في حياتهم بشكل جعلهم لا يتصورون أن تكون الأجيال السابقة قد نجت من ويلاته. ومن اللافت للنظر أن هذا الخلط وقع حتى بالنسبة للأوبئة الحديثة والمعاصرة. فالناصري، مثلا، يدرج ضمن الطواعين أوبئة الكوليرا التي ضربت المغرب في القرن التاسع عشر. وقد أصبحنا نجد هذا الخلط في بعض الدراسات الحديثة !

قبل الطاعون الأسود، يمكن القول إذن إن كثيرا من الأوبئة التي صنفها الاخباريون خلال هذه الحقبة ضمن الطاعون، إنما هي مجرد أمراض مختلفة، خاصة منها الجدري وحمى التيفوس الوبائية. ويذكر رونو بالفعل أن الجدري يأتي ضمن جميع الأوبئة التي اجتاحت المغارب في العصرين الروماني والعربي، والتي ورد ذكرها عند الاخباريين باسم الطاعون[23] ؛ كما يذكر في موضع آخر أن حمى التيفوس الوبائية كانت موجودة في سائر العصور[24].

لاشك أن فتك هذين المرضين كان مرتبطا بسوء التجهيزات الصحية والوسائل المتعلقة بالوقاية والنظافة ؛ يضاف إلى ذلك العوامل المحلية التي تزيد من حدتهما، كتزامنهما مع القحوط والمجاعات، ولجوء الناس إلى تناول الأعشاب المضرة.

---

(22) ابن هيدور (التادلي). **ماهية الأمراض الوبائية**، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، رقم 9605.

(23) Raynaud (L.) et Soullie (H.): **Hygiène et pathologie nord-africaine**; Alger, 1932, p. 406

(24) **نفسه**، ص 414.

هناك مرض آخر كان يهدد الإنسان المغربي في صحته خلال العصر الوسيط، وهو الجذام، الذي وان لم يكن يقتل صاحبه فإنه كان يحكم عليه بالعيش في عزلة قاتلة عن عالم الأحياء. فقد كان الجذمى يقيمون عادة في «حارات» بعيدة عن المناطق السكنية والمياه الجارية، يبقون فيها طيلة حياتهم. في فاس، كانت حارتهم تقع خارج باب الخوخة «ليكون سكناهم تحت مجرا الريح الغربية فتحمل الرياح أبخرتهم ولا يصل أهل البلد منها شيء، وليكون تصرفهم من المياه وغسلهم بعد خروجه من البلد»[25]. وعلى عكس ما حدث في أوربا، حيث أثار الجذمى ردود فعل جماعية وصلت حتى إلى الفتك بهم جماعيا، كما حدث في فرنسا سنة 1321م، فإن جذمى المغرب وجدوا قدرا لا يستهان به من الرعاية.

أما بخصوص داء الزهري، فإننا نتوفر على رواية محمد الوزان الفاسي التي تؤكد أن هذا الداء لم يبدأ في الانتشار في الغرب إلا في السنوات الأخيرة من القرن الخامس عشر :

«وداء الافرنج (الزهري) الفظيع بأوجاعه وقروحه منتشر كثيراً في بلاد البربر لا يكاد يسلم منه إلا القليل... وهذا الداء لم يشاهد قط ويذكر حتى اسمه، لكن عندما طرد الدون فردناند ملك اسبانيا اليهود من بلاده جاء كثير منهم إلى بلاد البربر فظهر فيها هذا الداء الذي حمله عدد كثير من يهود اسبانيا، وكان لعدد من الأشقياء المغاربة اتصال (جنسي) مع نساء هؤلاء اليهود، وهكذا انتشر قليلا قليلا حتى لم يعد تسلم منه أية أسرة... ويؤكدون في بلاد البربر أن أصل هذا المرض من اسبانيا»[26].

على الرغم من أهمية هذه الرواية وقيمة صاحبها، فإنه لا يمكننا الانسياق معها لنجزم بأن المغرب لم يعرف داء الزهري خلال العصر الوسيط : أولا، لأن الأمراض الجنسية من الأمور التي كان يقع التستر عليها ؛ وثانيا، لتقدم الأبحاث الطبية حول مصدر الوباء ؛ فإذا كان الرأي الشائع هو أن كريستوف كولمب وبحارته هم الذين نقلوه من العالم الجديد إلى أروبا، فإن الاتجاه العلمي الجديد يؤكد أنه كان متفشيا في العالم القديم منذ العصور السحيقة.

---

(25) ابن أبي زرع، 1973، م.س، ص 40 — 41.

(26) **وصف افريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج 1، الرباط 1980، ص 67.

3 ـــ الانعكاسات الديموغرافية :

قد يكون من المناسب أن نبدأ أولا بالإشارة إلى أننا نصطدم هنا بمشكل عويص يتعلق بمعرفة عدد سكان المغرب الذين تفشت فيهم هذه الأوبئة والمجاعات، وهو مشكل نعتقد أنه لن يوجد له حل في يوم من الأيام، نظرا لانعدام المعطيات الاحصائية انعداما كليا خلال هذه الحقبة بالنسبة لمجموع السكان. عبر نوان (Noin) عن هذه الصعوبة بقوله :

«بخصوص تاريخ سكان المغرب، فإن الحقبة العتيقة ـــ تلك التي تتميز بمعالم ديموغرافية من النوع القديم ـــ هي التي تتسم أيضا بانعدام كلي تقريبا للتوثيق الاحصائي. من المحتمل أن تحتفظ لنا الوثائق المكتوبة باللغة العربية بمفاجآت، نظرا لأنه لم يتم بعد تجميعها كلها وفهرستها. إلا أنه لا توجد، إلى اليوم على الأقل، أية وثيقة تكشف لنا عن وجود احصاء عام كما حدث في الامبراطوريات الكبرى خلال العصور القديمة، وفي الدول الأوربية خلال الحقبة الوسيطة»[27].

لا يقتصر الأمر على انعدام احصائيات، فنحن لا نتوفر حتى على تلك التقديرات التي قدمها عدد من الكتاب والرحالة عن سكان المغرب في العصور اللاحقة. في مثل هذه الظروف، تبقى الإشارات التي تركها الاخباريون عن المجاعات والأوبئة المعالم الوحيدة التي يمكن من خلالها تسليط بصيص من الضوء على تطور السكان في الحقبة التي تهمنا. فمع أن هؤلاء الاخباريين لم يزودونا، إلا نادرا، بأية تقديرات عن عدد الضحايا، فإنهم قدموا أوصافا معبّرة عن قوتها التدميرية للأرواح البشرية. يتضح ذلك من رصد بعض العبارات المستعملة. فكثيرا ما تطالعنا عبارة «فهلك خلق كثير»، أو «هلك من الناس من لا يحصى». وقد تستعمل عبارات أخرى عندما يتعلق الأمر بانهيار ديموغرافي كبير. من ذلك رواية ابن أبي زرع عن مجاعة 1020/411 : «وكثر الفناء في الناس». يضاف إلى ذلك إشارات كثيرة أخرى إلى ارتفاع عدد الموتى، كعجز الناس عن دفن موتاهم، أو استعمالهم للحفر الجماعية لدفن موتاهم... فكل هذه الأمثلة، وغيرها، يوضح أن سكان المغرب كانوا يعيشون في دائرة مغلقة من الناحية الديموغرافية. إذ كلما

---

(27) Noin (D.) : La population rurale du Maroc, Paris, t. 1, 1970

تزايد عددهم في أوقات الهناء والرخاء، إلا وانقضت عليهم الأوبئة وفتكت بهم المجاعات، فتقضي على عدد كبير منهم.

وباعتبار أن هذه الظواهر الطبيعية سجلت رقما قياسيا في القرن الثالث عشر الميلادي، فمن المحتمل أن تكون مرحلة ممتدة من الهبوط في المنحى الديموغرافي قد حلت في هذا القرن، وذلك قبل أن يتحول الهبوط إلى انهيار كبير مع الطاعون الأسود في منتصف القرن التالي. أشار العروي إلى هذا الضمور الديموغرافي، لكنه لم يأخذ بعين الاعتبار لتعليله، سوى آثار حملات المرينيين على الأندلس :

«على الرغم من أنه يصعب علينا تكوين فكرة دقيقة عن الحالة الديموغرافية، باعتبار أن النصوص في أغلب الأحيان تلوذ بالصمت حول هذا الموضوع، فمن المحتمل أن يكون عدد سكان المغرب قد استمر في الهبوط خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر. وفي هذا الصدد، يحدثنا الناصري عن الآثار الوخيمة لهزيمة عام 1212م وكان يجمل به أن يضيف جميع الحملات الأندلسية التي تواصلت في عهد المرينيين، حيث أن مملكة غرناطة ستستمر تتلقى الدعم العسكري حتى بعد تخلي الملوك المغاربيين عن كل طموح ترابي فيما وراء المضيق»[28].

يمكن أن نستخلص، على ضوء ما سبق، أن المغرب في العصر الوسيط لم يكن بلدا مكتظا بالسكان، كما يوهمنا البعض عندما يقول : «غص المغرب بسكانه من أمم لا يحصيهم إلا خالقهم»[29]. على أنه يمكن أن نفترض مع مؤلفي كتاب «تاريخ المغرب»[30]، وفقا للحدود المعقولة، أن عددهم كان يقل عن خمسة ملايين نسمة، وهو الرقم الذي قدم بالنسبة للقرن السادس عشر.

4 ــ التفاوت الاجتماعي أمام الموت :

من البديهي أن الخسائر البشرية الناجمة عن المجاعات والأوبئة كانت أشد وقعا في صفوف الفئات المستضعفة. فالفئات الغنية كانت تملك عادة من مخزونات القوت ما تستطيع به مقاومة الشدة، وبامكانها أن تشتريه في حالة استنفاده لديها

(28) Laroui (A.): **Histoire du Maghreb. Un essai de synthèse**; Paris, 1975, t. 1, p. 199

(29) أورده : Brignon (Ch.) et autres : **Histoire du Maroc**; Paris, 1967, p. 153

(30) **نفسه**، ص 76.

لتأمين استهلاكها العائلي. أما الفقراء فكانوا يعانون عادة من سوء التغذية، ولا يملكون احتياطات لجعلهم يجتازون حتى الفترات القصيرة من نقص طارىء في الغذاء، فكانوا، خلال المجاعات الحادة، يتساقطون كالذباب. يكفي أن نورد هنا قول ابن عذارى عن مجاعة 925/303 في الأندلس :

«وكثر الموتان في أهل الفاقة والحاجة حتى كاد أن يعجز عن دفنهم»[31].

وبدون أن نغامر بحكم عام، يبدو من المرجح أن سكان المدن كانوا يؤدون أفدح الضرائب للوباء، والجوع بالقياس إلى أهل الريف. فظروف العيش في المجتمعات الريفية تكون أنسب عادة لتأخير هجوم الأوبئة. وإن المزيد من الأرض الفضاء، والهواء النقي، وإمكانية وجود موارد أفضل للغذاء في البوادي، لذات دلالة ومعنى في هذا الصدد.

لا ننكر ونحن نقرر هذا أن المدينة المغربية في الحقبة الوسيطة توفرت على ما لم تتوفر عليه البادية من مرافق صحية، في مقدمتها المارستانات، ثم الحمامات التي أصبحت منذ عهد الأدارسة من المؤسسات الهامة وتقوم بدور رئيسي في المحافظة على نظافة السكان وصحتهم. إلا أن شدة الازدحام في الأحياء، وتكدس الأزبال، كان يخلق شروطا مناسبة أمام تفشي الأوبئة، مما يبرر قسوتها وشدة فتكها بالمقارنة مع ما كان يحدث في البادية. هذا ما تؤكده بعض الإشارات الواردة في المصادر والتي تكاد تجمع على أن الوباء إنما كان ينجم عن فساد الهواء في المدن وكثرة عفونتها.

من ذلك ما رواه ابن عذارى عن الوباء الذي تفشى بمراكش في العام 635هـ/ 1237م بصدد حديثه عن وصول بيعة أهل سبتة والأندلس في عهد الخليفة الموحدي الرشيد، حيث قال : «واجتمعت الوفود من أهل اشبيلية وسبتة وغمارة البحر من البلديين ووافقوا الصيف بمراكش ومزاجها الانحراف وهواؤها رديء بكثرة الأمطار من الجذب الذي كان تقدم أعواما. فكثرت الرطوبة وحدث الوباء فتغيرت أحوال أهلها فضلا عمن سواهم لاسيما أهل البحر فنزل الوباء بهم وقتل

(31) **البيان**، نشر وتحقيق كولان وليفي بروفنسال، ليدن، 1948، ج 2، ص 167.

منهم عددا كثيرا»[32].

بعد ابن عذاري بحوالي قرن، وصف ابن الخطيب بعض المدن المغربية بأسوأ الأوصاف من وجهة النظر الصحية، فقال عن مراكش : «إن حمايتها كلفة بالجسوم طالبة ديونها بالرسوم»[33]. وقال عن سلا : «إن بعوضها مستأسد وماءها وهواءها عديما الصحة... والأمراض بها تعبث والحزين بها لا يلبث»[34]. على أن ابن خلدون هو الذي ترك لنا أكثر المعلومات المتعلقة بالحالة الصحية في المدن والأرياف، وفيها ربط بين تفشي الأمراض وبين ترف العمران على النحو التالي :

«وسببه الغالب (أي الوباء) فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة وإذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيواني وملابسه دائما فيسرى الفساد إلى مزاجه فإذا كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة.وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة وإن كان الفساد دون القوى والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحميات في الأمزجة وتمرض الأبدان وتهلك وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفره»[35]. «ثم ان الأهوية في الأمصار تفسد بمخالطة الأبخرة العفنة من كثرة الفضلات والأهوية منشطة للأرواح ومقوية بنشاطها الأثر الحار الغريزي في الهضم إذ هم في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئا ولا تؤثر فيهم أثرا فكان وقوع الأمراض كثيرا في المدن والأمصار»[36]، «وأما البدو فمأكولهم قليل في الغالب والجوع أغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار لهم عادة... وأما أهويتهم فقليلة العفن لقلة الرطوبات والعفونات إن كانوا ظواعن ثم ان الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة»[37].

---

(32) **البيان**، 1985، م.س، ص 345.

(33) ابن الخطيب (لسان الدين) : **مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب...**، نشر وتحقيق أحمد مختار العبادي، مطبعة جامعة الاسكندرية، 1958، ص 108.

(34) **نفسه**، ص 106.

(35) **المقدمة**، مطبعة دار احياء التراث العربي، بيروت، ص 302.

(36) **نفسه**، ص 150.

(37) **نفسه**.

5 ـــ الانعكاسات السياسية :

إذا نظرنا نظرة أفقية إلى تعاقب هذه المجاعات والأوبئة، نلاحظ ـــ دون أن تكون هذه الملاحظة قاعدة عامة ـــ أنها كانت تكثر بصفة خاصة في عهد تدهور الدولة الحاكمة وانحطاطها، أي في فترة الصراع بين السلطة المنهارة والقوى المناهضة لها، تلك الفترة التي أطلق عليها ابن خلدون، فيما يخص السلطة المنهارة، مصطلح «المطاولة»، والتي تطول أو تقصر تبعا لصمودها. فظهور هذه الكوارث في الوقت الذي تكون فيه الدولة قد دخلت في خريف عمرها، كان يساهم في ارتباك أوضاعها، ويعجل بسقوطها. فبالإضافة إلى مهلك أطرها وقياداتها، كانت مجابيها تنهار لامتناع القبائل عن دفع ما عليها من واجبات بسبب ضعفها.

لقد شهد أواخر الأدارسة مجاعتين، عام 285هـ وعام 303هـ، بالإضافة إلى وباء 344هـ، فساهمت هذه الكوارث في اضمحلالهم وعجزهم عن مقاومة المد الفاطمي والأموي. كذلك صاحبت الشدائد عهد أواخر مغراوة وبني يفرن، خاصة منها مجاعة عام 444هـ، مما سهل مأمورية المرابطين في الاجهاز عليهم. ثم تكررت موجات من الأزمات الغذائية في أواخر عهد هؤلاء، فيذكر ابن عذارى أن المجاعة امتدت من 535هـ إلى 541هـ، أي أنها تواصلت بدون انقطاع إلى سقوط الدولة. كذلك الشأن بالنسبة للعقود الأخيرة من عهد الدولة الموحدية ؛ فمباشرة بعد هزيمة العقاب حل وباء 610هـ «الذي تحيف الناس إلا قليلا»[38]. ثم توالت سلسلة من المجاعات في أعوام 616هـ، 617هـ، 630هـ، 634هـ، 635هـ، فمهدت هذه المحن السبيل أمام صعود المرينيين.

كان إذن للكوارث الطبيعية دور سياسي واضح من حيث أنها كانت تزيد من استفحال تدهور السلطة المركزية لتسقط ثمرة ناضجة في يد خصومها. إلا أن آثارها لم تكن تقف عند هذا الحد. فقد كانت لها انعكاسات على صعيد الجهاد في الأندلس التي كانت مرتبطة ارتباطا عضويا بالمغرب وتتأثر بكل ما يجري فيه من أحداث.

يحدثنا ابن عذاري في هذا الصدد بأن «الطاعون» الذي ضرب مراكش سنة

---

(38) الناصري، **الاستقصا**، ج 3، ص 4.

571هـ/ 1175-1176م، والذي انتهى به عدد الضحايا في كل يوم إلى 100 و190 شخصا، أقعد الخليفة الموحدي المنصور عن العبور إلى الأندلس لما استنجد به أهلها ضد تحرشات الاسبان، لأن الناس كانوا «من ضعف المرض والطاعون لا يقدرون على الحركة»[39]. وإذا كانت الدولة الموحدية قد تمكنت بسرعة من تجاوز آثار هذا الوباء وحققت بعد مدة وجيزة انتصارات باهرة على الجبهتين الأندلسية والافريقية، فإن مجاعة 607هـ/ 1211م تركت بصمات عميقة، بل ويظهر أن لها علاقة بهزيمة الموحدين في معركة العقاب، تلك الهزيمة التي تعتبر ذات عواقب وخيمة، ليس على الدولة الموحدية فحسب، بل وعلى مستقبل الإسلام في الأندلس.

وبالفعل، يفسر ابن عذاري، الذي يروي تفاصيل مفيدة عن هذه الوقعة، هزيمة الموحدين بافلاس صندوق الخليفة الناصر نتيجة للمجاعة وللابتزاز المالي الذي مارسه الشيوخ الموحدون في الأقاليم، فيقول بصدد حديثه عن حملة الناصر إلى الأندلس عام 607هـ :

«وتمادت الحركة إلى قصر كتامة والأسعار قائمة النفاق، والبلاد قد تضيقت في كل ما يؤول إلى الارتفاق، وسبب سطوته بعماله في هذه السنة أن لقي الناس في هذه الحركة من تنوع المسغبة وانتشار المجاعة وتعذر الأوطار وعدم الأقوات ما لم يعهده الناس ولا علموه في أسفارهم القاصيات ولا عارضهم مثلها فيما ترددوا فيه من زمن الفتن المبيرات والناصر يتربص بانتقال المراحل لثقل الحالات ويغضي عما سمع من الهنوات إلى أن استقبل المنازل التي كانت تستمد منها الرفاق وتحتقب منها الحقائب ويدخر منها الأزودة المقيم والذاهب فألفاها وقد جف معينها وخف بتوالي العدوان قطينها ولم يبق منها لمخازن السلطان الوافرة أثر ولا يتضح لخازنها دليل ولا نظر واستولى على عموم المحلة الاقتار، وبلغ منهم مبلغ الهزائم المبيرة الأضرار، وجاوز الحد بالناس وسع الاحتيال ووقف لهم العجز عن ادراك الحيلة في معايشهم على غاية الاضمحلال»[40].

---

(39) ابن عذاري، 1985، م.س، ص 138.

(40) نفسه، ص 259.

هذا وقد عمد الناصر إلى اعتقال هؤلاء العمال، وكلف بذلك الشيخ ابن أبي علي، صاحب الأعمال المخزنية، بل وعمد إلى إعدام بعضهم. وكرد فعل على هذا الزجر، فإن الشيوخ الموحدين خذلوه في وقعة العقاب، وتركوه يواجه مصيره. ويختتم ابن عذاري حديثه بقوله : «على أن الموحدين لم يجدوا في تلك الغزوة ولا نصحوا فيها لأجل نكبة أميرهم الناصر لأشياخهم وقته واستيعاله لهم على يد المفوض ذلك إليه ابن مثنى»[41].

6 ـــ تآكل قوى الانتاج :

يعتبر الانسان القوة الاقتصادية لكل بلاد وأساس تقدمها الاجتماعي والاقتصادي لأنه محور لكل المهام الاقتصادية. وإذا كانت هذه بديهية مسلما بها، فإنها تكتسي كافة مضامينها الحقيقية بالنسبة للتشكيلات ما قبل الرأسمالية التي يرتبط فيها نمو قوى الانتاج ارتباطا وثيقا بالمخزون السكاني، وهذا بسبب الدور الرئيسي الذي تلعبه قوة العمل في عملية الانتاج. ذلك ما عبر عنه ابن خلدون بقوله : «وكثرة العمران تفيد كثرة الكسب لكثرة الأعمال التي هي سببه... والمكتسبات كلها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية»[42].

على ضوء هذا تتضح لنا في أجلى مظاهرها خطورة عوامل التدمير، من مجاعات وأوبئة، التي كانت تتدخل دوريا لتعرض قوى الانتاج للتآكل والتلاشي وإلى ما يتبع ذلك من خراب المعامل والمنشآت الصناعية، وكثرة القرى المهجورة، وتقلص المساحات المنزرعة، لاسيما في السهول، وتدمير حياة الاستقرار، والتفشي الواسع للنشاطات الرعوية[43].

لا يغرب عن بالنا، ونحن نقرر هذا، ذلك المستوى الاقتصادي المرموق الذي حققه المغرب في العصر الوسيط. إن جميع الجغرافيين العرب، الذين ساحوا فيه

(41) **نفسه**، انظر أيضا علي أمليل : **الخطاب التاريخي. دراسة لمنهجية ابن خلدون**، معهد الانماء العربي، ص 157.

(42) **المقدمة**، م.س، ص 689.

(43) إن كتاب الحقبة الاستعمارية لم يأخذوا بعين الاعتبار هذه الوقائع عند حديثهم عن الحالة الاقتصادية بالمغرب خلال الحقبة الوسيطة، فغالبا ما قدموها بصورة مشرقة جدا حتى إذا ما جاء الغزو الهلالي، كان الخراب والدمار !

أو كتبوا عنه من بعيد خلال هذه الحقبة وصفوه بأنه بلد يزهو بوفرة منتجاته ورخاء أسعاره، وخضرة أشجاره، وكثرة بساتينه التي تلاقي بعضها بعضا من كثرة ازدحامها. فمهما يكن في هذه الأوصاف من مبالغة، فهي تقيم الدليل على أن المغرب عرف في ظل استقرار السلطة المركزية وسلامة الظروف الطبيعية ازدهارا كبيرا تجسد في شق السواقي ومد الخطارات وادخال مزروعات جديدة، كما تجسد في ازدهار الحياة الصناعية والتجارية والثقافية.

بالرغم من ذلك، علينا أن نضيف أن المجاعات والأوبئة كانت تنقض دوريا لتعرقل هذه الجهود، وتخرب الشروط اللازمة لانتشار الزراعة وتقدم الصناعة. يكفي هنا أن نذكر رواية ابن أبي زرع التي تقول : «وكان بفاس 400 حجر لعمل الكاغد وخرب ذلك كله أو جله أيام المجاعة والفتنة التي كانت في أيام العادل وأخيه المامون»[44]. وقس على ذلك ما جرت العادة أن يكون بالمدينة من حرف أخرى. ولئن كان المغرب قد تمكن من المحافظة على ازدهاره، على الأقل حتى نهاية القرن الثالث عشر، فلأن الفائض الاقتصادي لم تكن تنتجه في معظمه قوى الانتاج المحلية، وإنما كان يأتي من دور الوسيط الذي كان يلعبه في التجارة العالمية. ولكم هو معبر عن هذه الحقيقة قول ابن عذاري :

«وفيها (634هـ) كان الغلاء المفرط الذي انتهى فيه الربع الواحد من الدقيق إلى سبعة وثلاثين درهما ولكن الناس كانت تقاوم هذا الغلاء فإن السلع كلها نفقت أسواقها ودرت أرزاقها وكان الدرهم الواحد أفضله عشرين درهما أو نحو ذلك والمرد هكذا في كل سوق فما كان أحد من التجار ولا من السوقة يبالي بتضاعف نفقته مع جزيل الفائدة العائدة عليه في تجاراته وأرباب الدولة قد امتلأت أيديهم بالخير الكثير»[45].

بيد أن العلاقة الجدلية بين النوازل الطبيعية وتآكل قوى الانتاج شكلت، ابتداء من القرن الرابع عشر، عنصرا أساسيا في كبح الدينامية الاجتماعية، كما بلور ذلك ابن خلدون :

---

(44) ابن أبي زرع، 1973.

(45) البيان، 1985، م.س، ص 339.

«واعتبر حال الرفع من العمران في قطر افريقية وبرقة لما خف سكانها وتناقص عمرانها كيف تلاشت أحوال أهلها وانتهوا إلى الفقر والخصاصة وضعفت جباياتها فقلت أموال دولها..»[46].

لقد ربط اذن ابن خلدون بوضوح بين التناقص العمراني واضمحلال أحوال المغرب. إلا أنه لم ينتبه إلى الملابسات الجديدة التي كرست هذا الاضمحلال. ذلك أن عوامل أخرى كانت وقتذاك قد تداخلت في عملية الانهيار بجانب المصاعب الناجمة عن الكوارث الطبيعية أو التصعيدات السياسية، ونعني بها تفوق أوربا في فن الملاحة، الأمر الذي انتزع من المغرب المركز التجاري الذي كان يحتله خلال عهدي الموحدين والمرابطين، وبدأت طرق التجارة والمرور الدولي تبتعد عنه، مما أدى إلى غلق سبل الاكتساب الخارجي أمامه، وحدث بذلك التغيير الذي قاد هذه البلاد إلى التخلف.

---

(46) **المقدمة**، ص 662.

الأنتروبولوجيا والتاريخ

تقديم

نظمت شعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط بتعاون مع «اللجنة المغربية الأمريكية للتبادل الثقافي والتربوي» حلقة دراسية في موضوع «إعادة تصور للتقاليد والمجتمع بالمغرب»، وذلك بمشاركة عدد من الباحثين المغاربة والأجانب ينتمون لتخصصات مختلفة من ميادين المعرفة الإنسانية. وقد أشرف عل تسيير هذه الحلقة الباحث الأمريكي ديل إيكلمان من جامعة دارتموث بالولايات المتحدة.

وفيما يلي نقدم ثلاثة عروض في موضوع : الأنتروبولوجيا والتاريخ.

I – الانتروبولوجيا والتاريخ ووضعهما في المجال الأكاديمي

ديـل ايكلمـان
جامعة دارتموث، الولايات المتحدة

التفسير الأنتروبولوجي والتفسير التاريخي

يؤكد وجود كل من التاريخ والأنتروبولوجيا في شعب منفصلة وضمن اختصاصات متباينة في المجال الأكاديمي، على أن هناك اختلافات بين هذين الحقلين المعرفيين تعطي لكل منهما مشروعية الاستقلال بذاته. وما سأحاول إثباته في هٰذه الورقة، هو أنه على الرغم من هذه الاختلافات، هناك عدد من أوجه الشبه بين السرد والتفسير السائدين اليوم في التاريخ والأنتروبولوجيا ؛ والاختلاف الوحيد هو التأكيد الذي يحظى به هذا المنحى أو ذاك في كل منهما.

يقوم المختصون في الأنتروبولوجيا الثقافية أو الاجتماعية ـــ مع الإشارة إلى أن معنى إحديهما أصبح يفيد معنى الأخرى ـــ بدراسة المجتمعات الراهنة أو ذات التاريخ المعروف. أما المنحى الأنتروبولوجي الكلاسيكي الذي يركز على دراسة المجتمعات الصغيرة التي تنعدم فيها تقاليد الكتابة والقراءة أو المجتمعات التي في حكمها، فقد أصبح اليوم في خبر كان. إلا أن هذه الإيديولوجيا التي سادت زمناً في الأنتروبولوجيا أخرت قيام الأنتروبولوجيين بدراسات جادة ومقنعة عن المجتمعات المركبة والحضارات المتطورة. ولعل أولى الاهتمامات التي تشغل اليوم بال الأنتروبولوجيين تتمثل في رصد الرموز المشتركة لدى مجتمع ما وكذا رصد أنماط المعاني المتداخلة، التي يقوم أفراد المجتمع ـــ بكيفية واعية وإرادية وأيضاً بصورة غير واعية ـــ بتوليدها والحفاظ عليها أو بتغييرها وإعادة إنتاجها، من أجل إعطاء معنى لعالمهم الاجتماعي ومن أجل تسهيل عملهم وتحركهم فيه. وهناك اهتمام آخر

مكمل لهذا الاهتمام الرئيسي، وهو البحث في الكيفية التي تؤثر بها ضوابط التنظيم الاجتماعي والاقتصادي في قضايا مثل اللاّمساواة الاجتماعية والعلاقة بين الجنسين والسلطة السياسية.

يتبع كل من الأنتروبولوجي والمؤرخ أسلوباً معيناً في التفسير. إلاّ أن أسلوبيهما متكاملان، ويمكن لأحدهما أن يستعمل أسلوب الآخر. وغني عن القول أن المؤرخ يختلف عن الأنتروبولوجي في النّمط الذي يتبعه في تفسير الواقع التاريخي أو التجريد الذي يستخلصه من ذلك الواقع. إلا أن هذا الاختلاف هو اختلاف في التدرج أكثر مما هو اختلاف في النوع. وقد كان إدراك التاريخ في وقت ما ينحصر في كونه تسجيلاً لما حدث في الماضي، وأن مهمة هذا التخصص المعرفي هي إبراز هذا التسجيل وإيضاحه. لكن وقفة تأمل قصيرة من شأنها أن تدلّنا على أن التاريخ يشمل أكثر من ذلك بكثير. فجان بول سارتر يعرف التاريخ بأنه ذلك «الفعل المتعمد في إعادة خلق الماضي عن طريق الحاضر»[1]، في حين يرى ريمون أرون أن أجود تفسير تاريخي هو ذاك الذي يكون «أكثر انسجاماً وأكثر قرباً للتصديق، وأكثر موافقة لكل الأدلة»[2]. وإن نحن قمنا بمقارنة مؤلف مارك بلوك ــ **المجتمع الفيودالي** ــ[3] الذي يشرح فيه الكيفية التي ظهر بها مفهوم اللامساواة الذي نسميه بالفيودالية، في القرنين الحادي عشر والثاني عشر في أوربا، وكذا انعكاسات هذا المفهوم على العلاقات بين الدين والسلطة السياسية وبين السادة والأقنان وكذا انعكاساته في مفاهيم الأسرة والمكان والولاء ــ أقول إن نحن قارنا هذا المؤلف بدراسة مثل دراسة إرنست جيلنر عن **صلحاء الأطلس**[4]، فإنه سيصعب علينا أن نجزم القول في أي العملين ننسبه للمؤرخ وفي أي منهما ننسبه للأنتروبولوجي. والواقع أن كثيراً من القراء سيخلص إلى أن مارك بلوك هو أكثر الاثنين جدارة بلقب الأنتروبولوجي، بسبب أن التفسيرات التي يعطيها لمفاهيمه أكثر إقناعاً في ربطها بما هو متوافر لديه من أدلة.

---

(1) Jean-Paul Sartre, *Literary and Philosophical Essays* (New York: Collier Books, 1962), p. 206.

(2) Raymond Aron, *Introduction to the Philosophy of History* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1961), p. 124.

(3) Marc Bloch, *Feudal Society*, trans. L. A. Manyon (Chicago: University of Chicago Press, 1964).

(4) Ernest Gellner, *Saints of the Atlas* (Chicago : University of Chicago Press, 1969).

يسعى بعض المؤرخين إلى العناية في المقام الأول بإعطاء تفسيرات لأحداث معينة (وهذا لا يمنع وجود مؤرخين آخرين أمثال لورانس سطون الذي سعى إلى تفسير ظهور بعض المؤسسات والأفكار في إنجلترا في القرن السادس عشر، كفكرة الجامعة أو الأسرة). وما نلحظه هو أنه مازال محتماً على هؤلاء المؤرخين الاعتماد، ولو بصورة ضمنية، على بعض المفاهيم المجردة التي يستعملها علماء الاجتماع (أو الأنتروبولوجيون). منها مثلاً المفاهيم المجردة عن طبيعة المعتقدات الدينية والعلاقات السياسية وعن المؤسسات الأخرى التي تستخلص من دراسة مجتمع ما. وفي اعتقادنا أن ابن خلدون نموذج متميز في هذا الباب حيث استطاع في مقدمته أن يجمع بين هذين العنصرين. أما ما يهتم به الأنتروبولوجي في المقام الأول، فهو محاولته إبراز وتأكيد الظواهر والضوابط التي يتكرر حدوثها في مجتمع ما، منها على سبيل المثال، العلاقة بين أنساق المعتقدات والنشاط الاجتماعي والتحكم في أنساق (أو منظومات) الرموز أو منظومات المعاني من أجل تبرير وجود شكل من أشكال اللامساواة الاجتماعية أو السلطة السياسية، أو من أجل تحقيقها وتنفيذها (وقد سبق أن رأينا نموذجاً في هذا الباب في العرض الذي قدمته فاطمة الحراق)[5]. وقد ذهب ريمون أرون بعيداً إلى حدِّ القول إن مهمة عالم الاجتماع ــ ولربما يقصد ضمنيا مهمة المؤرخ أيضاً ــ «في جعل المحتوى الاجتماعي أو التاريخي أكثر يسراً للفهم والإدراك من التجربة ذاتها والكيفية التي أدركها بها الذين عاشوا التجربة»[6].

ما وراء الثقافة : أو المغرب والشرق الأوسط في الفكر الأنتروبولوجي

في سنة 1984 كتبت مقالاً بعنوان «الاتجاهات الجديدة في تأويل مجتمعات شمال أفريقيا»[7]. وفيه تناولت بالوصف والتحليل المقاربات التي ظهرت بعد

(5) فاطمة الحراق (1992)، «السلطة والأيديولوجيا في مغرب القرن الثامن عشر»، بحث غير منشور قدم في الحلقة الدراسية التي نظمتها شعبة التاريخ بكلية الآداب بالرباط تحت عنوان **إعادة تصور للتقاليد والمجتمع في المغرب**، أبريل 1992.

(6) Raymond Aron, *Main Currents in Social Thought*, vol 2, trans. Richard Howard and Helen Weaver (New York: Doubleday Anchor, 1970), p. 245.

(7) Dale F. Eickelman, «New Directions in Interpreting North African Society», in *Connaissances du Maghreb: Sciences sociales et colonisation*, ed. Jean-Claude Vatin (Paris: Editions du C.N.R.S., 1984), pp. 279-89.

انتهاء الحقبة الاستعمارية، وكان موضوعها تفسير مجتمعات شمال أفريقيا عموماً والمجتمع المغربي خصوصاً. وإذا كانت تلك الاتجاهات التي وصفتها بالجدة في سنة 1984 قد أصبحت اليوم قديمة، فقد تمت الإشارة في ذلك المقال إلى مقاربة أسميتها آنذاك بـ «الاقتصاد السياسي للمضمون الثقافي» (Political economy of meaning)[8]. وفي وصف تلك المقاربة ركزت على أهمية فهم أولئك الذين يعيدون إنتاج منظومات خاصة من المعاني ويحافظون عليها ويعترضون عليها. والملاحظ أن التأكيد على هذه الواسطة (أو الفاعل) Agency[9]، كان غائباً في أنماط فهم الثقافة التي سادت في السابق. وهذه المقاربة هي التي استعارها عبد الرحمن المودن في ما أسماه بـ «توجيهات إجرائية» من أجل فهم المعاهدات الدبلوماسية[10]، وهي أيضاً التي نجدها حاضرة عند عمر بنميرة من أجل فهم الاستراتيجية التي اتخذتها أسر النخبة في الحفاظ على ثرواتها والعلاقات بين أفرادها[11]. وفي مقال نشرته مجلة **المستقبل العربي** في سنة 1990، بعنوان : «الكتابة الأنتروبولوجية عن الشرق الأوسط»[12]، بينت الكيفية التي يعمل بها الأنتروبولوجيون اليوم على إبراز «الأصوات المتعددة» داخل المجتمع الواحد، والتي نجدها في كل المجتمعات. وما يسعى إليه الأنتروبولوجيون من وراء ذلك هو البحث عن وسائل جديدة القصد منها هو التعريف بالتعددية السياسية والاقتصادية الداخلية التي تكون حاضرة في مجتمعات مثل مجتمعات الشرق الأوسط، وأيضا التخلص من النمط القديم الذي كان سائداً في الكتابة الأنتروبولوجية، التي غالباً ما يظهر فيها صوت الإثنوغرافي

---

(8) Dale F. Eickelman, «The Political Economy of Meaning», *American Ethnologist*, 6, no. 2 (May), pp. 386-393.

(9) See Anthony Giddens, *The Constitution of Society* (Berkeley and Los Angeles : University of California Press, 1984), pp. 1-40.

(10) Abderrahmane El Moudden, *Sharifs and Padishahs: Moroccan Ottoman Relations from the 16th Through the 18th Centuries: Contribution to the Study of a Diplomatic Culture*, Ph. D. dissertation in Near Eastern Studies, Princeton University (U.S.A), 1992.

(11) عمر بنميرة (1992)، «نوازل الأحباس بالمغرب المريني»، بحث غير منشور قدم في الحلقة الدراسية التي نظمتها شعبة التاريخ بكلية الآداب بالرباط تحت عنوان **إعادة تصور للتقاليد والمجتمع بالمغرب**، أبريل 1992.

(12) ديل إيكلمان (1990)، «الكتابة الأنتروبولوجية عن الشرق الأوسط»، مجلة **المستقبل العربي**، عدد رقم 134، (أبريل 1990)، بيروت.

مدعيا بأنه صوت «الموضوعية الخبيرة» (Experienced objectivity) المستقلة عن «التأويل السياسي».

سياسة الثقافة : أو فعل كتابة التاريخ والأنتروبولوجيا

بين محمد العيادي في هذه الحلقة الدراسية المجال الواسع الذي استعمل فيه مفهوم الثقافة في الماضي، ثم خلص إلى الاستعمال المرجعي الراهن القريب من المعنى الذي استعمل فيه مفهوم الثقافة، والذي يشمل من بين ما يشمل الثقافة المهيمنة، كتلك التي تمثلها ممارسات المخزن، وضمنيّا ممارسات من يتبعون له.

وتؤكد هذه المقاربة التي أتبناها أن الثقافة هي شكل من أشكال الفعل التواصلي، الذي تشارك فيه مجموعة ما من الأشخاص أو طبقة من الطبقات أو نخبة من النخب أو مجموعة من المجموعات الأخرى التي تكون لها مصالح مشتركة أو تمثل صوتا من الأصوات المتعددة داخل المجتمع. وبعبارة أخرى إن الثقافة هي «طرق المعرفة» التي بها يفهم الناس نشاطهم الاجتماعي أو التي بها يقبلون نشاطهم ذاك عندما يكونون مجبرين على ذلك. ومن ثمة إن محاولتي الراهنة الساعية إلى فهم انتشار التعليم العالي الجماهيري الحديث العهد في العالمين العربي والإسلامي، هي من أجل إدراك الكيفية التي يفهم بها الناس الذات والجماعة والسلطة السياسية والمجتمع ويفكرون فيها. ومقاربتي لهذا الموضوع لا تختلف بتاتاً عن المقاربات التي يتبناها كل من التوزي والحراق والمودن في سعيهم لتفسير التطورات التي تعنيهم في أبحاثهم.

وفي محاولتي الكشف عن الكيفية التي ترتبط بها منظومات المعاني بالسياقات السياسية والاقتصادية التي تعيد إنتاجها، تأثرت في البداية بأعمال بورديو، حيث استلهمت على الخصوص مقاربته للتعليم العالي التي تحرى فيها الكشف عن التطابقات والصلات بين المكانة الاجتماعية (Status) والسلطة و«طرق المعرفة» التي يرسخها التعليم العالي. ومع مرور الزمن اكتشفت أن جدوى آراء بورديو وفعاليتها تكمن في اقتراحه للكيفية التي تعمل بها الممارسات المعقدة السائدة في المؤسسات التعليمية على إعادة إنتاج علاقات غير متكافئة تظهر في توزيع الثروة والسلطة في المجتمع. إلا أن آراء بورديو هاته تقل فعاليتها في إبراز الكيفية التي تفسح بها السلطات السياسية ــ بما فيها السلطات القمعية ــ المجال للمعارضة والاحتجاج.

والواقع أن بعض أشكال المقاومة، التي تقاوم المؤسسات المركزية في المجتمع، تبدو كأنها ذات أهمية كبرى في بناء خطاب ذي سلطة، لكن شريطة احتواء كل مصادر المعارضة والانشقاق. ومن هذا المنحى تبدو آراء أنطونيو جرامشي أكثر فعالية من آراء بورديو حتى وإن كان أقل ترتيباً وتنظيماً لمفاهيمه من هذا الأخير. فجرامشي يقترح أنه حتى وإن كان المثقفون مقيدين بالنظام الاجتماعي القائم، فإنهم لا يقومون قط بإعادة إنتاج ذلك النظام ولكن يزرعون بذور المقاومة والاحتجاج ولو بصورة غير معلنة. وكثير من هذه الحجج والبراهين هي ترديد وصدى لآراء ماكس ڤيبر الذي رأى التاريخ بنظرة جدية. والواقع أن الأنتروبولوجيين لم يشرعوا في أخذ تسلسل الزمن وتعاقب الأحداث مأخذ الجد وجعلها عنصراً لا يتجزأ من تفسيرهم السوسيولوجي إلاّ في السنوات الأخيرة.

والسؤال هنا : لماذا أخذت أنتروبولوجية الشرق الأوسط والعالم الإسلامي كل هذا الوقت لكي تؤثر في الاتجاهات الرئيسية السائدة في الأنتروبولوجيا عموماً ؟ وفي اعتقادي، هناك سبب واحد يفسر ذلك، وهو ذلك التأكيد المتباطيء الخُطى على دراسة المجتمعات الصغيرة، التي يفترض فيها أنها مجتمعات مغلقة أو أنها في حكم المغلقة، وحيث يفترض أنه بامكان الأنتروبولوجي أن يدرك بسرعة الارتباط الداخلي بين المؤسسات الاجتماعية ومنظومات المعاني. وماتزال الأنتروبولوجيا إلى اليوم ضعيفة في تناول مواضيع مثل موضوعات الهجرة الدولية والحج وغيرها من الموضوعات التي تتخطى الحدود الكبرى التي ترسمها المناطق والديانات. أما أسطورة المجتمعات الصغيرة النائية التي تبدو كأنها ذات مجتمعات قارة، فإنه حتى وإن كانت هذه المجتمعات تغري الباحث الأنتروبولوجي بسهولة القيام بمونوغرافيات «أنيقة»، إلا أنها ترى في الوقت الراهن أنّها كانت مجرد فاصل في الفكر الأنتروبولوجي. ولربما يكون هناك عامل آخر يتمثل في العامل السياسي. فهذا مثلاً أحد الأساتذة المرموقين يتربع على كرسي من كراسي تدريس

(13) الإشارة هنا إلى مداخلة شفوية لمحمد عياد حول الاستعمال الواسع لمفهوم الثقافة، وذلك خلال ندوة عقدت بكلية الآداب بعين الشق ــ الدارالبيضاء، ماي 1992.

(14) For further discussion of this issue, see Dale F. Eickelman, «Mass Higher Education and the Religious Imagination in Contemporary Arab Societies», *American Ethnologist* (forthcoming).

الأنتروبولوجيا في إحدى الجامعات الامريكية، وقد سبق له أن حارب مع الطرف الثاني في جبهة القدس سنة 1948، يقول هذا الأستاذ المحترم إنه من المستحيل القيام بعمل أنتبرولوجي جيد في منطقة الشرق الأوسط، بسبب عدم الاستقرار السياسي في المنطقة (وعلى هذا الأساس تكون لوس أنجلوس الذي عرفت الاضطرابات الأخيرة كغيرها من مناطق العالم، خارج متناول البحث الأنتروبولوجي). وما أريد إثباته، على النقيض من هذا، هو أنه حتى التوتر السياسي الشديد أو التوتر الديني أو العقدي، الذي ينقله الباحثون من بلدان المنطقة أو الأجانب إلى موضوعات العلاقة بين الجنسين، وفرص إقرار الديموقراطية والحركات الدينية، وغيرها من الموضوعات التي تهم منطقة الشرق الأوسط، تجعلنا نتلمس الأهمية التي يكتسيها فهم هذه القضايا في إطار عام وشامل. ويعمل هذا التركيب المعقد وهذه التقلبات التي تميز بلدان الشرق الأوسط، التي بدأ سكان المنطقة يفهمونها بحدة ويعون ظروفهم السياسية والبدائل الممكنة لها، أقول يعمل كل هذا على جعل فهمنا للقاعدة السياسية والاجتماعية والسيرورة الاقتصادية الراهنة أمراً حيوياً بالنسبة للمنطقة.

II – من الملاحظة الميدانية إلى الكتابة الأنتروبولوجية

إفلين ألين أورلي

الملحق الصحافي

بسفارة الولايات المتحدة بالرباط

يدور موضوع هذه الورقة حول الكيفية التي ينتقل بها الباحث من الملاحظة الميدانية إلى النظرية ـ الأنتروبولوجية، ومنهما إلى الكتابة أو إنتاج خطاب أنتروبولوجي. وقد استندت في رصد هذه العلاقة على الأبحاث التي قمت بها في كل من مصر ولبنان وسوريا. وسأقتصر هنا على الإحالة فقط على ما قمت به من دراسات حول الأحياء الشعبية بمصر، مع التذكير بأنه قد سبق لي قبل ذلك أن أنجزت دراسة حول هجرة الشيعة من جنوب لبنان إلى بيروت، وكذا دراسة حول الفنون الشعبية والثقافة الفولكلورية في سوريا(1).

.وفي مصر قمت بدراسات حول الأنتروبولوجية الطبية والحياة اليومية في الأحياء الشعبية، حيث انصب اهتمامي بكيفية خاصة على دراسة مراكز رعاية الطفولة والأمومة والقيام بزيارة بعض الأسر في أماكن إقامتها قصد استجلاء مظاهر الحياة اليومية في هذه الأحياء (انظر بحث المؤلفة في المراجع (Early, 1992)).

أما عن الغاية التي توخيتها من هذه الأبحاث، فكانت محاولة مني لتوضيح وشرح الازدواجية التي يعيشها قطاع من المجتمع المصري يزاوج فيها بين «الثقافة البلدية» و«الثقافة الإفرنجية». وأود هنا أن أنبه القاريء المغربي إلى أن استخدامي لهذين المصطلحين («بلدي» و«إفرنجي») ربما يختلف عما هو مألوف في المغرب.

---

(1) أود أن أعبّر عن تشكراتي وامتناني للدكتور إيكلمان على تعاليقه القيمة، كما أشكر الأخ محمد السبتي على مساهمته في الترجمة التي بينت فهمه العميق للمقالة.

فالمقابل للبلدي هو الشعبي، في حين أن مقابل الإفرنجي هو المعاصر وليس الأجنبي أو الأوربي كما قد يتبادر للذهن.

وما سأعمل عليه في هذه الورقة هو محاولة الإجابة عن سؤال رئيس يتعلق بالكيفية التي ينتقل بها الباحث من البحث الميداني إلى الكتابة وكذا الكيفية التي يستغل بها، في طريقة عمله، الوثائق والمصادر المكتوبة. وعلى الرغم من أننا نتحدث هنا عن مصادر يمكن نعتها بـ «المصادر التاريخية»، فإنه من الواضح أنني أنطلق من وجهة نظر أنتروبولوجية وليس من وجهة نظر تاريخية.

وأود أن أشير هنا إلى أن هناك ثلاث قضايا رئيسية أثارت اهتمامي في كيفية استعمال النصوص المكتوبة والرواية الشفوية، إلا أنني سأكتفي هنا بتلخيصها وتفصيل القضية الأولى منها، نظرا لضيق المجال المحدد لهذه الورقة.

1 ـــ الانتقال من البحث الميداني إلى الكتابة

تتلخص القضية الأولى في «الانتقال من المعلومات الميدانية إلى ما يصطلح عليه في الكتابة الأنتروبولوجية بالسرد الشخصي (Personal Narrative). وسأعود فيما بعد إلى الحديث عن تجربتي الشخصية في هذا الباب، حيث سأشير بكيفية خاصة إلى رحلتي الفكرية وكيفية انتقالي من الملاحظات الميدانية إلى تكوين أفكار «السرد الشخصي».

2 ـــ أهمية المناهج في الأنتروبولوجية التطبيقية

وتتعلق القضية الثانية بأهمية المناهج الأنتروبولوجية في العلوم الاجتماعية التطبيقية وبصورة خاصة في الأنتروبولوجيا الطبية التطبيقية. وأود الإشارة هنا إلى أنه بعد إنهاء أبحاثي الميدانية الأولى في مصر التي انتهت بإعداد أطروحة قدمتها في جامعة شيكاغو لنيل درجة الدكتوراه، عدت إلى مصر مرات عديدة قصد المشاركة في أعمال فرق أبحاث متعددة الاختصاص. وكنت أقدم نفسي على أساس أنني مختصة في «الأنتروبولوجية الطبية التطبيقية» على الرغم من أن اختصاصي وانتمائي النظري هو «الأنتروبولوجية الرمزية». وأثناء مشاركتي هاته، كنت أستعمل «الملاحظة بالمشاركة» (Participant Observation) قصد الوصول إلى نتائج تطبيقية، كما استعملت أحيانا «الطريقة الكيفية» في وضع الاستمارات التي كان يساهم فيها

اختصاصيون من ميادين أخرى كتخطيطات الصحة والاقتصاد وغيرها. وهذه الأبحاث التي كنت أقوم بها شبيهة بالأبحاث التي كانت تجري في مشاريع تطبيقية أخرى مثل الزراعة التطبيقية وتخطيط المدن. ولإعطاء نموذج عما كنت أقوم به يمكن القول أنني عندما كنت أساهم في المشاريع الطبية، مثل مكافحة الإسهال عند الأطفال، كان من بين اهتماماتي البحث عن أحسن اسم يمكن أن يُعْطَى للدواء المستعمل في علاج الاجتفاف عند الأطفال. وفي هذا الصدد قمت بدراسة ثقافية للبحث عن أكثر الأسماء ملاءمةً ثقافياً للمعنيين بهذا الدواء. وقد طبقت في هذا البحث الخاص بالأنتروبولوجية التطبيقية نفس المنهج الذي سبق أن اتبعته في الأنتروبولوجية النظرية. وفي اعتقادي أن هذا يشكِّل جزءاً من عملية الانتقال من الملاحظة بالمشاركة إلى المفاهيم النظرية (انظر أبحاث المؤلفة المثبتة في المراجع (Early 1982, 1987)).

3 ـــ انعكاسات المفاهيم الصحية في المجتمع

وأثناء إقامتي في مصر، كنت شديدة الاهتمام بالطب الجالينوسي والكيفية التي كان العطارون يستغلون بها هذا الصنف من الطب. وضمن اهتمامي هذا، اقتنيت العديد من الكتيبات الصغيرة الخاصة بالموضوع والمتداولة على نطاق واسع (والتي تباع في الأكشاك)، مثل «شوف بختك واعرف ضميرك» و«تقاليد يجب أن تزول» و«الطب المنزلي»، ثم انكببت على قراءتها في محاولة لاستبانة مضمونها وتفسيره. كما انصب اهتمامي أيضاً على الممارسات الطبية للعطارين واستعمالهم للمصادر الطبية الجالينوسية.

وعلى الرغم من أن هذه الكتيبات متداولة أيضاً بين المثقفين، فإنها تعكس في جانب منها الظروف الاجتماعية والاقتصادية في فترة تاريخية معينة. فعلى سبيل المثال، لاحظت أن الكتيبات التي وضعت قبل ثورة 1952، ركّزت بصورة أكبر على الإسلام والعلاجات المنزلية وبعض المواضيع التقليدية الأخرى، في حين أن الكتيبات (Kiosk Pamphlets) التي ألفت مباشرة بعد الثورة اهتمت بمواضيع ثقافية مرتبطة بالوطنية والاشتراكية كموضوعات الأخلاق والتصرفات المثالية : الأخ المصري والأخت المصرية وكيفية التصرف السليم للمواطن المصري المثالي، إلخ.

وحسب فوكو (Foucault 1980)، فإن جسم الإنسان يمكن أن يصلح صورة مجازية للجسم السياسي. وإذا أخذنا بهذه الفكرة، فإن العناية بالجسم الإنساني تعكس أيضاً الانشغالات الاجتماعية والدينية. ومن ثمة، فإن تطورات المعرفة الكلينكية لا تعكس التقدم العلمي فحسب، بل تعكس أيضاً المعايير الاجتماعية. وأنا أتطلع بشوق للتعرف على ما تخفيه هذه الكتيبات بين طياتها من كنوز معرفية تخص هذا المجال.

4 ــ الاكتشافات الثقافية : «لمن النص ولمن الصوت»

ونعود الآن إلى القضية الأولى، أي كيفية الانتقال من المصادر الميدانية إلى النظريات ثم إلى عملية الإدراك. إذ في هذا الصدد كان اهتمامي منصبّاً على اكتشاف ما هو أساسي في المجتمع المدروس مثل النظم الاجتماعية والثقافية وما يدخل في حكمها من موضوعات وأيضاً البحث عن الرموز الاجتماعية (Social Symbols). أمّا ركيزة العمل هنا، فتلخص في ضرورة الانتقال من الموضوعات اليومية، أي المعلومات المستقاة عن طريق الملاحظة بالمشاركة والملاحظة الكيفية، إلى النظريات الكبرى الموضوعة عن البنيات الاجتماعية والرموز الثقافية. وأحيل في هذا الصدد إلى ما كتبه الباحث إيكلمان عن كيفية تطور فهم الثقافة ؛ وأذكر بكيفية خاصة بالتعريف الذي استعمله، وهو «الاقتصاد السياسي للمضمون الثقافي» (Political Economy of Meaning)[2]. وسأركز فيما يلي على الكيفية التي اتبعتها في استخلاص الموضوعات الثقافية من المعلومات الميدانية وكذا كيفية البحث عمن هو صاحب «الصوت» ولمن «النص» وماهية السياق الذي يدوران فيه.

بدأ علماء اللسانيات ودارسو الفولكلور يولون مؤخراً أهمية زائدة للسياق

(2) المفكرون مثل Durkheim وGeertz معروفون في هذا المجال. ففي الفترة الأخيرة، لاحظنا اهتماماً بالرموز في «مجال الطقوس» (Ritual Context)، ومؤخراً ارتباط الرموز بالخبرة (Experience) (V. Turner, 1985 ; E. Turner, 1987). ويعتبر هذا الاهتمام تكميلاً لاهتمام دور الرموز في المجتمع ــ تاريخياً، واقتصادياً، وسياسياً. ويفسّر الدكتور إيكلمان في كتبه (1985) ومقالاته هذه النظرية. وناقش بعض الزملاء من بينهم الدكاترة إيكلمان وبورقية والحراق وأعفيف في هذه الندوة مسألة استخدام الرموز وارتباطها بالطبقة المسيطرة وكذا قضية الهيمنة.

الاجتماعي للنص[3]. كما بدأ الأنتروبولوجيون يوسعون دائرة اهتماماتهم لتشمل ما هو دنيوي وأيضاً الطقوس المرتبطة بالديانات العليا. وفي توسع الاهتمامات هذا شرع الباحثون في مناقشة «الحكايات الشخصية» أو «السرد اليومي»، إذ من هذه المناقشات تم التوصل إلى أن هذه «الحكايات اليومية» تعكس الحقائق الذاتية والشخصية في الحياة اليومية. ومنها تم التوصل أيضاً إلى كيفية الانتقال من التفاصيل البسيطة المتجمعة عن طريق الملاحظة بالمشاركة وكذا من الأمور المسموعة والمكتوبة والملحوظة إلى النظريات. ويشمل هذا النقاش «من يتكلم» و«لمن الصوت» و«من يستمع». كما أثير في النقاش قضية الكتابة الأنتروبولوجية وهل هي نقل لكلام الباحث الأنتروبولوجي أم نقل لكلام المبحوث فيهم.

أما فيما يتعلق بأبحاثي عن المرأة المصرية، فإنه بعد إقامتي لمدة سنة في مصر شرعت في تسجيل بعض الملاحظات أطلقت عليها مصطلح «الحكايات اليومية». وهو ليس بالمصطلح الجديد ولا تعبير عن فكرة جديدة : فهو مستعمل منذ مدة في الدراسات الفولكلورية والدراسات اللغوية. كما أن علماء الانتروبولوجيا بدأوا يهتمون أكثر فأكثر بموضوعات السياق وحدود الطقوس الدينية واليومية، ومن بين هؤلاء فيكتور تورنر (Victor turner)[4].

وفي المدة الأخيرة ركزت الدراسات المتعلقة بالنساء المصريات بصورة خاصة على ما تقوله النساء أنفسهن وكيف يستمع لكلامهن أو نستمع نحن له. وفي هذا السياق أذكر على سبيل المثال ملاحظة أندريا رو (Andrea Rugh) حول كتاب **«الخلخال»** لنيرة عطية. ذلك أن هذا الكتاب حتى وإن لم يكن كتاباً موضوعاً

---

(3) من بين المنظرين الذين اهتموا بـ «السرد الشخصي» (Personal Narrative)، نذكر Briggs (1988)، Glassie (1982)، Labov & Waletsky (1966) وRobinson (1981).

(4) من بين المصادر التي تعالج أولاً الحياة اليومية، وبالتالي السياق في حدود الطقوس الرسمية وغير الرسمية «Formal & Informal Rituals»، نجد Bourdieu (1977) Clifford and Marcus (1986) Fischer and Abedi (1990)، وTurner (1985).
نجد هناك دراسات أنتروبولوجية تعالج العلاقة بين النصوص المتعددة في الحكايات الشعبية (Folklore tales)، والسرد الشخصي (Personal Narrative) والطقوس (Rituals) والتعبيرات الثقافية، على سبيل المثال دراسة Mills (1992) حول الحكايات الشعبية في أفغانستان Folktales of Afghanistan.

في الأنتروبولوجيا ــ الكتاب مجموعة حكايات ترويها نساء مصريات ــ فهو في نظر رو (Rugh) أحسن من الأنماط التحليلية المتداولة في الكتابة الأنتروبولوجية بما تحمله حكايات النسوة الواردة فيه من معلومات ثقافية وما تقدمه من قيم الأجناس وغيرها مما يمكن اعتباره ذخائر ثقافية (Atiya, 1982). وهذا ما تؤكد عليه وجهة نظر الباحثين في النظريات المتعلقة بالثقافة اليومية والممارسة الثقافية أمثال بيير بورديو (P. Bourdieu, 1977).

وخلاصة القول، فإنني اكتشفت من خلال البحث الميداني عن الثقافة الشعبية في مصر أنه يمكن فهم بعض القضايا مثل «الحسد» و«الخصوبة» من دراسة الحكايات اليومية. وأشير هنا إلى أني كتبت مقالات عن «الحكايات اليومية» بينت فيها وجود ازدواجية ثقافية واقتصادية واجتماعية تجمع بين «البلدي» و«الإفرنجي»، وأعطيت فيها تعريفاً للثقافتين البلدية والإفرنجية، ودفعني ذلك إلى التعرض إلى قضايا أعتبرها على قدر من الخطورة، من بينها مفهوم «الغلابة» (الغلابة في المفهوم الشعبي المصري هم الأشخاص الذين لا يملكون شيئا وليس لهم عمل).

وختاماً، حاولت في هذه الورقة أن أوضح الطريقة التي اتبعتها في تقديم صوت النساء المصريات في إطاره الطبيعي. كما حاولت أن أبين أهمية المصادر الثقافية الأخرى (على سبيل المثال : الرموز الثقافية) في فهم عملية الانتقال من البحث الميداني إلى الكتابة والإدراك، وبالتالي فهم ماهية الحياة اليومية.

المراجع

Attiya, Nayra, 1982, *Khul-Khaal: Five Egyptian Women Tell Their Stories*, Syracuse: Syracuse University Press. Introduction by Andrea Rugh, pp ii - xx.

Bourdieu, Pierre, 1977, *Outline of a Theory of Practice,*. Cambridge Univ. Press.

Briggs, Chuck, 1988, *Competence in Performance : The Creativity of Tradition in Mexican Verbal Art*, Univ of Pennsylvania.

Clifford, James and George E. Marcus, 1986, *Writing Culture: The Poetics and Politics of Ethnography*, Berkeley: Univ. of California Press.

Early, Evelyn A, 1982, «The Logic of Well Being: Therapeutic Narratives in Cairo, Egypt», *Social Science and Medicine*, 16: 1491-1497.

1987, «Catharsis and Creation: The Everyday Narratives of Baladi Women of Cairo», *Anthropological Quarterly*, 172-180.

1992, *Playing with an Egg and a stone: Baladi women of Cairo, Egypt*, Boulder: Lynne Reinner Press.

Eickelman, Dale F, 1985, *Knowledge and Power in Morocco*, Princeton: Princeton univ. Press.

Fischer, Michael M.J. and Mahdi Abedi, 1990, *Debating Muslims: Cultural Dialogues in Postmodernity and Tradition*, Madison: Univ. of Wisconsin Press.

Foucault, Michel, 1980, *Power/ Knowledge*, Ed. Colin Gordon. New York: Pantheon Books.

Glassie, Henry, 1982, *Passing the Time in Ballymenone: Culture and History of an Ulster Community*, Philadelphia: Univ. of Pennsylvania Press.

Labov, William and Joshua Waletzky, 1966, «Narrative Analysis: Oral Versions of Personal Experience», *Essays on the Verval and Visual Acts* (AES 1966 proceedings), Univ. of Washington Press, pp. 12-44.

Mills, Margaret, 1991, *Rhetorics and Politics in Afghan Traditional Storytelling*, Philadelphia: Univ. of Pennsylvania Press.

Robinson, John A, 1981, «Personal Narratives Reconsidered», *Journal of American Folklore*, 94: 371, 58-85.

Turner, Edith, 1987, *The Spirit and the Drum: A Memory of Africa*, Tuscon: Univ. of Arizona Press.

Turner, Victor, 1985, *On the Edge of the Bush: Anthropology as Experience*, Tucson: Univ. of Arizona Press.

III – المغرب في الكتابة الأنتروبولوجية

محمد أعفيف

كلية الآداب ــ الرباط

موضوع هذه المداخلة يتلخص في سؤال رئيسي نجيب عنه ضمن أسئلة وأجوبة فرعية. والسؤال هو : لماذا احتل المغرب هذه المكانة الخاصة في الكتابة الأنتروبولوجية ؟ قد يبدو السؤال متجاوزاً معرفياً، حيث أن المعرفة الأنتروبولوجية ذاتها تجاوزت، منذ زمن، الاختصاص في المجتمعات الصغيرة (Small-scale societies)، حتى لا نستعمل، كما استعمل رواد الأنتروبولوجيا، مصطلح المجتمعات البدائية أو البسيطة، ووسعت مجالها المعرفي ليشمل المجتمعات المركبة والحضارات المتطورة. لكن ما نرمي إليه من وراء هذا السؤال هو إيجاد هيكل نطرح فيه عدداً من الأسئلة الفرعية نجعلها محوراً للإجابة.

هذه الأسئلة الفرعية ألخصها في ثلاث قضايا : مشروعية الخطاب الأنتروبولوجي؛ الذات والآخر («الذات والآخر» أستعملها هنا في اتجاهين متقابلين، أي ما تعنيانه للأنتروبولوجي عندما نكون نحن هم الآخر، وما تعنيه لنا عندما يكون الآخر هو الغرب أو الأنتروبولوجي الذي يمثله) ؛ والقضية الأخيرة : المعرفة الأنتروبولوجية ونحن.

مشروعية الخطاب الأنتروبولوجي

يدل مصطلح الأنتروبولوجيا على أن هذه المعرفة تختص في دراسة الإنسان، وهي بهذا التحديد العام تعني الإنسان في مختلف أشكال ارتقائه وتطوره وانتظامه في مختلف المستويات (من المستوى السلالي الفيزيولوجي إلى القرابي والاقتصادي والسياسي والرمزي والأسطوري والعقائدي والديني). يتضح من هذا أن الأنتروبولوجيا مشروع طموح للتعرف على الإنسان. وفعلاً أبانت الأنتروبولوجيا

في تطورها المعرفي عن ديناميكية وقدرة على التفاعل مع محيطها الأكاديمي والسياسي. ففي تفاعلها في المجال الأكاديمي، انتقلت من البحث عن الغرابة وتسجيل أحوال الأقوام البدائية والإيمان برسالة التنوير، على غرار رسالة التبشير، إلى معرفة مؤسسة أكاديمية لها نظرياتها ومنظروها وأدواتها المعرفية الخاصة، حيث قطعت أشواطاً في هذا الباب من مجرد تابع يعيش في أحضان علم الاجتماع إلى تخصص معرفي يتمتع بمشروعية الاستقلال الأكاديمي. وفي تفاعلها مع المحيط السياسي، تخلصت الأنتروبولوجيا من وصمة الارتباط بالمد الاستعماري، واحتضان المستعمر لها، إلى معرفة تحقق استقلالها، على غرار الدول المستعمرة التي كانت موضوعا لها، بل وأحيانا ناهضت الاستعمار حتى قبل نهايته.

وإذا نحن أخذنا الأنتروبولوجيا من منحى هذا المشروع الإنساني النبيل، الذي يهدف إلى الكشف عن حقيقة الإنسان وتفاعله مع بيئته، بابتداع أدوات معرفية تسهل التعرف عليه، فإنه لا يسعنا إلاّ الاعتراف بمشروعية الخطاب الأنتروبولوجي. وآنذاك لا يبقى لنا اعتراض في إدخال المغرب أو العالمين العربي والإسلامي، ضمن المناطق التي تهتم بها الأنتروبولوجيا، حتى وإن كان هناك من يعترض بأن في هذا الإدخال أو الاقحام ممارسة استشراقية مغلفة بثوب جديد، وفيه تكريس واعتراف بالتخلف الحضاري لهذه المنطقة التي كانت يوماً ما مركزاً حضارياً عالمياً. وفي اعتقادنا أن هذا الاعتراض مشروع وله ما يبرره إن نحن عاملنا النتاج المعرفي الأنتروبولوجي برمته معاملة واحدة ولم نميز بين مستوياته ومنتجيه. وهذا ما نريد التنبيه إليه، ذلك أن الخطاب الأنتروبولوجي ليس خطاباً واحداً بل هو خطابات لا يسع المجال هنا للتعرف عليها.

وخلاصة لهذه النقطة، نقول بأننا نعترف بمشروعية الخطاب الأنتروبولوجي، لكن شريطة أن يلتزم هذا الخطاب باحترام الآخر وأن يتخلى عن أحكام القيمة الصادرة من موقع الاستعلاء والانتماء لحضارة تهيمن سياسيّاً اليوم على العالم. وهذا هو موضوع القضية الثانية، أي الذات والآخر. وأستحضر هنا كيف كان استغرابي عندما اكتشفت أن أوربا الغربية من بين المناطق التي تدخل في البحث الأنتروبولوجي الياباني. ولعل ما يمارسه بعض الأنتروبولوجيين الغربيين اليوم على المغرب وغيره سيمارسه عليهم اليابانيون غدا بحكم تفوق موقعهم.

يثير موضوع الآخر في المجال الأكاديمي الأمريكي على الخصوص جدلاً حادّاً بين الأنتروبولوجيين، تناقش فيه جملة من الأسئلة نكتفي بنماذج منها : من هو الآخر ؟ كيف نفهم الآخر ؟ الصدام مع الآخر ؟ كيفية التعامل مع الآخر في البحث الميداني ؟ هل حقا فهمنا الآخر ؟ إلى حد اشتقاق أفعال وصور من Other, othering. لا نريد أن ننقل مجريات هذا النقاش، حتى وإن كنا نثمن أهمية التعرف عليه، لكننا نقول بأن هذا الجدل يدل على وجود أعراض صحية في الفكر الأنتروبولوجي تنم عن ديناميكية هذا الحقل المعرفي. وفي المقابل سنبدي ملاحظتين تخُصّانِنا بصفتنا نحن ذلك الآخر الذي يناقشه من نعتبره نحن هو الآخر. الملاحظة الأولى، وأعتبرها ملاحظة سلبية، تتعلق بعلاقة الهيمنة التي لم يتخلص منها الخطاب الأنتروبولوجي قديمه وحديثه في تعامله مع الآخر. فالأنتروبولوجي في نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ينتمي، أحب أم كره، إلى دولة مستعمرة، سواء أكان استعمارها مباشرا أم غير مباشر. ومن هنا تنتج علاقة الهيمنة، التي حتى وإن تخلص منها الباحث الأنتروبولوجي بحكم قناعاته الفكرية والسياسية، فإن المبحوث فيه كان يرى دائماً في الباحث ذلك الشخص الأوربي الذي لا يمكن تمييزه عن الحاكم أو المعمر. وبعد أن استقلت دول العالم الثالث ــ التي كانت وماتزال تشكل مناطق البحث الأنتروبولوجي ــ بقيت علاقة الهيمنة موجودة بحكم أن الأنتروبولوجي هو ذلك الشخص الأمريكي أو البريطاني أو الفرنسي الذي ينتمي لحضارة الغرب المهيمنة سياسياً واقتصادياً وثقافياً. نخلص إلى أن علاقة الهيمنة موجودة وأنه من الصعب التخلص منها في الوقت الراهن على الخصوص، حتى وإن رغب أحد الآخرين في التخلص منها (وأعني هنا على الخصوص الأنتروبولوجي).

الملاحظة الثانية، وأعتبرها إيجابية، وتتمثل في التطور المعرفي الهائل الذي حققته الأنتروبولوجيا في التعرف على الآخر. وأعني هنا التطور النظريّ وتطور أدوات المعرفة وابتداع المفاهيم المجردة وتنويع أساليب الكتابة والبحث عن طرق جديدة في نقل الملاحظة وغير ذلك كثير. وفي اعتقادنا أن تطوير المعرفة بالآخر لم تقتصر انعكاساته في تطوير معرفة الآخر، بل يمكن أن تساهم أيضاً في أن يعرف هذا

الآخر نفسه ذاته ومجتمعه وبنياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وهذا ما نعتبره إيجابياً في الخطاب الأنتروبولوجي كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وهو ما سنحاول توضيحه في القضية الثالثة، الاستفادة من المعرفة الأنتروبولوجية.

المعرفة الأنتروبولوجية ونحن

كان المغرب منذ القرن التاسع عشر وإلى اليوم محط اهتمام زائدٍ في الكتابة الإثنوغرافية والأنتروبولوجية وموضوعاً يحتل الصدارة فيها. فبعد الفرنسيين والإسبان والإنجليز والأمريكيين، نرى اليوم أفواجاً جديدة من اليابانيين والبرتغاليين ولربما الصينيين والكوريين في وقت قريب. فما هو سبب هذا الاهتمام ؟ هناك أسباب عدة لا نريد الخوض فيها، ولكن نكتفي ببعض الأسباب الموضوعية والسياسية، مثل حفاظ المغرب على بنية قبلية متماسكة إلى وقت قريب، وعدم تحرز المغرب في استقبال الباحثين من الغرب، كما تفعل بعض الدول الأخرى. لكن ما يهمنا نحن كباحثين أننا أمام كم زاخر من الدراسات تمسنا بصورة مباشرة. فكيف نتعامل معها ؟ وكيف نوظفها لصالحنا ؟

أعربت سلفاً أن الموقف السلبي الرافض، مرفوض وخاطيء، بحكم أن هذه الدراسات هي التي من خلالها يعرفنا الآخر، ومنها يتحدد في كثير من الأحيان التعامل معنا من طرف المؤسسات الدولية الاقتصادية والسياسية وغيرها، بحكم أنها مكتوبة بلغة متداولة على صعيد عالمي (خاصة الإنجليزية).

وفي كيفية تعاملنا مع الكتابة الأنتروبولوجية والاستفادة منها سنبدي جملة من الاقتراحات دون التفصيل فيها :

أوّلاً : يجب قراءة هذا المكتوب ودراسته بكل عناية.

ثانياً : يجب الفصل في مستويات الخطاب الأنتروبولوجي وخلفياته.

ثالثاً : يجب توظيف النظريات الأنتروبولوجية وأدواتها المعرفية في مختلف ميادين المعرفة التي تهتم بدراسة المجتمع المغربي.

رابعاً : تعميم ما نعتبره جيّداً في هذه الكتابة عن طريق الترجمة.

وأود أن أشير إلى أن هذه الكتابة تحوي الكثير من الجيد الذي يمكن أن يفيدنا

في التعرف على ذواتنا ؛ كما أشير إلى أن الباحثين المغاربة انفتحوا على هذه الكتابة ووظفوها فعلاً في نتاجهم المعرفي سواء في التاريخ أم في علم الاجتماع.

وأخيرا كان بودي أن أتحدث عن تجربتي الخاصة في ترجمة كتاب ديل إيكلمان، **الإسلام في المغرب**. لكن سأبدي ملاحظة واحدة أعتبرها تغني عن الكثير من غيرها، وهي أن هذا الكتاب في صيغته العربية يقبل على قراءته عدد ممن لا صلة لهم بالتاريخ أو علم الاجتماع أو الأنتروبولوجيا، ولكن يقرأونه لأنهم يودون التعرف على صورتهم عند الآخر.

بحوث مترجمة

أدوار ضابط الاستعلامات
أثناء الحماية في المغرب

تقديم وترجمة : إبراهيم بوطالب
كلية الآداب ــ الرباط

يعرض هذا النص الذي نقدم ترجمته فيما يلي، لمختلف جوانب سياسة الحماية، وهو في الأصل محاضرة ألقاها الكولونيل هانري بيريو (Henri Berriau) في شهر ماي سنة 1918 في فوج الضباط المرشحين للعمل في مصلحة الاستعلامات التي كان هو رئيسها آنذاك، وقامت مصالح النشر التابعة للاقامة العامة بطبعها واصدارها من توها في كراس لا يتجاوز ثلاثا وعشرين صفحة، ولما بات الوقوف على هذا الكراس أمرا عزيزا، رأينا من المفيد إعادة نشره منقولا إلى العربية لاثارة الانتباه إلى معاني الحماية اجمالا، وإلى أدوار ضباط الاستعلامات الذين سيطلق عليهم فيما بعد عبارة «ضباط الشؤون الأهلية» بصفة عامة، وإلى دور الكولونيل بيريو بصفة أخص في السنوات الأولى من الحماية.

فمن هو الكولونيل بيريو بادىء ذي بدء ؟ ولد هانري بيريو[1] سنة 1870 واختار وظيفة الجندية فتخرج من مدرسة سان سير العسكرية سنة 1894 وانخرط في هيئة ضباط الشؤون الأهلية في الجزائر سنة 1898 فكان حاكما على القليعة وغرداية، ثم عين في عين الصفراء فالتقى بليوطي (Lyautey) عندما عين ليوطي حاكما على تلك المنطقة سنة 1903 وما لبث أن أضحى من أقرب مساعديه، وبعد قصف فجيج سنة 1904 كان بيريو هو المفوض الفرنسي فيها ثم لما وقع الهجوم على الدار البيضاء والشاوية قاد فرقة من «الكّوم» أثناء عمليات سنة 1907

(1) انظر : Peyronnet, Le livre d'or des Officiers des Affaires indigènes 1830-1930, Alger, 1930, 2 vol.

وعاد إلى عين الصفراء في السنة الموالية ومنها قاد حملة «تطهير» في وادي الساورة، وفي سنة 1910 قاد حملة على بني چيل، وفي سنة 1911 كتب تقريرا يقترح فيه احتلال تافيلالت بصفة كونها بؤرة المقاومة المغربية، وهكذا كان بيريو قد اكتسب خبرة واسعة عن شؤون المغرب عندما عينه ليوطي رئيسا لديوانه السياسي سنة 1913، مما أهله ليصبح مديرا لمصلحة الاستعلامات سنة 1915 فاضحى «قطب الرحى الذي كانت تدور عليه سياسة الحماية» كما قال عنه بعض من ترجم لحياته، وكان قد تسلق الرتب العسكرية وبلغ رتبة كولونيل سنة 1917، وتوفي فجأة في نهاية 1918 من جراء عدوى «النزلة الاسبانية»، وأبى ليوطي إلا أن يحضر مراسيم دفنه ورثاه بكلمة قال عنه فيها بأنه «ربما كان أدهى المتصرفين بالسياسة الاسلامية»[2].

أما هيئة ضباط الاستعلامات (أو ضباط الشؤون الأهلية فيما بعد)، فلقد درسها الأستاذ دانيال ريفي Daniel Rivet في أطروحته[3] بما فيه الكفاية من حيث الدقة والشمول (انظر على الخصوص الصفحات 45 إلى 57 من الجزء الثاني) ولذلك نكتفي هاهنا بالتذكير بأن تلك الهيئة كانت مقتبسة من مثيلتيها المجربتين في الجزائر وتونس وأن أولائك الضباط كانوا هم أصحاب السلطة المطلقة في المناطق التي كانت خاضعة للأعراف العسكرية، (وهي حالة الطوارىء) وكانت تلك المناطق تغطي أكبر قسم من التراب المغربي، ولذلك قال عنهم الأستاذ ريفي إنهم كانوا نموذج ضباط الاستعمار، فإنهم ظلوا يمارسون السلطتين المدنية والعسكرية طيلة الحماية مما لم يتوفر مثله إلا لمن كان عسكريا من المقيمين العامين أو لرؤساء النواحي العسكرية، وكانت تلك الازدواجية في أدنى مستويات إدارة الحماية أوضح تشخيص لمدى سلطان الاستعمار إذ كان أولائك الضباط تابعين للمخزن المغربي من جهة وظائفهم المدنية وكانوا غير مسؤولين لديه وخاضعين لقيادة الجيش الفرنسي العليا من جهة وظائفهم العسكرية.

---

(2) ليوطي **Paroles d'action**, Paris, Colin, 1927, p. 273

(3) دانيال ريفي **Lyautey et l'institution du Protectorat au Maroc**, Paris, L'Harmattan, 1988, 3 vol.

النص المعرب :

كان على جميع القوى الاستعمارية الكبرى، وبالأخص أنجلترا وهولندا[4] وفرنسا، أن تعنى باكرا بتقليد هيئات خاصة بادارة شؤون الأهالي ومراقبتهم.

وذلك لأن شؤون المستعمرة لا تدار مثلما تدار شؤون المقاطعة الفرنسية كما لا يليق موظفو الميتروبول[5] بالبلدان التي تختلف فيها اللغة والأعراف والعادات والحياة الاجتماعية والدين غاية الاختلاف عما هي عليه لدينا.

وفيما يتعلق بالمجال الاستعماري الفرنسي، فإن تلك الوظائف أسندت لهيأة خاصة من رجال الإدارة والمراقبين ممن يكون انتقاؤهم عن طريق المباراة ليكونوا حاصلين، إضافة إلى ثقافة عامة تتسع لأكثر ما يمكن من وجوه المعرفة، على معلومات تؤهلهم لتدبير شؤون الأهالي في مستعمراتنا.

لكن قبل إدارة المستعمرة، لابد من فتحها وتوطيد الأمن[6] فيها وتوطين ساكنتها من الأهالي على الاستسلام. وأثناء تلك الفترة كلها من الفتح وتوطيد الأمن، حيث لا يدخل في الحسبان إلا العنصر العسكري، فإن العلاقات مع الأهالي لا يمكن أن تقام إلا بواسطة ضباط الجيش. ولذلك لا مناص من احداث هيئة متخصصة في تلك الوظائف.

ولقد أدرك المارشال بوجو[7] (Bugeaud) تلك الضرورة منذ بداية فتح

---

(4) من المعلوم أن الاستعمار الفرنسي اقتبس فكرة الحماية إجمالا من التجارب الاستعمارية الأنجليزية والهولندية.

(5) أفضل الاحتفاظ بهذا المصطلح اليوناني الاشتقاق على كل ترجمة عربية تمس بمعانيه التاريخية.

(6) تترجم الكتابات المعاصرة كلمة Pacification بكلمة التهدئة، وذلك في رأيي غير صائب لا من حيث اللغة ولا من حيث حرمة الكرونولوجيا، والأجدى أن نلتزم بالعبارات التي استعملت في تلك الفترة على لسان كتاب المخزن أو في نشرات العصر مثل كلمة التمهيد أو توطيد الأمن.

(7) طوماس بوجو (Th. Bugeaud) 1784 — 1849، ضابط فرنسي من كبار بناة الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية وأبرز المنظرين لقواعدها وأساليب اثباتها قولا وفعلا فهو الذي فتح الجزائر لدى ولايته عليها من 1839 إلى 1847، حيث تغلب على مقاومة الأمير عبد القادر وهزم الجيش المغربي الذي هرع إلى نصرة المقاومين الجزائريين في معركة ايسلي (غشت 1844).

الجزائر، فأنشأ «البيروات العربية»[8] التي تحولت فيما بعد إلى «مصلحة الشؤون الأهلية».

وهذا الجهاز هو الذي أطلق عليه عبارة «مصلحة الاستعلامات»[9] في تونس والمغرب.

ولقد أقيم نظام مصلحة الاستعلامات في المغرب على القواعد التالية : ففي الرباط إدارة للشؤون الأهلية ومصلحة الاستعلامات وظيفتهما الاعداد السياسي لبرنامج العمليات العسكرية، والمساهمة في دراسة المسائل الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بالأهالي، وتوجيه السياسة الأهلية، وجمع القضايا الإدارية للمناطق الواقعة تحت قيادتهما في قبضة واحدة.

وبعاصمة كل ناحية يوجد مكتب للاستعلامات يدعى «بالناحية» وهو في الحقيقة بمثابة أركان حرب يتصرف بها مباشرة قائد الناحية العسكري. وتنقسم الناحية نفسها إلى عدد من الأقسام تسمى دوائر أو ملحقات أو مراكز وتكون المراقبة السياسية والإدارية جارية بواسطة «مكتب» ولضابط الاستعلامات ثلاث مهام، مهمة عسكرية ومهمة سياسية ومهمة إدارية. ولكي نصف هذا الضابط بأكثر ما يمكن من الدقة، علينا أن نقف على مهامه في مختلف مراحل الفتح. فلننظر إليه وهو في بعض المراكز الأمامية وقد انسحب الفيلق المتنقل[10] وترك ذلك

(8) البيروات العربية أحدثت أول الأمر في الجزائر على يد الجنرال بوجو بقصد التصرف في شؤون الجماهير الجزائرية، ثم انتقلت إلى باقي أقطار الشمال الإفريقي المحتل إما تحت هذه العبارة وإما تحت عبارة الشؤون الأهلية.

(9) ظل التقسيم الإداري خاضعا لأعمال التمهيد وحالة الطوارىء إلى أن عزل ليوطي وحل محله مقيم عام مدني فبات من اللازم إسناد القيادة العسكرية لضابط سام، فصدر بذلك قرار من رئيس الجمهورية الفرنسية بتاريخ 3 أكتوبر 1926 وهو أول نص قانوني قضى بتقسيم المغرب المحتل إلى نواحي مدنية وأخرى عسكرية تنقسم بدورها إلى أقاليم ثم إلى دوائر ثم إلى ملحقات، يراجع في هذا الصدد لكتاب :

Frédéric Brémard; L'organisation régionale au Maroc, Paris, L.G.D.J, 1949.

(10) التزمت هنا أيضا بالعبارة العربية التي ترجمت بها في عهد الحماية تلك الفرق العسكرية المكلفة بتمهيد جهة من الجهات وكانت بمثابة جيش مصغر يضم جميع أنواع السلاح إضافة إلى أدوات النقل والتموين والعلاج وكان عدد الجنود فيه يتراوح بين 6000 إلى 7000 بين نظامي وغير نظامي.

المركز الجديد في حالة دفاعية. مع حاميته ومصالحه الإدارية، فيكون ضابط الاستعلامات منعزلا مع الترجمان وبعض المساعدين من الأهالي وفرقة القوم[11] وأخرى من المخازنية[12] أو من المشايعين[13].

ولقد أمده قائد الناحية ببعض التعليمات ليسترشد بها في عمله واطلعه على كل المعلومات الجغرافية والسياسية المتوفرة حتى ذلك اليوم، ومنحه بعض المال تيسيرا لعلاقاته الأولى بالأهالي وتمكينا له من القيام بمهمته على الوجه المرضي، ثم انسحب. فما هي إذن تلك المهمة وماذا على ضابط الاستعلامات هذا أن يفعل لانجازها ؟ فإنه يجتهد بادىء ذي بدء في ارساء ما حصل من النتائج وما تم من الاستسلام الذي مازال يشوبه كثير من التردد، وانه يشرع لتوه في دراسة المنطقة غير المستسلمة من جهة خطوطها الأمامية ليمهد للقفزة الموالية في الحدود التي يرسمها قائد الناحية.

وفي هذا الخضم من المسائل المستعجلة الجديدة التي لابد من حلها، يتصرف ضابط الاستعلامات بكثير من المنهجية، فلا مناص قبل كل شيء من طواف أولي ليقف على أهمية مملكته[14] الجديدة وعلى أحوالها وليتعرف عليها ويتصل شخصيا بالفرق المستسلمة ويحصيها ويضع جردا لها ويضبطها مونوغرافيا وتكون بعض الشخصيات وسط تلك الفرق قد حاولت إثارة الانتباه إليها، فعلى ضابط الاستعلامات أن يترقبها ويقف على حقيقة ما لها من النفوذ وعلى ما تحتل من المكانة في القبيلة ليقدر مدى ما يتأتى من استعمالها بعد أيام قليلة في تنظيم القيادة الأهلية وفي ما سيشرع فيه من العمل السياسي في المناطق الأمامية.

---

(11) كلمة أصيلة التركيب العربي تبناها القاموس العسكري الفرنسي بعقد القاف وإهمال الواو فانتشرت بانتشار الجيوش الفرنسية ومعناها في الأصل جيّاشة القبائل ممن كان يعاون جيوش الاحتلال طوعا أو كرها.

(12) جمع مخزني وهم أصلا صغار مسخري المخزن، تبناها القاموس العسكري الفرنسي في المغرب للدلالة على حراس الإدارة وأعوان الجيش في عملياته.

(13) أو «أتباع المخزن» فهكذا كان ينعت المجندون من أبناء القبائل المستسلمة ممن كان يقبل الوقوف إلى جانب الجيوش الغازية مكرهين أو عن طيب خاطر.

(14) استعمال مجازي يفيد وزن السيطرة الاستعمارية في أدنى مستوياتها.

وبعد اتمام هذا الجرد، عليه أن يحاول وضع كل امرىء في مكانه وأن يقيم القيادة على قاعدتها وأن يلقنها واجباتها ويهذبها ويحيطها بهالتها ويؤازر سلطتها ليعوض ما كانت عليه القبيلة سابقا من الفوضى وسوء النظام نوعا ما[15] بوضع قائم على النظام والسلطة. وهذا أمر جوهري لأنه لو لم يكن لديكم مساعدون مباشرون ووسطاء بينكم وبين ساكنة أهلية مازالت مرتجة مندفعة مرتابة وجلة، من أولائك الرؤساء الطبيعيين، وقد سهرتم على نشر نفوذهم وتعزيز سلطتهم، فإنكم ستجدون أنفسكم عاجزين أمام ما ينبغي انجازه أو اصلاحه من ذلك العبء، وسط خليط من الفريقات المبعثرة مما لا قانون لها ولا مولى والعاملة بما يطيب لها ولمحض حسابها، لكن من البديهي في ذات الوقت أن ضابط الاستعلامات سوف يكثر من الاتصالات الشخصية مع السكان أنفسهم، وسوف يستقصيهم عن حاجياتهم وعن أحقادهم وتخوفاتهم، وعليه أن يعيد الثقة إليهم وأن يسمع شكاواهم، فإن هذا البحث الحثيث يكون أرضية لمراقبة رؤساء الأهالي ودلالة في ذات الوقت على الوجهة التي ينبغي العمل في اتجاهها لمنح تلك الساكنة مزيدا من الأمن وحسن العيش والسعادة، وذلك لأن غاية ما يرمي إليه من هذه الأعمال الأولى من التأنيس يهدف إلى انساء القبائل أوهام فضائل استقلالها السابق وحملها على استحسان رفاهيتها الحاضرة لئلا تعود فكرة الفرار إلى جهة العصيان التي كثيرا ما تخامر رؤوس أولائك الصبيان المحمقين[16]، تخطر ببالهم إلا وينبذونها في الحين.

ولهذه الغاية يكون عمل ضابط الاستعلامات في البداية على الخصوص قائما على التلطف والمرونة وعليه أن يحتسب للأوضاع الاجتماعية السابقة وللتقاليد والمعاملات والأعراف والعادات حسابها، وعليه أن يجتنب كل افراط في التتبع والتدقيق، ولا ينبغي أن يبدو فاتحا بقدر ما ينبغي أن يبدو مستشارا ومحسنا يود أن يجتذب القلوب بعد أن فرض قوته، شأنه في ذلك شأن الأخ الأكبر المجد

---

(15) من أبسط أدوات التشنيع المغرض الجهر بالتناقضات التي لا يخلو منها إنسان ولا مجتمع والسكوت على توازناتهما التي لولاها لما وُجِدَا في الحياة.

(16) نعرة الاستعلاء والأبوية الاستعمارية قلما تخلو منها كتبهم.

الحكيم والوصي العطوف الحازم الذي يشغله اخفاء مساوىء وصايته لابراز مزاياها.

وشيئا فشيئا، تتضايق صغار الفرق المستعصية من مقامها لدى جيرانها، فيتصل بها عملاؤنا السياسيون، وتبلغها أصداء طيبة عن مراقبتنا، فتلتحق بنا، فتفرض عليها غرامة صغيرة عقابا لها على تباطئها وضمانا للمستقبل، بضعة ريالات لكل خيمة، أو أقل ما يمكن، مع بعض الأسلحة، ثم يعود أولائك الشاردون إلى مكانهم من القبيلة.

أما إذا كانت شروط الأمان أكثر من أن تطاق، فإنها تكون مدعاة للجوء إلى العصيان، وتحدث من الأحقاد والضغائن ما يستوجب اخماده عدة سنوات.

المبدأ إذن أن لا داعي للذعائر الحربية المجحفة ولا لمصادرة الأراضي، لأن ذاك العاصي الذي يعترف بانهزامه ويجيء لتسليم سلاحه ويكف عن القتال لم يأت بمنكر على كل حال، إنه دافع عن أرضه واستقلاله، ولا يلزمنا أن نواخذه بذلك. لكن من البديهي أن الأمر يختلف في معاملة الذين استسلموا من العصاة مرة أولى ثم نكثوا العهد، وهربوا وشهروا السلاح من جديد.

وهكذا يكون الراعي قد جمع قطيعه وبعث فيه الاطمئنان من جديد، لكن عمله لم ينته بعد، إذ يبقى عليه أن يُعدّ في الحين للقفز إلى الأمام وأن يمهد لما سيكون من العمل العسكري في الأيام الموالية، ساعيا كلما تأتى ذلك، في أن يكون الأمر وكأنه تحرك سلمي يثبت ويتوج مجهودات الاجتذاب السياسي التي يكون قد قام بها. وكيف يتصرف في ذلك ؟ فانه أمام ميدان يكاد لا يعرف عنه شيئا وساكنة مستقلة يكاد يجهل عنها كل شيء، والتي تتلقى النصائح السيئة ويغذي عداءها أقطاب الشغب[17] في القبيلة ومن اعتصم لديها من العصاة، فإنه يجمع المعلومات الجغرافية والطوبوغرافية، ويتأكد من صحتها ويتممها من خلال أكثر ما يمكن من الجولات الريادية التي يقودها بنفسه مع فرقه من القوم والمشايعين بحيطة وحذر، ساهرا على توسيع دائرة الجولات شيئا فشيئا. ويشرع في ذات

(17) نموذج البهتان الاستعماري إذ كيف يكون المدافع عن أرضه مشاغبا ؟

الوقت في الدراسة الاثنوغرافية[18] والاثنولوجية والسياسية للقبائل المراد اجتذابها، ويبث في الحسائف والموافقات التي تفرق بينها وتجمع، وفي أشكال التكتل السياسي التي تتوزع إليها، وفي الأقسام واللفوف والصفوف، والتأثيرات الدينية التي تعمل فيهما، والرباطات، والزوايا، والطرق الدينية، والشخصيات التي تطفو على الجمهور، وتعلو أصواتها في مناقشات الجماعات، وحالما يكون قد تقدم شيئا ما في جرده، فإنه يحاول استغلال ما حصل عليه من المعلومات فيربط وشائج الاتصال مع بعض جيرانه ويتجه أول الأمر إلى الرؤساء المعترف لهم بالرئاسة ويثير فيهم الأطماع ويشدهم إلى شخصه بالمصلحة أو الطموح أو المال[19] ويقدر مدى ما لهم من الأتباع ويزرع أسباب الانقسام بشأن الأغراض والمصالح بين صفوف الفرق التي يريد اخضاعها ويبدد المقاومات ويفصل بينها.

وانه لن يستطيع في غالب الأحيان اقرار القبيلة بكاملها على الاستسلام، لكن بوسعه أن يحدث الشقاق في الكتلة المعادية، وبوسعه أن يرهق إرادة المقاومة فيها ويمهد بذلك للعمل العسكري الموالي بشكل ملموس.

ويبقى على ضابطنا في الاستعلامات تتميما لعمله أن يقف على مختلف المسالك التي قد يسلكها الفيلق المتنقل حالما يقدم على تنفيذ أعماله التمهيدية وعلى تحديد البقعة المرتقبة للمركز في المستقبل، وبديهي أن اختيار تلك البقعة مشروط أول الأمر بالاعتبارات العسكرية، على أن المركز يكون في آن واحد مستندا للفيلق المتنقل ومركز اشعاع سياسي، ولا تتوفر في تلك البقعة المعطيات المناسبة لحسن الدفاع وحسب، بحيث يسيح فيها النظر وتكون منافذها سهلة، بل ينبغي أن يكون لها مساس بالمصالح الجوهرية للقبيلة وأن يرتبط بها مفتاح الناحية فتكون في قلب منطقة ضرورية للحياة الاقتصادية للقبيلة[20]. وحالما ينتهي كل هذا العمل

---

(18) من كلمتين يونانيتين، الأولى «اثنوس» : شعب أو قبيلة، والثانية «كرافين» : الرسم أو الوصف، ومعلوم ما كان في توظيف العلوم الاجتماعية من الفوائد للتمهيد للاستعمار ولترسيخ نفوذه.

(19) سلاح المال لم يكن أقل فتكا بالسيادة المغربية من السلاح الناري.

(20) هذا مجال جدير بأن يفرد ببحث خاص يبرز مدى تأثير الاختيارات الاستراتيجية الاستعمارية على شبكة المدن والقرى المغربية في عهد الحماية.

وعندما يشعر ضابط الاستعلامات أن مجهوداته السياسية لن تؤدي إلى المزيد من النتائج المفيدة، فإنه يخطر القيادة العسكرية بذلك ويزودها بكل عناصر القرار لتستطيع اصدار الأوامر الضرورية للزحف إلى الأمام في الوقت الذي تراه مناسبا.

وهكذا نكون قد رأينا كيف يُعدُّ ضابط الاستعلامات عملنا العسكري وكيف يمهد له وأشرنا إلى طبيعة علاقاته الأولى مع الأهالي، المستسلم منهم والمستقل، وإلى معنى ذلك.

* * *

وننتقل الآن إلى فترة أخرى من الفتح لندرس مهمة ضابط الاستعلامات في المراكز التي مر على إحداثها حين من الدهر وبات استسلام قبائلها أمرا منتهيا. فإن المهام الإدارية هي التي تحتل الصدارة هاهنا، ففي هذه الفترة يسعى ضابط الاستعلامات في إحكام مراقبته. نعم، قلت المراقبة وليس الإدارة المباشرة[21]. وذلك لأن المغرب يعيش تحت نظام الحماية، مما يعني أن الدواليب الطبيعية والأساسية للإدارة الأهلية يحتفظ بها وأن الدولة الحامية ليس عليها إلا أن تدخل بعض التحسينات عليها وتهذبها وتوجهها. وأول من يعتني به ضابط الاستعلامات الرئيس الأهلي، ليتمم ـــ في هذا الصدد ـــ العمل الذي وضعت لبناته الأولى على يد سلفه في فترة التأنيس.

ولقد ملنا، في مستهل الفترة الأولى، إلى الاكثار من عدد الرؤساء الأهالي ؛ وذلك لأنه وقت الاستسلام كانت وحدة القبيلة، ان كانت القبيلة موحدة، قد تمزقت من جراء انشطارها ؛ وجاءت الأقسام المصغرة تطلب الأمان شريطة أن تعترف السلطات برئاسة هذا أو برئاسة ذاك من الشخصيات الباهتة التي تقدمها. وكانت تلك الرغبات تُلبَّى على العموم للمبادرة إلى ما كان ـــ في النهاية ـــ أكثر استعجالا، وهو الحصول على دخول الجميع في الواجب. لكن ذلك الجراد المنتشر من الرؤساء يكون عرضة لأخطر المساوىء، ويُحوّل تمرين المراقبة إلى شيء وعر عسير، لأن الرؤساء المنتخبين بهذه الطريقة لا تكون لهم سلطة ولا جاه فلابد

---

(21) خطاب آخر من خطب الاستعمار المشوبة فإن المراقبة كانت بالنظر إلى الإدارة المباشرة ما كانت الحماية بالنظر إلى الاحتلال الاستعماري.

من النقصان من عددهم تدريجيا والسهر على انتقائهم من بين الشخصيات الموسرة المتمتعة بنفوذ واقعي بفضل نسبهم أو ثروتهم أو اشتهارهم بالشجاعة أو العدل. ونسهر بعد هذا على أن لا نتدخل في دقائق قيادتهم، حتى لا نخنقها، وعلينا أن نساند سلطة أولائك القواد بكل الوسائل، وأن نشجعهم وننصح لهم ونوجههم، فلابد من تهذيب الرئيس الأهلي، وتلك مهمة طويلة دقيقة تستلزم كثيرا من الصبر والمثابرة في المجهود، لكن من واجب ضابط الاستعلامات أن يقتنع بأن هذا الجانب من أهم جوانب مهمته.

آه ! سوف تسمعون الكثير عن مثالب القواد الكبار وعن مثالب تلك السياسة الرامية إلى إقامة القيادات الأهلية وتثبيتها ومنحها وسائل المبادرة وتقويتها. وسوف يقال لكم إنها سياسة ضعف وعجز وتنازل، وان أولائك الرؤساء الكبار يتصرفون تصرفا فيوداليا في بعض النواحي وشهواتهم أثقل من أن تلبى وإنهم يرهقون رعيتهم ويحملونها باضطهادهم لها على النفور من نظام الحماية ؛ وسيقال لكم أيضا إنّ أولائك الرؤساء الكبار يميلون إلى التخلص من مراقبتنا، وإلى الاستقلال بشؤونهم، وإنه من شأنهم في حالة اضطراب الأحوال أن يشكلوا أشد الأخطار على وجودنا، من البديهي أن كل تنظيم سياسي ينطوي على مخاطر وعيوب. لكن كونوا على يقين بأن لا شيء يخشى من سياسة تجعل قاعدة عملها مبدأ التعامل مع أكثر العناصر الاجتماعية في البلاد إفادة، وأن هذه السياسة، على العكس مما يقال، لتوطد السلطة والقوة الفرنسيتين بما تضيف إليهما من تجربة من تستقطب من الرؤساء الكبار مع ما لهم من الجاه والسلطة[22].

ولنستفد من دروس الجزائر، ففي سنة 1862، صرح السيد دافيد[23]

(22) نموذج التهامي الكلاوي ولاشك، الذي كتبت أرملة بيريو في مذكراتها قائلة بأنه كان من «صنائع» زوجها وأنه ظل يعترف له بالجميل لدرجة أنه أراد أن يتزوج من تلك الأرملة لكنها فضلت العودة إلى باريس حيث ذاع صيتها في عالم الغناء والمسرح، يرجع إلى كتابها :

Simone Berriau : Simone est comme ça, Paris, Laffont, 1973, p. 251.

(23) من الجيل الأول من ضباط الشؤون الأهلية في الجزائر، ازداد سنة 1823 وتخرج من مدرسة سان سير العسكرية ثم دخل مصلحة البيروات العربية سنة 1845 فحكم في دوائر مغنية والجزائر العاصمة والمدية وبني منصور، وفي سنة 1853 أعيد إلى فرقته العسكرية ثم انتخب في الهيئة التشريعية في عهد الامبراطورية الثانية، ولم نقف على تاريخ وفاته في ما بين أيدينا من المراجع.

(David) الضابط السابق في البيروات العربية، وهو نائب، أمام الهيئة التشريعية[24]، قائلاً : «مادام هناك رؤساء أهالي يتوسطون بيننا وبين كتلة الساكنة الأهلية، فإن الجزائر لن تكون مكتسبة لفرنسا بصفة نهائية». ثم ذهب يبسط القول في تعسفاتهم ليطالب بالاستغناء عنهم. ومضت ثلاثون سنة على ذلك وتغيرت النبرة، لأن الفيودالية[25] العربية أصيبت من جراء زوال القيادات الكبرى، ولكن الجشع ظل متفشيا.

وهكذا كان للسيد جولْ كامبون[26] (Jules Cambon) الوالي العام، أن يقول من أعلى منصة مجلس الشيوخ[27] إنه لم يبق أمامنا إلا الهباء المنثور من البشر ممن لا تأثير لنا عليهم بسبب افتقارنا إلى وسطاء موثوقين بيننا وبين الساكنة الأهلية، ثم أضاف قائلا : «إن هذه الساكنة فقدت أطرها، فمنذ سنة 1881، تمزقت القيادات الكبرى وتفتتت، لكن الجماهير الأهلية المسكينة لم تستفد من ذلك شيئا ؛ بل على العكس، لأنه حيثما كان في السابق رئيس كبير يعوض عن أطماعه وجشعه إلى حد ما بشكل من السخاء والبذل، تجد اليوم خمسة أو ستة من الرؤساء الأهالي ما بين شيخ وقائد ومساعد أهلي، وهم في الحقيقة علق لاصق بهذا الشعب، ولا يزيدهم راتبهم جد الهزيل إلا شجعا، وذلك في الحقيقة تشجيع على النهب والسرقة والابتزاز».

وهذا ما ينبغي اجتنابه مهما كان من الثمن. فكل ما يقوم به ضابط الاستعلامات شخصيا من الأعمال، وكل ما يصدره من الأوامر، وما يدعو إليه

(24) كان ذلك اسم مجلس النواب في الامبراطورية الثانية من 1852 إلى 1870.

(25) كثيرا ما كانت الكتابات الكولونيالية تستعمل هذه العبارة للإشارة إلى ما كان في الحقيقة اقطاعية وبالرغم مما يوجد بين المؤسستين من أوجه التشابه فإن التمييز بينهما لازم علميا لاختلاف الأصول القانونية والاجتماعية.

(26) من كبار موظفي الجمهورية الفرنسية الثالثة، تخرج هو وشقيقه وكبيره بول (Paul Cambon) من مدرسة جول فيري (Jules Ferry) السياسية وكان من أهم مناصبه الولاية العامة في الجزائر من سنة 1891 إلى 1897 وأثناءها جرت أول محاولة لانتزاع توات من المغرب سنة 1892، ثم كان سفيرا لبلاده في برلين من 1907 إلى 1914 وهو الذي سعى في إبرام الوفاق الفرنسي الألماني بتاريخ 4 نونبر 1911 الذي فتح أبواب الحماية على المغرب.

(27) أعلى المجالس السياسية في الجمهورية الثالثة، أسس بقانون 24 فبراير 1875.

من التدابير، كل ذلك باسم المخزن وباسم السلطان بصفة كونه السلطة الطبيعية في البلاد.

آه ! كثيرا ما سيقال لكم : «لكن ما الداعي إلى إدخال شخص السلطان حيث لم يُعترف أبدا بسلطته وحيث ينفر منه الجميع ولا يعرف الناس إلا ايانا ؟».

من البديهي أن لا مناص من شيء من الحكمة في التصرف بهذا الشعار بالنظر إلى الأوضاع الاجتماعية السابقة المشوبة إلى حد ما بالفوضى لمن نخاطب بذلك من السكان. لكن علينا أن نعلم أن من يتكلم بهذا الكلام من الأهالي كثيرا ما يعتقد أنه يتقرب إلينا زلفى ؛ والواقع أنهم معتزون، في طي أنفسهم، بما نبديه من الاحترام لرؤسائهم الطبيعيين، ولسلطة المخزن المركزي، ولشخص العَاهِل الشريف[28]، وجلهم سعداء بكوننا لا نتقدم إليهم إلا بصفة كوننا مفوضين من قبل المخزن لا أقل ولا أكثر ؛ ويجدون في ذلك وسيلة لانقاذ ماء الوجه، ولجعل حد لمحاسبة ضمائرهم ولتحمل وجودنا ومراقبتنا. وحالما تنتظم القيادة وتثبت أركانها، يعتنى بجباية الضرائب لأن الضريبة على كل حال دليل الاستسلام وضمان له. وقاعدة هذه الضريبة الترتيب[29] الذي يشمل المغرب برمته ؛ وهي ضريبة مباشرة على المحاصيل الزراعية، يعني على المقدر من ريع الأرض السنوي، وينظر إليها أهالينا بعين الرضى إن أمكن أن ينظر إلى الضريبة بعين الرضى ويجب أن تكون، في البداية، خفيفة للغاية حتى لا يستثقلها الجمهور، وحتى يترك الوقت الكافي لاصلاح ما خلفته الصراعات الحديثة[30] في البلاد من الخراب.

ولابد من تجديد نظام القضاء الإسلامي واخضاع القضاة والجماعات، بحسب

---

(28) مثال آخر عن بهتان المنطق الاستعماري، فلو لم يكن للسلطان نفوذ لما كان رمزا قويا في السياسة ولما التزمت به الحماية أيما التزام.

(29) ورثت الحماية هذه الضريبة على المنتج الفلاحي من الدولة المغربية وأدخلت عليها من الضوابط ما جعلها تسد جانبا غير هين من الميزانية العامة وذلك بمقتضى ظهيري 10 و11 مارس 1915 المعدلين بظهير 19 ماي 1939.

(30) لاشك أنه يعني الصراعات التي كان المغرب مسرحا لها فيما بين 1900 و1912، ولكنه يسكت على ما كان للدوائر الاستعمارية الفرنسية من الأيادي الخفية في إثارتها وتأجيجها.

ما تكون القبائل تتعامل بالشريعة أو بالقانون العرفي[31] لمراقبة تزداد دقة شيئا فشيئا.

وتحدث مدرسة أو عدة مدارس بما يتيسر من الوسائل المحلية أول الأمر : في نوالة وعلى حصائر أو في الهواء الطلق. ويعلم فيها الأطفال التهجي بالفرنسية، وتلحق بها ورشة للعمل اليدوي تُعدّ متعلمين يواصلون حرفة آبائهم مع تحسينها. والاسعافات الطبية، التي لم تقدم منذ تأسيس المركز إلا في إطار محدود، لابد من رفع مستواها في هذه الفترة الثانية. فتقام دار للاستشفاء، ومراكز للفحص الطبي الدوري بالأسواق، وفرق صحية متنقلة تزور الدواوير، وتتوقف فيها توقفا كافيا، لمعالجة الإصابات الخفيفة في عين المكان ونقل الاصابات الخطيرة إلى الوحدات الصحية المستقرة. وتسدى للأهالي نصائح عملية لتحسين أساليب زراعتهم ؛ وتقام مناهل للماء وتتكاثر، وتدخل التحسينات على أجناس الماشية بالانتقاء واللجوء إلى الفحول المختارة وبناء المآوي وإعداد مدخرات من الكلإ. وتعمل الشركات الاحتياطية[32] على مساعدة السكان الأهالي، وتسمح لهم باقتناء البذور وأدوات الزراعة.

وتعد المسالك، وتزود إدارة الأشغال العمومية بدراسات تمهيدية تحتوي المعلومات الضرورية لانجاز الأشغال الكبرى. ويتم جرد الأملاك المخزنية والحبسية وتصان أوضاعها القانونية. ويتم الجرد الاقتصادي بأكثر ما يمكن من الدقة، بحيث تجند خيرات المنطقة في أقرب الآجال ويشرع في استثمارها. وبعبارة وجيزة، لن يستهين ضابط الاستعلامات بأي شيء ليحدث في مجاله الكفاف والمزيد من الثروات والنظام والأمن والسعادة. وحالما يكون قد نظم هذا الفردوس، سوف يرى الأوربي مقبلا يَبحثُ عن أرض زراعية يستعمرها، وعن عقود شراكة مع الأهالي، ومعادن يستخرجها وصناعات ينشئها. فعليه أن يبادر إلى الترحيب به، وعليه أن يمهد له سبيل الاتصال بالأهالي، ومعاملاته واستعماره بالناحية. وبودي أن أقف عند هذه النقطة شيئا ما.

---

(31) التصرف بالقضاء يقصد منه التحايل على الشريعة والإعداد للظهير البربري.

(32) تم تأسيس هذه الشركات بظهير 26 مايو 1917 للأخذ بيد الفلاح المغربي مبدئيا ولكنها كانت في الواقع وسيلة أخرى من وسائل التأطير والمراقبة.

ففي الجزائر، خلال السنوات الأولى من عمل «البيروات العربية» بقيادة المارشال بوجو، تولع ضباطنا بدراسة القضايا الأهلية، وتعلقوا بالساكنة المغزوة وتحمسوا للدفاع عنها ؛ وكانوا على صواب في ذلك ؛ على أنهم مالبثوا أن انحرفوا عن الصواب عندما أعماهم ما كانوا يقومون به من المهام لدى الجماعات الأهلية، فتجاهلوا كل ما كان سواها وغاب عن أنظارهم جلال المهمة التربوية والحضارية التي تضطلع بها بلادنا والتضحيات التي تتحملها والتعويضات التي تستحقها[33]. ولما صاروا يدافعون بكل حمية، وأحيانا بغير تبصر، عن مصالح الأهالي أدّى الحال ببعضهم إلى تجاهل مصالح الأوربيين وإلى عرقلة أسباب ازدهار الاستعمار.

فلنجتنب الوقوع في نفس المتاهات، لأن مساهمة الأوربي لازمة لانجاز برنامجنا الأهلي، والأوربي لدى الأهالي هو القدوة، وهو الحافز، وهو المثال الحي ؛ ولقد لمسنا ذلك في أقدم الأقاليم استسلاما ؛ والمغربي فطن حاذق نشيط مبادر إلى العمل، سريع التطور لدى اتصاله بالأوربي. ثم ان هذه الأرض الشاسعة الخصبة تتسع للجميع وتتسع للفرنسيين على وجه التخصيص، الذين تكبدوا أخطر التضحيات ليعطوا الأهالي خيرات لا تقدر بثمن بما أيقظوا من ضمائرهم وجندوا من طاقاتهم، ومنحوهم من الأمن والنظام والمنهجية. ولذلك من واجب ضابط الاستعلامات أن يأخذ بيد هذا الأوربي بكل ما في الكلمة من معنى وأن يرشده ويشجعه ويساعده ويحميه، ويضمن له صلات مع الأهالي قائمة على المودة والثقة، وأن يعلّم هذين الجنسين، على ما بينهما من الاختلاف، أن يقدر أحدهما الآخر، وأن يحبه، ويتبادل وإياه الثقة والمساعدة، ليشتركا في المجهود ويتضامنا في المصالح، بعد أن قضت الظروف بوقوفهما بغتة وجها لوجه.

وهكذا نكون قد رسمنا بإيجاز كبير أدوار ضابط الاستعلامات المتعددة واطلعنا على مدى اتساع وظائفه ومدى تشعبها. وليقوم بمهمته على الوجه اللائق، ماذا ينبغي له أن يعلم ؟ كل شيء طبعا، كما ترون ! فإن كفاءاته تمتد إلى جميع فروع النشاط البشري ؛ إذ عليه إضافة إلى مؤهلات عسكرية ثابتة، أن يكون ملما بكل

---

(33) كان سيسل رودز (Cecil Rhodes) رائد التوسع البريطاني في جنوب افريقيا يقول إن الاستعمار قضية بطن.

شيء، فيكون في آن واحد ديبلوماسيا ومهندسا ومعماريا ورجل أموال ومزارعا واقتصاديا ومستعربا ورجل قانون. لكن عليه قبل كل شيء : أن يكون راجح العقل، وقد يبدو هذا الأمر غير ذي بال، لكنني كلما تقدمت في الحياة، وجدت هذه البضاعة نادرة. فإن العقل الصائب والرأي الحصيف من هبات الطبيعة ولا سبيل، للأسف، لاكتسابهما مع أنهما متقدّمان على كل الخصال الفكرية الأخرى. وعليه أن يكون نشيطا. وحتى تكون مراقبته نافذة، وحتى يكون عمله ناجعا، لابد له من أن يكون قادرا على الكينونة في كل مكان، فيكون متنقلا باستمرار، مستقصيا عن حوائج الناس وعن الأوضاع السياسية والمادية ضامنا للأمن، يحل المشاكل في عين مكانها، ويتعرف الجميع عليه عن كثب. مما يقتضي منه أن لا يبخل براحته وأن يكون دائما على صهوة جواده ؛ فليخرج من المكاتب، لأن الساعات التي يقضيها في المكاتب ساعات تحمل الذهن على الخمول بينما انتعاشه في الهواء الطلق، ومما لاشك فيه إن الاشتغال في المكاتب أمر ضروري لكن ينبغي اعتباره تتويجاً للعمل الخارجي الذي هو العمل المثمر الوحيد ؛ ولذلك فإنه يشتغل في الخارج ويعود إلى المكتب ليثبت الأمور بالتقارير والمقترحات.

وعليه أن يكون شاطرا قادرا على الابتكار، أو قل «مدبرا لرسه»[34]، إذا استعملنا هذه العبارة التي ندرك معناها نحن الكولونياليين تمام الادراك، فعليه أن يكون واسع الخيال، متوقد الذهن على الدوام، مهووسا بالأفضل، لا يعوقه شيء، ولا يعرف كلمة مستحيل، ولا ينتظر معونة من أحد ؛ وأن يكون إلى جانب ذلك، مولعا بالمبادرة، محبا للمسؤولية.

وعليه أن يكون مهذبا، وكلنا مهذبون، ما في ذلك من شك، لكن لا نعطي الدليل لمن يختلف عنا من الناس عن حسن تربيتنا إلا باحترام دينهم وعوائدهم وأعرافهم وبالاستئناس بها حتى لا نفاجأ بها في أية لحظة من اللحظات ؛ وأيضا باجتناب كل ما يوحي بالعنف أو الغضب أو الاستخفاف أو الازدراء. وأوصيكم، في هذا الصدد، أن تحرصوا في دوائركم على الكف عن استعمال تلك العبارات الفظة الحقيرة النابية التي تتكاثر لغاية الأسف على الألسن، مثل «بيكو»، وهي

(34) كلمة من الدارجة الفرنسية رمت ترجمتها بالأقرب منها في الدارجة المغربية.

سبة اخترعها قدماء عساكرنا في افريقيا وتنافسها هاهنا لفظة مغربية جديدة هي «بوشعيب»[35]. وعليه أن يستوعب الروح الأهلية، فهي تختلف تماما عن روحنا، ولابد من كثير من الوقت لاستكناهها. ولذلك لا ينبغي أن يصدر أي حكم مسبق على الأجناس، حتى لا يخطر بباله مسبقا أن الأجناس التي تسكن المغرب أجناس دون جنسنا فإنها مختلفة لا أقل ولا أكثر : ولقد هذبنا التعليم والتربية، لكننا، في زمن غير بعيد، كنا في نفس المستوى، ومازال فلاحنا بالسيفين (Cévennes) أو في ابريطاني (Bretagne) غير بعيد كل البعد عن برابرة كَيكَو أو تيكَريكَري[36]. فعليه أن يتشبع بروح العطف على الأهالي. ولا أعني بذلك «الانديجينوفيليا»[37] المتعصبة غير العفيفة، بل المبادرة إلى التعاطف بالقلب واللسان. ولا ينبغي أن نقف حيال هذه الأجناس الكريمة الأبية موقف الفاتح الذي يفرض قانونه، بل موقف الوصي المتعاطف المتبصر.

فهذه هي المعنويات التي لا مناص منها. ولننظر الآن فيما ينبغي اكتسابه من المعلومات.

لابد، أولا، من اتقان اللغة العربية وحتى البربرية إذا أمكن. وبداهة هذا الشرط تبدو لكم بحيث لا داعي إلى الالحاح عليه، فلا سبيل إلى بلوغ أي شيء مفيد بدون اللغة، لاستحالة الاتصال المباشر مع الأهالي بدونها ؛ وبما أنه لا يمكن لترجمان محترف أن يلتزم بكم في الحل والترحال، فإنكم ستكونون ملزمين بتحمل استبداد الشواش[38] المتنوع المقيت. وعليكم أن تلموا بدقائق جغرافية المغرب الطبيعية والاقتصادية، وبتاريخ العالم الإسلامي، وبتاريخ المغرب على وجه التخصيص،

(35) لفظ للتقريع أرسله جنود الاحتلال والمعمرون في الجزائر ثم استُعمل بعدُ في مجموع المغرب العربي، وهو مشتق من «بيك» (Bique) بمعنى العنز أو المعز. أما لفظ «بوشعيب» فمثله مثل «الفاطمة» للنساء، اسم بعض الأفراد أطلق على الجميع بلسان التعالي والاستخفاف.

(36) اقليمان من الأقاليم الفرنسية الفقيرة المنعزلة، تقع «سيفن» جنوب الهضبة الوسطى (Massif Central) وتقع «ابريطاني» في أقصى غرب فرنسا، أما كَيكَو وتيكَركَرا فإنهما واديان من وديان الأطلس المتوسط الشمالي، أولهما رافد من اليسار لنهر سبو والثاني رافد من اليمين لنهر بهت.

(37) من كلمتين أولاهما فرنسية معناها الأهالي والثانية يونانية معناها حب الشيء والميل إليه والإشارة هنا إلى من كان من الضباط يتظاهر بالعطف على الشعب المغربي إلى درجة تقديم مصالحه على مصالح المعمرين لأسباب لا يتورع بيريو عن وصفها بأنها غير عفيفة.

(38) لفظ تركي بمعنى ضابط الصف برتبة رقيب، ترى متى دخلت المغرب ؟

وبالفتوحات العربية، وردود الفعل البربرية من خلال ما تعاقب عليهم من سيطرة على يد الفينيقيين والرومان والبيزنطيين والوندال والعرب والترك والفرنسيس، الذين خضع لهم جنس البربر، وأن تلموا بطموحاته، والحركات الكبرى التي تجلت من خلالها.

ولابد من معرفة شاملة بالإسلام، وبفحوى العقيدة الدينية، وبالطرق والزوايا والأجناس التي تسكن المغرب، وبطبائعها الأساسية، وعوائدها، وأعرافها، والتشريعات التي تحكمها.

لابد من معرفة بالقانون الإسلامي، الذي هو قانون ديني في جوهره، قائم على وحي إلاهي مثبت في الشريعة القرآنية، كما كان الشأن في القانون العبري المستمد من شريعة موسى والتشريع القانوني المسيحي في القرون الوسطى. ولابد من معرفة بالقانون العرفي البربري : فالبربر، كما تعلمون، لم يدخلوا الإسلام طوعا، إنهم أصبحوا مسلمين كرها، دون أن تفتح أراضيهم[39] ولذلك لم يفقدوا شيئا من حريتهم، فلم يضحوا في سبيل الإسلام بأعرافهم ولا بتقاليد أسلافهم، بحيث لم يقم الشرع الإسلامي لديهم مقام أعرافهم التقليدية ؛ وواجبنا ومصلحتنا يقتضيان منا أن لا نغير شيئا من هذه الأوضاع.

ولابد من معرفة بالقانون الإداري المغربي الذي يعالج تنظيم المصالح العمومية المختلفة للحماية وعلاقاتها مع الخواص.

ولا مناص من دراسة مختلف الضرائب من حيث مبدأها وتفاصيل تطبيقها (الضريبة على المحاصيل الزراعية)، الضريبة الحضرية[40] (وهي الضريبة على المَبْنِيِّ من العقار بالمدن) والرسوم[41] على الدواوير والأسواق وما إلى ذلك من الرسوم.

ومختلف صفات الملكية الأهلية، وشروطها، ونظام تفويتها، والهبات، والارث،

---

(39) هذا خلط مقصود بين اعتناق القبائل الأمازيغية للعقيدة الإسلامية ودفاعها عن أراضيها والإنسان مجبول على الدفاع عن أرضه.

(40) فرضت الضريبة الحضرية بمقتضى الفصل 61 من مقررات الجزيرة الخضراء ووضع ضبط دولي لجبايتها يوم 24 يوليوز 1908، ثم كان تنظيمها في إطار الحماية بظهير 24 يوليوز 1918.

(41) المقصود بهذه الرسوم حسب السياق ميزانية البلديات والجماعات القروية.

والقسمة، والتسجيل وأملاك الدولة : الأملاك المخزنية وأملاك الأحباس وأراضي الجيش[42] وما قد يكون عليها من الحقوق. ولا مناص من الالمام بأكثر ما يمكن من قضايا الاقتصاد السياسي والفلاحة...»

فهذه المعلومات كلها، وأخرى كثيرة أغفلت ذكرها، تشكل الرصيد الذي لا غنى عنه لضابط الاستعلامات، ويكتسبها بالمطالعة وبالملاحظة الشخصية وأيضا بالاستماع إلى نصائح من سبقه إلى الميدان.

وكان الضباط قبل إعلان الحرب ملزمين، بمجرد قبولهم في مصلحة الاستعلامات وقبل شروعهم في الوظيفة، بقضاء بضعة أسابيع من التدريب بإدارة الحماية بالرباط، حيث كنا نمدهم ببعض التوضيحات بشأن كل القضايا التي قد تطرح عليهم فيما بعد، وكنا نحاول أن نوحي لهم بمذهب موحد. إلا أن الصعوبات الناجمة عن الحرب ألزمتنا بإيقاف هذا التدريب الذي سوف يستأنف العمل به بمجرد ما تسمح الظروف بذلك.

لكن المعلومات المذكورة آنفا لا تكفي مع ذلك، ولابد لضباطنا، زيادة عليها، من أن يكونوا على بينة من القضايا الكبرى التي تعني الحياة السياسية والاقتصادية للبلاد وعلى موقف إدارة الحماية من كل واحدة منها. وحيث أن دراسة هذه القضايا قد يتطلب إفاضة في الشرح لا يتسع لها ما لدي من الوقت المحدود، فإنني سوف أقف عند الإشارة إلى بعضها مكتفيا بوضع رؤوس الأقلام.

1 ــ نظام الحماية :

قلت لكم فيما سبق إننا لا ندير شؤون الأهالي مباشرة وإننا نترك لهم أطرهم الطبيعية وإن دورنا ينحصر عند تكوين تلك الأطر وعند مراقبة تصرفها بالأمور. وهذه الصيغة منطقية مثمرة : فهي الوحيدة، على كل حال، التي تلائم مذهب الحماية. وسبق لي أن حاولت تلخيص هذه النظرية في بضع كلمات فاسمحوا لي بترديدها :

(42) «الجيش» بعقد الجيم وجره وإهمال الياء حسب النطق المغربي الأصلي في هذا المصطلح، عبارة عن الفرق التي كانت تشكل أساس الجيوش المخزنية وكانت الدولة تمنحها أراضي فلاحية مقابل تلك الخدمات العسكرية.

«لا جديد في هذه النظرية ؛ فإن المنظرين قد وضعوا مبادئها وكانت تونس أول أرض لاختبارها بشكل جدي. لكن لم يسبق لنظام الحماية أبدا، وحيثما كان من المستعمرات، أن جرى تطبيقه بنفس ما جرى بالمغرب من الصدق والاخلاص والشمولية على يد الجنرال ليوطي[43] الذي كان خلال حياته الاستعمارية الطويلة قد قدر مزاياه بمقارنتها مع مساوىء الإدارة المباشرة، وعرف كيف يقنع بها في المغرب أشد الناس نفورا منها وكيف يبث بذهن الجميع إيمانه الفعال بها. والواقع أن لا قاعدة للحكم أكثر مرونة ولا أكثر تفهما ولا أليق بالانجازات السريعة من هذا النظام الذي يضمن باستمرار تعامل الحامي والمحمي ومشاركتهما الوطيدة في دراسة المشاكل المتعددة التي تطرح على الأوربي في أرض يبدو فيها الإنسان والمؤسسات والأعراف والمعتقدات وعناصر الطبيعة نفسها مختلفة تماما عما هي عليه لدينا : تعامل من فوق بين السلطان والمقيم العام من حيث تظافر مجهوداتهما باستمرار ومن حيث العمل المشترك، بين إدارات الحماية والأجهزة المخزنية الموازية[44]، وتعامل من تحت من حيث العمل المزدوج المتسق على كل المستويات بين الرؤساء من الأهالي ووكلاء المراقبة، مع احترام التقاليد والشكليات وتوظيف الدواليب الإدارية إلى أقصى حدود توظيفها وتوظيف المؤسسات والتأثيرات الموروثة واستيعاب كل القوى المعنوية وكل الإرادات وكل الطاقات وكل التأثيرات لفائدة ما تقوم به من الأعمال لانعاش البلاد وتجديد بنائها على أسس جديدة».

2 ـــ السياسة الأهلية :

ما المعنى الحقيقي لهذه العبارة التي كثيرا ما ترددت على لساني ؟ ففي نظر البعض إنها الدواء المطلق القادر على شفاء كل أمراضنا، والكلمة السحرية التي من شأنها أن تفك كل العقد وأن تفتح البلدان بلا قتال وتملك القلوب بلا مجهود،

(43) واضع قواعد الحماية الفرنسية في المغرب، تقلب على عدة قيادات استعمارية في الهند الصينية ومدغشقر والجزائر فيما بين 1892 و1912، ثم عين أول مقيم عام في المغرب واحتل المنصب إلى سنة 1925 حيث تجلى فشله في التغلب على المقاومة الريفية فأقالته حكومته.

(44) يقصد ما تبقى منها بعد إصلاحات الحماية التي ألغيت بمقتضاها وزارات السيادة وهي الداخلية والخارجية والحرب والمالية وتركت أو أحدثت بعض الوزارات مثل الصدارة العظمى لما كان مفوضا لها من مهام التوقيع نيابة عن السلطان والعدل والأحباس لاتصالهما بشؤون الدين.

وفي نظر آخرين فليس ثمة الا نوع من التشدق بالكلام الخالي من كل دلالة، مما تختفي السلطة من ورائه إما للتلبيس على عجزها وإما لإضفاء الشرعية على واقع الاستبداد. وليس الأمر لا هذا ولا ذاك، ولا يسعني، استجلاء لمعنى هذا اللفظ الجديد، إلا أن أتلو عليكم صفحة كتبها رجل كرس حياته كلها لدراسة شؤون الاستعمار، وهو السيد شايي (Chailley)[45]، قال :

«إن إلحاحنا على ترديد هذين اللفظين «السياسة الأهلية» قد يبعث على التعجب والانزعاج، فماذا نعني من خلالهما مما هو غريب وجديد ؟ وهل يختلف حكم الأهالي عن حكم الأوربيين إلى هذا الحد ؟ إن جميعهم في حاجة إلى الأمن والعدل ووسائل الثراء، وتمكينهم من ذلك، سواء كانوا أوربيين أو أسيويين، هو عين الحكم وهو عين الإدارة، فما الداعي إلى تشريف كل ذلك بعبارة السياسة الأهلية ؟ ولماذا هذا الالحاح على مسألتين متطابقتين في الظاهر ؟

سبب ذلك أن التطابق ظاهري فقط. أما جوهر الأمور فهو أننا بصدد مسألتين اثنتين ينبغي حلهما ومما لا شك فيه أن حكم الأهالي وإدارة شؤونهم بل كل قرار حكومي وإداري قابل لأن يوصف بأنه سياسة أهلية، فبناء سكة حديدية سياسة أهلية، وشق القنوات سياسة أهلية، وكذلك التصويت على المدونات وإحداث المحاكم، ومع ذلك ينبغي أن نميز بين الإدارة بمعناها المحدد وبين السياسة الأهلية، فإن السياسة الأهلية ترمي إلى إقناع السكان بأنها مهتمة بهم قبل غيرهم، بينما تضطر الإدارة إلى أخذهم بعين الاعتبار هم والمعمرين في آن واحد، والإدارة تشغلها المصالح المادية قبل سواها، والسياسة تشغلها المصالح المعنوية قبل غيرها. وقد يحصل أحيانا أن تمتزج المصالح المادية لدى الأهالي ولدى المعمرين فيستفيدون جميعا من نفس القرارات. لكن المصالح المعنوية لا تمتزج أبدا، فلابد نزولا عندها من اتخاذ الاجراءات المتميزة الخاصة، مما يكون فيه اشعار فوري للأهالي بأن الفاتح لم يكن يفكر إلا فيهم وهو يضع يديه عليهم، ولذلك فإدخال الثراء عليهم (هم

---

(45) جوزيف شايي أو شايي – بيرت (Joseph Chailley-Bert) 1854 — 1923 اقتصادي ورحالة، تخصص في السوسيولوجيا الاستعمارية، كتب الكثير في ذلك وكان له تأثير على قادة التوسع الامبريالي الفرنسي مثل كاليني (Galliéni) وليوطي وكان يعتبر من المنظرين للسياسة الأهلية ولمفهوم الحماية.

والمعمرين أحيانا في نفس الوقت) من مهام الإدارة، وهو أمر حسن، وإن كان بوسعهم أن يعزوا الفضل في ذلك إلى محض جهودهم، أما احترام مصالحهم المعنوية فتلك هي السياسة الأهلية، وذلك أحسن لما فيه من استدراجهم شيئا فشيئا إلى إدراك مزايا السلطة الأجنبية وربما إلى قبولها عوضا من أن تكون عبئا عليهم. ذلك أحسن، لكنه أصعب، وهذه الصعوبة هي التي تفسر العديد من أسباب مقاومته فإن الأمر يتطلب أولا رغبة في دراسة الأهالي ومؤهلات لذلك للوقوف على شؤونهم وإدراك مؤسساتهم ومشاعرهم ودوافعهم وطموحاتهم، ثم يتطلب إرادة التجرد من الأحكام الأوربية المسبقة والقوة على ذلك وعلى كل ما كان مسلما به إلى ذلك الحين من النظريات إن كانت خاطئة وطرح الحلول المعتادة، والحيد عما يبدو طريقا مستقيما لسلوك السبل الملتوية بل وكثيرا ما تتطلب السياسة الأهلية من الحكومة أكثر من ذلك : أن تتخلى عن أدوار العناية الالاهية على ما فيها من أسباب الاغتباط والسهولة، خاصة في يومنا هذا، وأن تعرض عن أسلوب التدخل المستمر الشائع بكثرة، وأن تنتظر، وقد يطول الانتظار، فرصة التدخل في الوقت المناسب وأن تترك الناس وأعمالهم وأن تترك الأحداث ومجراها، وأن تلتزم الصمت وأن تبدو غائصة في الفتور وتفتح المجال لمن يهاجمها ويشكك فيها بل وأن تحمل مواطنيها الأوزار أحيانا، شأنها في ذلك شأن الأم التي لن تخاطر بتوبيخ غير ابنها من بين مجموعة من الصبيان تعالى ضجيجهم، وأن تدرك مساوىء قانون من القوانين لكنها تقمع في نفسها كل ميل إلى استبداله، وتدرك أن الموظف الفلاني غير مأمون لكنها تحتفظ به برهة من الزمان، وأن تترك بعض الوظائف المهمة في أيدي بعض العاجزين عنها أو المتلاعبين بها في الوقت الذي قد يكون لديها من هو أكثر ثقافة ونزاهة. ومع كل هذا لا تجعل من الامتناع عن التدخل قاعدة، وإنما تنتهز عند الاقتضاء فرصة الاعداد لما هو ضروري وممكن من التغيير[46].

«فإن السياسة الأهلية تنطلق من مبدأ تمسك الشعب بأعرافه ومؤسساته، صالحة كانت أو طالحة، وأعرافنا ومؤسساتنا، حتى وان كانت متفوقة، لن تكون في نظره

(46) هذا من صميم سياسة الحماية، التي كانت لا تهدف إلى أكثر من جعل المغاربة زبناء للمعامل الفرنسية عن طواعية أو إكراه.

إلا مقيتة، إذا ما طمعنا في إلزامه باحترامها أو بمجرد العمل بها، لأن حضارتنا، على كمالها، في رأينا تثير استغرابه أو تصدمه فتبعده عوضا من أن تجتذبه، مهما كان من اقتناعنا بما له من المصلحة في ترك حضارته لفائدة حضارتنا، فإنه ينبغي أن نستدرجه إليها على مهل، في كثير من الصبر والمهارة، وتقوم هذه المهارة على استدراجه إلينا دون تثبيط همته أبدا ودون السماح له بالعودة على أعقابه، ولا تقوم على فتح أبصاره قهرا بل على اقناعه بفتحها. وباختصار فإنه يوضع على طريق التطور شيئا فشيئا في نطاق تقاليده أول الأمر. فهذه هي السياسة الأهلية».

3 ــ الملكية الأهليـة :

يجب أن يكون احترام الملكية قاعدة سياستنا الأهلية، وإنكم مطلعون إجمالا على نظام الأرض بالمغرب، فإنها تحتوي أراضي «ملك» مُملَّكة للأشخاص وأراضي «عرش» مملكة جماعيا لدوار بكامله أو لفرقة من القبيلة أو للقبيلة كلها.

وكثيرا ما يخطر بالبال أن تلك الأراضي الجماعية التي تبقى عارية في الغالب تتجاوز حاجيات ساكنتنا الأهلية المتناثرة إلى حد ما، وأنه من المصلحة أن يقتطع منها أجزاء لفائدة الاستعمار الأوربي لتفوق أدواته وحماسه في العمل.

فلنلاحظ أولا أن تلك الأراضي الجماعية ليست مهملة على التمام كما يحلو للبعض أن يقول : فإن الكثير منها محروث بترخيص من الجماعة لبعض أعضائها وبتوزيع يجري كل سنة، ويحتفظ بالمساحات الباقية لضرورات الرعي.

ثم إن الساكنة الأهلية من جهة أخرى، إذا كانت في الوقت الراهن منهكة القوى من جراء الصراعات والأمراض فإنها سرعان ما ستتكاثر وستتفاقم حاجياتها ولابد للدولة أن تتوقع ذلك وأن تحتفظ لها بالكافي من الاحتياطيات العقارية.

وأخيرا، لا يمكن الاعتراض شرعا على عدم جواز التصرف في تلك الأراضي. لكن لا سبيل أيضا لجحد كونها غير مستعملة بكاملها، وكونها قابلة لأن تمتد فيها الزراعات، ولذلك من الجائز المعقول أن يفكر المخزن، بصفة استثنائية، في شكل من أشكال جمع أعمال بعض القبائل ممن تتميز بوفرة حظها على مساحة من أراضيها تستجيب لحاجياتها في الحال والاستقبال بعد تقدير ذلك بأوسع تقدير والتفاوض معها في أمر تفويت الفائض لمصلحة الاستعمار.

لكن إيانا ثم إيانا أن نتمسك، بشكل طائش، بتلك النظريات الخطيرة القائلة بطرد الأهالي وحصرهم[47] قهرا في بعض الجهات فمن مخاطرها أن تحدث كما حصل في بعض المستعمرات بروليتاريا قروية من شأنها أن تفسد علينا أوضاعنا السياسية والاقتصادية بما قد يكون وزنه حاسما في الميزان.

4 ـ قضية تعليم الأهالي[48] :

هذه قضية خطيرة الشأن عويصة بل إنها قضية مهوسة لما فيها من تضارب المصلحة والضمير. ولقد اعترفت كل الأمم الاستعمارية، بعد الكثير من التردد والارتياب في غالب الأحيان، بأن لا حق لنا في احتكار مزايا التعليم، لكن ما أن يتم الفصل في هذه المسألة الأساسية حتى تنبعث في الحين مسائل أخرى لا تقل عنها أهمية ولا حساسية. فما هو صنف الزبناء الذين ينبغي للغازي المهذب اجتذابهم أو استقبالهم ؟ وماذا سيلقن لهؤلاء الأهالي، عامتهم وخاصتهم ؟ من ذا الذي سيعهد إليه بهذا التعليم ؟ مدرسون من الأهالي أم من الفرنسيين ؟ أية لغة تستعمل لنشر هذا التعليم، اللغة الأهلية أم لغتنا ؟ لقد حددت الحماية موقفها من هذه المسائل. فإنها بادىء ذي بدء، أقرت استحالة توجيه ما ينبغي أن يلقن من التعليم للشباب الأوربي وما يخصص منه للأهالي في نفس الاتجاه، وأن قصدنا أن نجعل من شباب العرب أو البربر الذي يفد على مدارسنا رجالا ذوي صدق وفطنة وبصيرة، محبين للعمل والنظام، قابلين للتقرب منا باستعمال لغتنا، راغبين في أخذ نصيبهم من أسباب الرقي الذي ندعوهم إليه لكي يحسنوا أساليب عيشهم وأحوالهم الصحية وممارستهم الفلاحية وأعمالهم الصناعية وعلاقاتهم التجارية، فتلك هي الغاية المقصودة وذلك هو أقصى ما يرام.

---

(47) حصر القبائل اجباريا في جزء من أراضيها كان من أسباب تشريد الطبقة الفلاحية في الجزائر كما يبدو ذلك من أبحاث جوليان (Julien) وأجرون (Ageron) أما في المغرب فإن تاريخ أطوار الاستحواذ على الأرض مازال في حاجة إلى الدرس، وكان يطلق على تلك العملية كلمة Cantonnement عندهم.

(48) أبان الأستاذ ريفي عن جوانب هذه السياسة وقال عنها إنها كانت مبنية على «المالتوزيانية» وعلى «الميز العنصري» وأنها كانت تهدف إلى تكوين طبقة من الوسطاء بين الجالية الاستعمارية والجماهير المغربية، يرجع إلى مقاله عن «المدرسة والاستعمار في المغرب في عهد ليوطي» في Cahiers d'Histoire 1976.

مما يفرض أن يكون التعليم الابتدائي، وهو ما يكون في متناول الجماهير الشعبية من التعليم، مطبوعا في بلد حديث العهد بالاستعمار مثل المغرب، بطابع المنفعة الواضح وهكذا لم نحتفظ في الدروس سوى بالقسط الضروري مما له قيمة تهذيبية محضة، جاعلين المعارف ذات المنفعة شبه الفورية في محل الصدارة من البرامج. فإن المغرب يحتاج قبل كل شيء لعمال وفلاحين، فلابد أن تسعى المدرسة لتوجيه انشغالات تلاميذها صوب الحقول والمعامل حتى يتأتى لهم تحسين ظروف عيش عائلاتهم في أسرع الآجال.

ولابد أيضا للمدرسة ـــ والأمر ثانوي في برامجها، لكن ينبغي إثارة الانتباه إليه ـــ أن تحافظ على الفنون الصناعية الأهلية، وأن ترد شباب العمال إلى تقنيات حرفهم التي تكاد تكون غاية في الجودة، لكنها معرضة في الغالب للاندثار، فلابد ـــ بكلمة وجيزة ـــ من تجديد ذلك الجانب من التراث المغربي الذي تهدده الروتنية ونقائص الأعراف الموروثة بشكل خطير.

وفي نفس هذا السياق لا سبيل إلى إغفال الفتيات المسلمات. فان تأثير المرأة المسلمة في الواقع، أقوى في الأسرة وفي المجتمع مما قد يفترض[49].

فلابد إذا من العمل على إشراك نساء الإسلام في المستقبل في التطور الجماعي لكن مع أقصى ما يمكن من الاحتياط لكي لا تصدم المعتقدات الموروثة ولا تخدش بالأحرى التقاليد المحترمة بشكل مباشر.

فهذا ما يعني عامة الناس. أما الخاصة فلقد أنشئت «مدارس أبناء الأعيان» و«الثانويات الإسلامية»[50] بقصد استقبال شبان العائلات المسلمة الموسرة التي لا يليق بها تعليم ابتدائي على شكل ما ذكرنا، ففي هذا الميدان أيضا نجد أنفسنا إزاء أوساط ينبغي أن نطلع عليها تمام الاطلاع وأن نعمل فيها مع مراعاة مستمرة

---

(49) هذا حكم صادر عن خبير بشؤون المجتمع الإسلامي أدرك أن احتجاب المرأة في الإسلام لا يعني امحاء شخصيتها، لكن الحماية لم تهتم بتعليم البنات إلا بضغط من الحركة الوطنية بعد الثلاثينات.

(50) هذا دليل الخطة المالتوزيانية في التعليم ففي تاريخ إلقاء هذه المحاضرة بأرقام سنتي 1916 و1917، كان عدد تلاميذ الثانويات الإسلامية 381 تلميذا، ومعلوم ما كان لليوطي من التحفظ من تعميم التعليم لا بالنسبة للفرنسيين ولا بالأحرى بالنسبة للمغاربة.

لما قد يترتب على عملنا من بعيد الانعكاس، وعلينا أن نحذر من تلك التعميمات المتسرعة التي تدفعنا إليها حاسّتنا التبسيطية بكثير من الإفراط، وعلينا أن نفتح للمسجد العتيق الذي تعيش تلك العائلات في ظلاله بعض «النوافذ» المتواضعة في البداية ليتم الاطلال على البناء المعقد لحضارتنا الأوربية.

فلقد بدا أن الغاية المنشودة هي أن نلزم التلاميذ بعوائدهم الاجتماعية في الوقت الذي ندرس لهم اللغة الفرنسية ولغتهم الأم، وأن نمدهم، دون الخروج عن التقاليد ولا قلب نظام المجتمع الإسلامي، من سبل تناول إرث أبائهم في التجارة أو الفلاحة أو الصناعة، بمناهج مجددة، أو سبل التشوف إلى بعض الوظائف الإدارية التي يحتفظ لهم بها المخزن أو إدارات الحماية، وأن نرفع بخلاصة القول مستوى ذكائهم دون أن نقلعه بعنف عن المعهود لديه من المدركات.

5 ـــ الاسعاف الطبي للأهالي :

وهذه القضية من الأهمية بمكان، إذ بوسعنا في هذا المجال أن نقوم بأدوار معنوية وحضارية بارزة، فإن نسبة الوفيات مهولة لدى ساكنتنا الأهلية التي تفتك بها الأوبئة وأخطر الأمراض. فلابد من أن نبادر إلى التدخل لجعل حد لهذا الإهدار السكاني، وسيكون الاسعاف الطبي من أنجع عوامل ازدهارنا. ثم إن الطبيب، إلى جانب المعلم، من أحسن مساعدي سلطة المراقبة، ولا يعار ما يكفي من الانتباه لما يمكن أن يقوم به من الأدوار المعنوية، ولما يتمتع به من الجاه، ولما يمكن أن يمارس من التأثير[51]. ولن أحدثكم عن نظام هذه الاسعافات بالمغرب، فلقد اكتمل بنيانها أو كاد، وصارت تُعطي من النتائج ما هو جد مشجع، وأكتفي بإثارة إنتباهكم إلى أهميتها القصوى.

6 ـــ السياسة الدينية للحماية :

ويمكن وصفها بأنها احترام وامتناع عن التدخل وتجرد، إنها حياد ديني، لكنه حياد قائم على التسامح والتعاطف. ومن حسن حظنا أننا وجدنا في المغرب ما لم

(51) مازال دور الأطباء لم يفحص بعد فحصا تاريخيا مدققا ولكننا نعلم أن جل الأطباء الأوربيين كانوا من المخبرين عن خبايا المجتمع المغربي ومن أنجع أدوات الدعاية الاستعمارية في صفوفه.

نجد في الجزائر، رئيسا دينيا معترفا به محترما من قبل الجميع، وتنظيما حكوميا يرعى حاجيات العبادة.

فانحصر دورنا في الأخذ بيد المخزن ليجدد صرح إدارة الأحباس التي كانت تتآكل ولقد أعيد بناؤها، وهي الآن مزدهرة. ولم يبق أي داع لنتدخل في هذا المجال.

7 ـــ مشاركة الأهالي في الحياة السياسية والاقتصادية :

قبل وضع الحماية، كان هناك صنفان من المغاربة في نظام المخزن القديم. هناك من جهة أصحاب وظائف الدولة من وزراء وكتاب البنائق[52] وخدام القصر والباشوات والقواد والقضاة والأمناء، وعموما موظفي المخزن كبارا وصغارا، ممن كان يجمع إلى جاه الوظيفة امتيازات مادية لا تخلو في الغالب من أهمية، وكانت تلك الوظائف كلها تُشتَرى، لا بشكل منتظم، ولكن في خضم الدسائس التي كانت تحاك حول المنصب الشاغر، لا يُعْترف بالأحقية به إلا لأكثر المرشحين بذلا للأموال، الذي يكون ملزما بسبب ذلك إلى تعويض مصارفه بأسرع سبيل، فكان يبادر إلى جمع الثروات ويسعى في ذلك بلا حد، ويبالغ في الكلف ويفرض الضرائب الاستثنائية ويجبي الرسوم من مختلف الأشكال، ويمارس كل أنواع الابتزاز، ويمول مجاملاته وأسباب نفوذه.

وهناك من جهة أخرى جمهور من تقع عليهم الأحكام القضائية أو الإدارية أو الجبائية المعرضين بلا شفقة ولا رحمة للضرائب والكلف والذين لا يملكون وسيلة للتشكي ولا سبيل لهم لمقاومة الاستبداد إلا بالتمرد. ولعل في هذه اللوحة ما فيها من التشويه، لكنه واقع على وجه الإجمال. وإن وضع الحماية وحسن اختيار الموظفين والمراقبة المدققة لتصرفاتهم قد ساعد على تخليص المامورين من هذا النظام القائم على الاستبداد والضغط والعنف. ولكن ذلك لا يكفي ولا ينحصر واجبنا عند هذا الحد، وعلينا أن نمد الأهالي من وسائل التعبير عن حاجياتهم ورغباتهم من خلال أجهزة رسمية، وعلينا أن نحملهم على التعامل معنا في أعمالنا والمساهمة بأنفسهم في تحسين أوضاعهم المادية. ولهذا أقدمت الحماية على انشاء نوعين من

(52) البنائق غرف جلوس الوزراء والكتاب للأعمال المخزنية.

الأجهزة من شأنهما أن يمكنا الأهالي من المشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية للبلاد.

ففي المجال السياسي والإداري منحت المدن مجالس هي بمثابة بلديات[53] حقيقية تناقش مصالح المدن وتساهم في إدارتها. أما لدى القبائل فلقد أنشئت جماعات هي، كما تعلمون، مجالس للأعيان[54] خول لها، برئاسة قوادها سلطات إدارية وأحيانا قضائية. وفي المجال الاقتصادي، فإن المدن زودت بغرف تجارية يكون بوسع وجهاء التجار الأهالي أن يناقشوا فيها مصالحهم، وأن يعربوا عن متمنياتهم، ويساهموا بذلك في الازدهار الاقتصادي للبلاد. ولنفس الغاية يمثل سكان البادية في الغرف الفلاحية[55]. وهذا الابتكار لا يخلو من جرأة. ولا أظن أنه يوجد بمستعمراتنا القديمة تنظيم يضمن مشاركة الأهالي في الشؤون العامة وفي الدفاع عن مصالحهم بهذا الشكل الواسع. ومن حق المغرب أن يفتخر بدخوله هذا الطريق بهذا النوع من الاقدام، وبكونه أشرك الأهالي في أعمالنا وفي مجهوداتنا بهذا الشكل الواسع.

* * *

فهاأنذا، أيها السادة، قد أطلعتكم على مختلف جوانب المهام المنوطة بمصلحة الاستعلامات في المغرب. وحتى لا أبعث في نفوسكم الملل، فإنني سرت بخطى سريعة وأهملت التفاصيل وقصدت رأسا إلى إظهار أهمية هذه المصلحة أمامكم وفوائدها وتعقيدها فإنها عقد قبة صرحنا المغربي الشامخ.

على أنني أكون سعيدا لو كنت قد حصلت على أبعد من ذلك بإثارة انتباهكم إلى هذا البلد البديع وإرشادكم إلى قضايا جديدة بالدرس مما قد يزيدكم معرفة به وحبا فيه.

(53) تأسست البلديات بظهير 27 مارس 1917 وكانت الغاية الحقيقية من ورائها إشراك الجالية الأوربية الدخيلة في جزء من السيادة المغربية مع إتاحة آفاق المضاربات أمامها.

(54) شرع في ضبط شؤون الجماعات أول الأمر بظهير 2 شتنبر 1914 القاضي بالاحتفاظ للجماعة بأعرافها، ثم بظهير 21 نونبر 1916 الذي حول الجماعات إلى هيئات إدارية يرأسها قائد معين مما كان مخالفا في غالب الأحيان للأعراف السابقة، وكانت المجهودات التقنينية الموالية تهدف كلها إلى إحكام سياسة التمييز القبلي والسلالي.

(55) وقت إلقاء هذه المحاضرة كانت الغرف المهنية، سواء منها الخاصة بالفرنسيين أو الخاصة بالمغاربة مازالت قائمة بمقتضى القرار المقيمي ليوم 29 يونيه 1913، ولم يصدر أول ظهير منظم لها إلا في يونيه 1919 وكانت الغرف المهنية المغربية مجرد أقسام ملحقة بالغرف الفرنسية.

نصوص ووثائق

لائحة مطالب وطنية مبكرة يقدمها عالم من فاس إلى المقيم ستيغ سنة 1926

تقديم وعرض : **محمد المنوني**
كلية الآداب ـــ الرباط

واضع هذه اللائحة يحمل اسم أحمد بن مَحمد النّميشي الحسني الفاسي، توفي عام 1386/ 1967، وكان معدودا من علماء فاس وأدبائها وذوي الغيرة من نخبتها، وذلك ما يشهد به ثلاثة من مترجميه.

انطلاقا من الأستاذ محمد بن العباس القباج[1] في فقرة يقيّم فيها مواقفه : «وإن ننس فلا ننسى مواقفه التي يقفها ـــ بلسانه وبينانه ـــ دفاعا عن المبادىء الحق وعن الدين الحنيف، في وقت يكتنفه المغرضون الذين يبنون مجد شخصياتهم على أطلال السفاسف والجمود، ومن ذا الذي ينسى موقفه المشهور هو وإخوانه المصلحون، حيث قاموا قومة رجل واحد بالمطالبة بتنظيم كلية القرويين».

وعن جانب ثقافته يخطط الأستاذ إدريس بن الماحي الإدريسي القيطوني[2] قائلا عنه : «الفقيه العلامة الدراكة، الأديب الأريب، الكاتب المقتدر، الشاعر المجيد، المؤرخ الشهير، أكتب أهل عصره، وأعرفهم بتاريخ فاس وخِططها وأهلها وأنسابهم وأيامهم...».

ثم يركز الأستاذ عبد الله الجراري[3] على أدب المترجم : «من أدباء فاس

(1) «الأدب العربي في المغرب الأقصى»، المطبعة الوطنية، الرباط 1347/ 1929 : 76/1.

(2) «معجم المطبوعات المغربية»، مطابع سلا 1988، ص 348.

(3) «التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين»، مكتبة المعارف، الرباط 1406/ 1985 : 73/1 ـــ 74.

وشعرائها...»، ومن آثاره الأدبية العلمية كتابه : (تاريخ الشعر والشعراء بفاس)... اختصره من كتابه الواقع في مجلد ضخم مازال مخطوطا.

ومن غيرته تصديه لكتابة اللائحة التي نقدم لها، وقد رفعها للمقيم الفرنسي ستيغ سنة 1926[4]، فتناول فيها بعد افتتاحية مرنة، تشخيص الأزمة التي يعانيها المغاربة سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا.

وأولا : يربط هذا الواقع باختلال نظام الضرائب، مما نجم عنه آثار سيئة على سير الاقتصاد الوطني : في التجارة والصناعة والفلاحة، وبالنسبة لهذه الأخيرة يبرز الخطاب كارثة نزع الأرض من مُلاّكها لفائدة المعمرين.

وتنتقل اللائحة ــ بعد هذا ــ إلى فضح سيرة الحكام في تعاملهم مع الوطنيين.

لتعقب على ذلك بإلفات نظر المقيم العام إلى حالة العملة في حرمانهم من حقوقهم ماديا وقانونيا، وهنا يلوح الخطاب إلى المطالبة بالحق النقابي للعمال، ويضيف حرية تأسيس الأحزاب الوطنية.

---

(4) النص الذي اعتمدته خال من التاريخ في مصورتي، غير أني استأنست في توقيته بتاريخ مطالب مشابهة ووجيزة، عقب بها واضع اللائحة على خطاب سياسي للمقيم ستيغ، ونشر تعليقه في جريدة «السعادة» بعدد الخميس 30 صفر 1345/ 9 شتنبر 1926، وهكذا يقول :
«إننا قبل أن نطلب من حامي الشعب المغربي إشراكنا في إدارة أعمال بلادنا، نطلب منه أن يخرج منا لعالم الكفاءة رجالا جديرين بأن نضع فيهم ثقتنا، خبيرين بأحوال الزمان وتطوراته، لم يَعْمِ التعصب للقديم أبصارهم، ولا أنستهم بهرجة المدنية محاسن دينهم وعوائدهم.
نطلب منه تعميم المعارف بين طبقات الشعب، حتى يدرك سواد الأمة التفرقة بين النافع والضار، ويقدروا المشاريع الهامة حق قدرها.
نطلب منه سن نظامات عادلة تقي الضعيف جور القوي، وتصون الرعية من حيف رعاة لم تهذبهم المعارف.
نطلب منه تحسين حالتنا الفلاحية، وتلك مشكلة البلاد...».
ونقفي على هذه المبادرة بالإشارة إلى أنه يبدو أن اللائحة المنوه بها سبقتها لائحة مطالب وطنية، وهي التي يذكر الأستاذ عبد الكريم غلاب تقديمها إلى نفس المقيم بتاريخ 5 نوفمبر 1925، حسب «تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب»، مطبعة الرسالة، الرباط : 77/1.
كما أن الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني يذكر هذه اللائحة، ويحلل مضمونها تحليلا يتبين منه أنها غير لائحة الأستاذ التميشي، «مذكرات حياة وجهاد»، دار الغرب الإسلامي، بيروت : 238/1 ــ 239، غير أن القطع في هذا المقام يتطلب الوقوف على نص لائحة 1925، وهذا لم يقع لحد الآن.

وإلى ذلك تثير اللائحة مهزلة الرواتب الضئيلة التي يتقاضاها الموظفون الدينيون وعلى رأسهم العلماء، وتنتهزها فرصة للمطالبة بحق تنظيم التعليم الإسلامي.

ومن الاقتراحات الأخرى باللائحة : مطالب تتصل بالجمعيات الخيرية.

وبإنشاء الجمعيات الأدبية.

وبالصحافة العربية الوطنية.

وإصلاح القضاء والفتوى.

وتوسيع دائرة العضوية بالمجالس البلدية وكفاءة أعضائها.

والاقتصاد في النفقات الإدارية، وفي عدد الموظفين الأجانب.

وإصلاح السجون والمحاكم والمستشفيات.

وبعد هذه الخلاصة الوجيزة لمضمون اللائحة، نشير إلى أن واضعها أداها في أسلوب رفيع المستوى : تعبيرا وتركيزا واستيعابا.

غير أنه يلاحظ عليه ما يتخلل اللائحة من الليونة في خطاب المقيم، على أن هذه الملاحظة ستخف مهما تبينا طبيعة سياسة ستيغ، وهي التي يشجبها سياسي مغربي[5] في هذه الفقرة : «... ولهذا كان مجيء ستيغ كمقيم عام إيذانا بالويل والثبور، ونذيرا بسياسة عمادها القهر والاستعباد والسلب والنهب، والإرهاق والإرهاب...».

ومع هذا فإن صاحب اللائحة يشير في طالعتها إلى الوعود التي قطعها المقيم منذ عين لوظيفته، فانتهزها المترجم ليقدم مطالبه في صياغة تأخذ بعين الاعتبار نفسية المقيم[6]، دون التفريط في استيعاب الحقوق الظرفية بكل شجاعة.

(5) الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني في «مذكرات حياة وجهاد»، مصدر سابق : 396/1.

(6) إن هذه النفسية الجامحة لم تكن خاصة بمقيم دون آخر، وإنما نشأت في المغرب بنشوء الحماية الاستعمارية، وذلك ما يجليه المؤرخ محمد السليماني عند افتتاحية كتابه «اللسان المعرب»، مطبعة الأمنية، الرباط، ص 3، فيشرح خطته في عروض كتابه وقد حاول نشره في فجر الحماية : «... بيد أني تكلمت حسب الإمكان، في غالب وقائع هذا الزمان وتقلبات الأوان، لأن الظروف تحجر التصريح، بما يثير التبريح، اللهم إلا التلميح الرامي إلى المقاصد، بما يعقله العالمون بمقتضيات العوائد، وتحاشيا عما يوقع في المحذور أو يوغر الصدور، حتى لا يجد أهل الوشايات، ما يحدثونه من الهنات».

ومهما يكن الأمر فإن هذه المبادرة بالقياس لزمانها، تعبر عن غيرة وطنية، وإحساس بالحرمان، وإعلان بالرفض للسياسة المتبعة، وإيذان بظهور وعي وطني يطمح إلى التغيير.

وأخيرا، فإن هذه اللائحة أثبتها واضعها ـــ بخطه ـــ في إحدى كناشاته، ومنها نقلتها كاملة، مع الإشارة إلى أني اتصلت بها عن طريق صديق عزيز مشكور جم الشكر، وهذا نص اللائحة :

سعادة المقيم العام،

إنني قبل أن أفاتح جنابكم الكريم بخطابي هذا، أعترف بأنه لا حيثية لي رسمية تؤهلني لمخاطبتكم، ولكنني لما اطلعت على خطاباتكم التي كانت تنشرها الصحف وعلمت من مجموعها ما لكم من العزم على النهوض بهذا القطر المغربي والعروج به إلى عالم الحضارة والترقي، أردت بداعي حب هذا الوطن الذي تقلنا أرضه وتظلنا سماؤه أن أدلي إلى سعادتكم ببيانات صادرة من قلب مبتهج بالوعود التي قطعها ممثل الدولة الحامية منذ عين لوظيفه السامي، ولتعتبروا هذه التصريحات التي أمليها على جنابكم بلسان طالما نوه بالأعمال التمدينية العظيمة التي قامت بها الدولة الإفرنسية في هذا القطر منذ رفرفت أجنحة حمايتها عليه، وآتية من محب مخلص يتمنى أن يرى وطنه في بحبوحة رغد العيش والهناء.

لا أريد أن أضمن كلماتي هذه معنى سياسيا ربما كان مجلبة للاستياء، وإنما أقصد أن أوضح لكم ما تتوق إليه نفس كل وطني وتتمنى أن تحصل عليه إداريا.

من القواعد التي سار عليها رجال الدولة الحامية منذ وطئت أقدامهم التراب المغربي، إبقاء النفوذ المخزني، والمحافظة على الأنظمة القديمة التي كانت تسير عليها الحكومة، ولم يحوروا إلا ما لا غنى عن تحويره.

كانت حالة المغرب قبل الحماية على الصفة التي لم يزل منظرها المخيف ماثلا بين أعيننا، سائرة في سائر أعمالها على نظام عقيم إن صح لنا أن نطلق لفظ النظام على ذلك المعنى المشوه : لا وازع يزع ولا راحم يرحم، إن الرعية بين أيدي الكبراء والمشايخ إلا كالغنم بين يدي الجازر يضحي منها ما شاء وشاءه هواه، وما كان ينجو من مخالبهم إلا من التجأ لدولة أروبية تحميه وما له، والثورات

الكثيرة التي كانت تتقد نيرانها بجوانب المغرب لم يكن لها من سبب إلا تلك المعاملة الوحشية القاسية التي كان يلاقيها الإنسان من أخيه.

لأمثلن لكم ذلك بالتنازل من الهيأة الحاكمة للعامل عن الفرد من إيالته يتصرف فيه وفي ماله وعائلته طبق مشتهياته العدوانية، فيستصفي أمواله ويفعل أمام عينيه بحرمه ما يندى له وجه الإنسانية خجلا ويعذبه بأنواع العذاب الجهنمية التي لا تقدر يراعة أن تشخص أهوالها، وذلك في مقابلة ما ينفح به الوزير الفلاني والرئيس الفلاني من الدريهمات الناصعة والإبريز الوهاج، أم أمثل لكم ذلك بِجَبْر العملة والصناع الذين هم السواد الأعظم من الأمة على القيام بالأشغال المخزنية التي لم يكن لها حد تقف عنده، دون أداء لأجور أولائك المنكوبي الحظ أو بأجر زهيد لا يوبه له.

كل ذلك في علم جنابكم إذ ليس العهد به ببعيد.

ان اعتقادي شخصيا أن الحماية الفرنسية لو تأخرت عن وقتها بضعة أعوام لوصلت حالة المغرب ماديا وأدبيا إلى أسوأ حالة لم تصل إليها دولة من الدول، ولا شعب من الشعوب.

النتيجة أن الحماية كانت دواء ناجعا لتلك الأدواء التي نخرت عظم هيكل المغرب، فلا يماري أحد في وجوبها إذ ذاك بطبيعة الحال، هل قضى نظام الحماية على جميع الأدواء التي كان يئن تحت وقرها كل عامل مغربي حزين، وهل اجتثت شجرة الظلم والحيف من أصلها، ذلك ما لا يمكنني أن أصوره بصور الإيجاب الكلي.

إن المريض وأعني به القطر المغربي بعدما استعصى داؤه وكاد أن ييأس من حياته عالجته أيد رحيمة تشبعت بمبادىء الرحمة والشفقة، ويعز عليها أن ترى الإنسانية مُعذّبة في أي صورة من الصور، ولكن تلك الأدوية لم تبلغ بذلك المريض إلى حد النقه تماما وإن أشرف على الشفاء.

والرجاء الوحيد الذي يرجوه ذلك المريض هو أن يتم علاجه على يد الطبيب الماهر المسيو ستيغ، حيث إنه لا يصف للمرضى من الأدوية إلا ما سبقت له تجربته، والتجارب نصف الطب.

هنا يحسن أن نشخص له بعض الأدواء التي نشكوها، ونكِل له ــ وحده ــ النظر في اختيار الدواء الناجع.

لا يخفى على جنابك أيها الرجل العظيم أن أسباب المعيشة في هذا القطر كغيره أربعة : التجارة والصناعة والفلاحة والوظائف المتنوعة.

أما التجارة فيقوم بها طبقتان من سكان المدن : الأغنياء وذوو الطبقة الوسطى من أهلها.

وقد كانت التجارة زاهية زاهرة إلى أن جاءت الحرب العالمية الكبرى فزعزعت بنيان المعاملات التجارية. من جملة ما زعزعته، وأصبح التجار كريشة ملقاة في مهاب الرياح، تبعا لسير الصرف الذي لم يستقم له اتجاه إلى الآن، وأضحى التاجر المغربي ــ الذي كان مثال الخفة والنشاط ــ يرسف في قيود التأملات : يريد الإقدام فيحجم خوفا من الوقوع في هوة عميقة لم يتبينها، ويريد الإحجام فيقدم خشية أن يندم إذا تبين له بعد أن الفرصة كانت سانحة، (وهل لعلاجه من داء) ؟ سؤال لم يقدر ساسة الاقتصاد أن يجيبوا عنه جوابا شافيا إلى الآن، ولعل الطبيب الماهر إذا استعصَى عليه الداء يشير على مريضه بمسكنات وقتية توقف داءه عند حد، ريثما يأتي الوقت الذي يجتث فيه الداء من أصله.

ومن أهم المسكنات النظر في الضرائب الموظفة على التجارة وتوزيعها على النسبة الرأسمالية، فيوظف على صاحب التجارة الواسعة ما يناسب ماليته، وعلى من دونه ما لا يضر بسير تجارته، وبذلك لا يبقى محل للتّأفف ولا للتضجر، من غير أن يلحق ذلك إجحافا بالميزانية، أما الأساس الذي بني عليه توظيف ضريبة التجارة فلم يلاحظ فيه هذا المعنى، بدليل ما نراه من أن ما يدفعه أصغر تاجر ربما ساوى ما يدفعه التاجر الكبير أو فاقه، وسبب ذلك قصر اللجنة المعدلة لتلك الضريبة نظرها على ظواهر الحال من غير تعمق في البحث عن الطوايا، مع ما ينضم لذلك مما لا يخلو منه بشر من الخطإ في التقدير، أو لأسباب أخرى لا تخفى على الفطن اللبيب.

أما الصناعة فهي مهنة السواد الأعظم من الشعب.

وإذا كانت الحكومة الفرنسية مستحقة لكل مدح وإطراء على ما مثلته من

أدوار ترقية هذا القطر، ففي طليعة ما ينبغي أن يذكر لها من الأعمال الصالحة ترقية بعض الصناعات الوطنية التي كان أهلها انكمشوا في مغارات الخمول، وأصبحوا يلقون على مصنوعاتهم نظرات الاحتقار.

عادت صنعة النجارة والتسفير والفخار والنقش على الصفر والطرز والنسج وبالجملة غالب الصناعات الوطنية المهمة إلى شبابها، وبعثت من رمسها بعد أن نامت فيه أطول من نومة أهل الكهف، وها هي الآن شامخة الأنف تضارع الصنائع الأروبية، وأهلها قد حصلوا على بعض الثروة التي لم يكونوا يحلمون بها، والتي نالوها بكد قرائحهم وتعب أفكارهم.

وإذا كان هؤلاء يتمتعون بثمار ما غرسوا بأنفسهم، فهناك فئة كبيرة لم يلاحظها السعد بما لاحظ به إخوانها ؛ وهم أهل الحرف الوطنية المحضة : كالخرازين والدباغين والحاكة والحرارين، فهؤلاء مفتقرون تمام الافتقار لجس نبض حالتهم، والنظر بعين الاهتمام في شئونهم، إذ هم من أعضاء الهيكل المغربي، وأعضاء الجسد في غاية التضامن إذا اشتكى عضو واحد تألمت سائر الأعضاء، ومن جملة الأعمال الصالحة التي تسدى لهؤلاء : النظر في أمر الضرائب الموظفة عليهم بإسقاطها على من ثبت عجزه عن أدائها عجزا كليا أو كانت تجحف به وبعائلته، وبتعديلها بالنسبة لمن سواه، وليلاحظ سعادة المقيم أن عملا كهذا لا يدخل على الميزانية أدنى خسارة، ولكن تربح الحكومة من ورائه وسمها بسمة العدالة التي هي أهم دعامة قامت عليها هيأة الجمهورية الفرنسية، غير أن ما نطلبه عمل يشق إذا لم يتول أموره رجل ناصح أمين مقتدر — بما أوتيه من الفكر السليم — على وزن الأشياء بميزان التعقل والرزانة، وجعل النزاهة رائدا لأعماله.

وأما الفلاحة فيكفي في شرح حالها أنها مرتزق جل سكان هذا القطر.

وإذا كان أحد يتوقف على تسهيلات الحكومة ففلاحو الإيالة المخزنية أحق بها، وتحيق الآن بالفلاح الوطني مصاعب لا يتحمل صدماتها إلا من كانت لماليته بنية تقوى على اتقاء تلك العواصف.

أهم تلك المصاعب مسألة البلاد التي هي الركن الأعظم لماهية الفلاحة، لا يعزب عن ذهن من ألقيت إليه مقاليد الحكم في هذه البلاد أن بلاد المغرب منذ

الفتح الإسلامي إلى الآن منقسمة إلى قسمين، منها ما تملكه ذووه بعقد شرعي لا تقوى أي يد على فصم عراه، إذ الاعتداء عليه إعتداء على الحرية الشخصية التي تحرمها الأديان الشرعية والقوانين الوضعية، ومنها ما بقي تحت إشراف الحكومة منذ الفتح أو آل إليها بوجه يصح بسببه أن ينسب إليها، وهذا القسم الأخير يتنوع إلى نوعين منه ما أبقته تحت تصرفها بالفعل، ومنه ما رفعت يدها عنه وأصارت التصرف فيه لجماعات القبائل في مقابلة ما كانوا يقومون به من حراسة البلاد، وهي سياسة حميدة في ذلك الوقت تشكر عليها تلك الحكومات.

وقد أصبحت تلك البلادات بسبب تنازل الحكومة عنها شبه ملك لأفراد أولائك القبائل، لا يظنون أن هنالك يداً تمنعهم مما كان في حوز أسلافهم السنين العديدة والأحقاب المديدة، ولكن عارضت هذه المصلحة مصلحة الحكومة التي ترى أن تنشيط الفلاحة لا يتم لها أمره إلا بالسير وراء قوانين استثمارية يقتضيها الاستثمار.

وحيث أن فلاحي الوطنيين لا يتسنى لهم القيام بجلائل الأعمال، لأنهم لم يذوقوا حلاوة الجهاد في العمل إلى الآن، لم يكن من الحكمة منع جيرانهم الفرنسيين من بذل مواهبهم الفكرية في استعمار تلك البلادات التي للحكومة شبهة في دعوى الملكية لها.

من هنا جاء الإشكال وكثر اللجج والتذمر، والحكيم النطاسي الخبير إذا استعمل الفكر السليم الخالي من التعصب لأي جهة، لا يصعب عليه التوفيق بين النظريتين.

ومسألة هي من الأهمية إلى حد أن العنصر الأهلي يتوقف مصير حياته على البت في شأنها، لا يجمل بقاصر الفكر مثلي أن يبدي فيها رأيا، والمرجو من سعادتكم أن تجعلوها في طالعة برنامج الإصلاحات التي تنوون القيام بها في المغرب، إذ كل من هون لكم شأنها فقد كتم عنكم الحقيقة بتمامها، ولا يريد من وراء ذلك للوطنيين خيرا.

هذا كله بالنسبة للبلادات التي للحكومة شبهة في دعوى تملكها كما قلنا، أما البلادات التي هي ملك لأربابها وطولبوا الآن بالتخلي عنها ليحل محلها المعمرون فهي العقدة العسيرة الحل، والتي لم نطلع إلى الآن على وجه الحكمة فيها، وعلى

فرض أن هنالك وجها يسوغ للحكومة ما رامته، فقد كان الأولى أن لو سلكت فيه سبل السياسة، لئلا ينفذ ذلك بعض رجالها بكل قسوة وشدة.

وإذا أراد جنابكم الكريم أن يقف على نزر مما وقع فإني أذكر له — بكل أسف — أن من الأهالي من سجن لامتناعه من التخلي عن بلاده بدون موجب، ومنهم من وبخ أشنع توبيخ، أما الضرب فإنني أستحيي أن أذكره لممثل الدولة الافرنسية التي لقنت للعالم مبادىء العدل والحرية والمساواة، كل هذا وقع قبل أن تطأ أقدامكم تراب هذه الإيالة ببضعة أشهر، وقد شاهدنا بأعيننا بعض ذلك مما أجراه الرئيس السابق لإدارة الأحواز بهذه العاصمة الفاسية القبطان مانويل.

ومن جملة الصعوبات التي يلاقيها فلاحو البوادي على الخصوص : ثقل الضرائب التي لا تراعى فيها نسبة معقولة، أرجو أن تعيروني آذانكم وأن تتدبروا هذه الكلمات التي هي الأهم من خطابي.

لا أكتم عنكم ما بلغته حالة فلاحي البوادي وهل يسر المريض أن يكتم ما تحت جوانحه من الآلام عن طبيبه الذي لا يرجو الشفاء إلا على يده.

قلت في طالعة خطابي إن رجال الدولة الحامية اقتضت أنظارهم أن يتركوا بعض الأنظمة القديمة كما هي ومما ينتج عن ذلك ابقاء أيدي العمال مطلوقة في إيالاتهم، والإدارة الإفرنسية إنما هي قائمة بالإشراف على سير الأعمال.

إن فرنسا أرادت بالتحافظ على الحالة القديمة أن تقيم للعالم شاهداً على حسن سيرتها ومحافظتها على صبغة البلاد، ولكن ظلمة العمال لم يقوموا بشكر هذه النعمة، وظنوا أن الله قيض لهم الرعايا غنيمة باردة يسوقونها شبه الغنم إلى المذابح كيف شاءوا ووقتما شاءوا، متعللين لأفعالهم بعلل لا توجد إلا في مخايلهم، ومبررين أعمالهم بحجج لا يقام لها وزن يوم يطفح الكيل وينصب الميزان.

ليعلم نائب الدولة الحامية التي بنى أساس جمهوريتها على العدل والمساواة، أن حالة البوادي تبكي عين كل انسان يحمل بين جنبيه شيئا من الرحمة والشفقة :

امتص العمال أموال الرعايا، وأذاقوا الكبير والصغير أليم انتقاماتهم المتنوعة.

حمّلوهم من الجبايا فوق ما يطيقون، وأثقلوا كواهلهم بالمغارم التي لا يبررها قانون.

يجرون أمور ترتيب حراثتهم ومواشيهم على طبق أغراضهم ومشتهياتهم، مع أن للجبايا قوانين لا تتعداها، وكم من رجل لا يجب عليه أداء بمقتضى تلك القوانين، فيرغم على أداء ما لا يجب عليه، وكم منهم من يجب عليه قدر فيلزم بأداء أضعاف أضعافه، إلى غير هذا مما يضيق عنه الشرح والبيان، ولا تقرره إلا المشاهدة والعيان.

ويا حبذا لو وقف الحد عند مضاعفة الأداءات والجبايات التي تصل للخزينة العامة، فقد يهون ذلك إذا عُلم أنه يصرف في مصالح البلاد، ولكن الطامة الكبرى هي أن تلك الأموال المبتزة من الرعايا جلها يبتلعه العمال ومن هم على شاكلتهم، وبأدنى درس لحالتهم المالية قبل ولايتهم ومقارنتها بحالتهم اليوم يتبين المقدار العظيم الذي اختلسوه من الرعايا وكان السبب في فقرهم المدقع.

والويل كل الويل لمن حدثته نفسه برفع الشكاية لإدارة دارته، فهناك يصب عليه العامل جام انتقاماته، ويسمه بالجرائم التي ما حام المسكين حول حماها، وهل صاحب السلطة يعجز عن أن يقيم على دعاويه الكاذبة ألف حجة ودليل، أمثّل لجنابك الكريم بحادثة صغيرة بسيطة لا يسع مرتكبها إنكارها، وإن أمكنه أن يلفق لها أسبابا وأعذارا واهية، حدثني مخبر ثقة شاهد تمثيل الرواية المخزنية التي سأقصها على مسامع جنابك الفخيم :

وذلك أن رجلا من القبيلة الجامعية تخلد في ذمته دين لم يسعه بعد حكم العامل عليه بأدائه، إلا بيع الدابة الوحيدة التي يملكها لقضاء ما عليه من الدين، فما راعه إلا توجيه عامله عليه وتوبيخه على الإقدام على بيع الدابة، مع أن ضوابط الحكومة في زعمه تمنع أهل البوادي أن يبيعوا دوابهم إلا بإذنها، فاندهش وقرر له أن بيعه للدابة كان مجبورا عليه، تنفيذاً لأمره له بأداء ما عليه من الدين، وليس له ما يؤدي منه إلا تلك الدابة التي كانت شؤما عليه، فأشاح بوجهه عن سماع تلك الحجة الواضحة الصادرة من أعماق ذلك الرجل التعس الحظ وألقى به في غيابات السجن، فاستعطف بعض أقاربه محدثي بهذه القصة أن يكون خير شفيع لقريبهم عند العامل، بعد أن دفعوا للعامل وكاتبه أزيد من ثلاثين ريالا على أن يسرح ذلك السجين ويلتزم بشراء دابة بدل التي باع، فما قبل للشفيع المذكور شفاعة، وكانت نهاية هذه الرواية المخزنية الحكم على الرجل رسميا بقضاء ثلاثة أشهر سجنا.

هذا ما حدثني به مخبري وهو من وجهاء المدينة وأعيانها، فهلا تنفطر الأفئدة عند سماع أمثال هذه القصص التي يظنها السامع أنها من أمثال خرافات ألف ليلة وليلة، مع أنها روايات واقعية يمثل العمال على مسارح أعمالهم المئات والآلاف منها.

فإذا كان رجل فرنسا العظيم وهو من أبناء أولائك الذين قوضوا صرح الظلم والعدوان يريد خيرا بهذه البلاد، ويود أن يترك عملا نافعا يسجله له التاريخ، فليخصص جزءا من وقته الثمين للنظر في أمثال هذه الحوادث التي هي المنبع لكل شر، والمواد الالتهابية المهيجة لبراكين الفتن، وهي فيما أتحقق السبب الوحيد لخروج بعض القبائل عن الجادة المثلى والصراط السوي المستقيم.

وأما الوظائف فلا يخفى على جنابكم أن منها ما هو إداري ومنها ما هو ديني.

أما الإداري فلا كلام فيه ولا ملاحظة لي عليه حيث أن رواتب أهله مناسبة في الجملة، إذ للحكومة اعتناء بهم وتشملهم برعايتها كما تشمل إخوانهم الإفرنسيين، وإن كان لهؤلاء الآخرين تفوق على الأهليين تفوقا لا يجب أن يحسدوا عليه نظرا للمصارف الكثيرة التي تخصهم باعتبار عوائدهم وكلفهم، ولكونهم كالغرباء عن وطنهم الأصلي.

نعم من هذا القسم العملة وما أدراك ما العملة، أولائك الذين هم السواد الأعظم من الأمة، والذين من عرق جبينهم تتكون أودية الأموال التي تسقى منها رياض الأغنياء وبها تجري مراكب ثروتهم.

في كل بلاد من البلادات المتمدنة يوجد حزب لهذه الفئة التي يجب أن ينظر لها بعين الشفقة والرأفة والاحترام، لقيامها بجهود عظيمة، وتحملها لمصاعب جسيمة.

أما هذا القطر فهو خال من هذا الحزب ومن بقية الأحزاب، لكونه لازال حديث عهد بالرقي العصري، ومادام محروما من هيأة تمثله وتدافع عن حقوقه، فالأليق أن تدير الحكومة أعماله بواسطة رجال أحرار يقدرون الإنسانية ـــ من أي جنسية كانت ـــ حق قدرها.

وكفانا أن يعرف جانب المقيم أن حالة عملة هذا القطر تقتضي مَدَّ يَدِ المعونة لهم، لاسيما بعدما حرموا من الهجرة للربوع الفرنسية الجميلة التي كانوا يجدون فيها من واسع الرزق ما لم يجدوه في أوطانهم.

ولا أنسى أن أذكر لكم أن هؤلاء العملة المساكين هم هدف لظلم الولاة أكثر من غيرهم، فهم الملزومون بخدمة الطرق دون أجور، وهم الذين يقومون بأشغال حراثة العمال من بذر وتنقية وحصاد ودراس ونقل محصول.

ومن الغريب أن الضريبة الشخصية المعبر عنها عند المغاربة بضريبة الاذن انما شرعت لتقي القائم بدفعها من تلك الأشغال، وها تلك الضريبة تؤديها ـــ الآن ـــ بوادي المغرب ويرغمون بعدها على القيام بالخدمات الشاقة التي لا يحتمها عليهم قانون، بل قد بلغ المكر في بعض القبائل إلى حد أن تلزم السلطة بعضهم بترك شئونهم الخاصة والقيام بأشغال المعمرين مدة معينة بأجر زهيد، وربما ضاع للقائم بذلك من أمور معاشه أضعاف ما قبضه.

وأما الوظائف الدينية كالتدريس والإمامة والأذان وغيرها فهي التي يهمنا أن نسهب القول فيها، وأن نشرح لعميد الدولة الجمهورية حالتها بغاية الحرية والصراحة :

وقع التصريح في عقد الحماية بأن الدولة الحامية لاتزال ساهرة العين على حفظ شريعة وعوائد البلاد، وتلته تصريحات مؤكدة لمضمونه من غير ما واحد من كبار الساسات الإفرنسيين، مما لم يبق لنا شكا ولا ريبا في حسن نوايا هذه الدولة نحو شريعتنا، وإذا خضنا معها يوما من الأيام في ذلك الموضوع واستلفتنا نظرها إلى جزئية من جزئيات ما قطعت لنا الوعد به، فما معنى ذلك أننا نتهمها بنكث عهودها أو نقض وعودها، وإنما معناه إيضاح أن الجزئية المبحوث في شأنها مندرجة في عموم ما وقع التنصيص عليه، أو أن حالتها الوقتية تقتضي النظر إليها بوجه خصوصي.

ومن هذا النوع مسألة أجور الموظفين الدينيين التي ينبغي الاهتمام بها، وجعلها في طليعة المسائل التي يجب النظر إليها بعين السرعة.

تقوم بنفقة هذه الفئة إدارة الأحباس، إلا أنها بكل أسف لم تسمح لها ميزانيتها بالزيادة في رواتبهم التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

وإنني أتيقن أنه لتأخذكم الدهشة عندما أقول لكم بكل صراحة : إن هذه المسألة التي هي روح الدين هي المسألة الوحيدة التي كانت قبل الحماية أسعد

منها بعدها، كانت هبات الأمراء وصلاتهم تترى على العلماء آونة بعد أخرى بمناسبة وبغير مناسبة، زيادة على ما يسهم لهم في الأحباس.

أما اليوم فلا أزيدكم شرحا على أن أذكركم أن غاية ما يقبضه صاحب الطبقة الأولى من العلماء نحو المائة والخمسين فرنكا شهريا، والكثير منهم ربما كان هذا القدر مبلغ نصيبه من الدنيا.

وإنني أعرف كثيرا منهم — ياجلالة المقيم — أصحاب عائلات كبيرة يبيتون هم وعائلاتهم طاوين اليوم والليلة، وربما كان قوتهم — في غالب الأيام — خبز الشعير فقط، أيرجى للعلم انتشار والقائمون بنشره بهذه الحالة التي وصفتها بلا تحيز ولا مبالغة.

نعم إذا كان هذا من الاجحاف العظيم بخير هيأة في البلاد فذنبه محمول على عاتق الرؤساء المسئولين من المسلمين، لأن المسألة — كما قلنا — مسألة دينية بحتة، وقد قطع رجال فرنسا كما قلنا غير ما مرة وعودهم بأن لا يتداخلوا في شئون المسائل الدينية إلا تداخل إرشاد.

وبهذه المناسبة نقول إن سبب كل حيف يقع على الأهالي، فأكثره من رؤسائهم الذين يتقاعسون عن رفع مطالبهم لرجال فرنسا الأحرار.

ولنمثل لجنابك الفخيم بالهيأة العلمية التي هي موضوع بحثنا، فطالما اجتمعت كلمة أفرادها على أن يرفعوا شكواهم وما يقاسونه من أليم الفاقة للرؤساء الإفرنسيين، فيثبط عزيمتهم مجلسهم العلمي الذي كان من حقه أن يكون أول مدافع عن حقوقهم، ويضع لهم العراقيل في سبلهم، حتى إنه ربما مثّل لهم ما يريدون الإقدام عليه بشبح مخيف مرعب، ويدلك على ذلك أن غير ما مرة استفهم سلفكم المريشال ليوطي عن سير الحالة العلمية وعن حال العلماء، فكان المجلس يأنف أن يشرح له الحالة كما هي، ويجيبه بأن الحالة العلمية زاهية زاهرة، ورجالها حامدون شاكرون، مع أن حال العلم وحالتهم — وحق شرف فرنسا — لحالة تحزن الأفئدة وتدمي العيون.

إنني منذ عشر سنوات وأنا مشتغل بدرس مسألة إدخال النظام على التعليم الإسلامي، ورفعت بذلك التقارير الضافية لغير ما واحد من كبراء الوطنيين ورجال

الدولة الحامية، وربما كان في ضمن هؤلاء الأخيرين الفاضل العلامة المستعرب حبيبكم القونصو المسيو ميرسي حينما كان مرشدا للمجلس العلمي بهذه العاصمة الفاسية أول تأسيسه، وأحمد الله أن وقع الشعور التام بشدة الاحتياج إلى اصلاح التعليم، وأصبح عقلاء الأمة ومفكروها ينتظرون تداعي صروح العلم إن لم تتداركها أيدي الترميم.

النتيجة أن عيون العلم قد أوشك ماؤها أن ينضب، وأن القائمين بتمثيل أدواره تنفس أفرادهم يوما فيوما، وكل فرد ذهب لا يلفي له خلف.

الدواء الوحيد لذلك هو السير بالعلم على الأنظمة العصرية التي تسير عليها غالب كليات الشرق، ولا أبعد النجعة في التشبيه، فهذا القطر التونسي الذي تخفق في سمائه الراية التي تخفق علينا، قد أصبح معهد الزيتونة به بهجة للناظرين، وروضا زاهرا بالعلوم والمعارف.

من ساعده الحظ بالوصول لذلك القطر وشاهد سير العلم في تلك الكلية المباركة، لا يسعه إلا الثناء الجميل على السياسة الحميدة التي سلكتها فرنسا هنالك حتى أصبحت تلك الكلية العظيمة تضم بين جدرانها مئات الأساتذة وآلاف التلاميذ.

إنني لا أحسد إخواني التونسيين على ما نالوه بجدهم واجتهادهم وأخذ الدولة الحامية بعضدهم، ولكن في مقابلة ذلك أندب حالة الكلية القروية التي كانت تسير مع الكلية الزيتونية جنبا لجنب، وربما سبقتها شوطا بعيدا، فأصبحت ـــ الآن ـــ مقيدة الرجلين ترى شقيقتها تسير عدوا ولا تقدر على النهوض للسير وراءها.

إنني ـــ ياسعادة المقيم ـــ من متخرجي هذه الكلية الذين تغذوا من لبانها وكرعوا في حياضها، ومن المطلعين على تاريخ سير العلم بها منذ أقدم أزمنته إلى الآن، فإن رأيتني أبكي عليها وأندب ضيعتها فإنني أبكي على مجدها السالف الذي لم يكن لكم يد في ضياعه، بل سعيتم جهدكم وطاقتكم في استرجاعه، فأبى الجامدون من أهلها أن يتبعوا ارشاداتكم أو يوافقوا رجالكم على أفكارهم الإصلاحية، سل المسيو ميرسي الذي شاهد تكوين حنين المجلس العلمي عن

الصعوبات التي لقيها مبتكرو ذلك المجلس، وسل غيره من عظماء الرجال الأحرار تعلموا أنني غير مجازف فيما قلته.

إذا لم تدخل الإصلاحات اللازمة للكلية القروية وباقي المعاهد بالمغرب ولم يوف القائمون بالتعليم أجورا كافية، فلتتيقنوا أنه في أقرب وقت يتقوض صرح العلم وتترك معالمه، وذلك ما لا ترضونه قطعا ولا ترضاه حكومتكم الساهرة على حفظ المدنية الشرقية.

أرجو ياجناب المقيم أن تكلفوا حبيبكم المسيو ميرسي بدرس هذه المسألة، وأنا الكفيل بأنّ ما يرفعه لكم من التقارير في شأنها يهولكم كثيرا.

وإنني مستعد لأن أقدم لجَنَابِهِ جميع الارشادات التي يتوقف عليها، خدمة لديني الذي أرى أن لا حياة له بغير العلم، وخدمة للحكومة التي أتمنى أن يكون لها شهرة في العالم بالسير في نظام الأقطار المحمية بها على النهج السوي والصراط المستقيم.

وما شرحته من زهادة رواتب المدرسين، هو بعينه موجود بالنسبة لأئمة المساجد والمؤذنين، وعسى أن تنظر لهم إدارة الأوقاف مخرجا من المأزق الضيق الذي هم فيه، وتضيف هذه الحسنة لسجل حسناتها الكثيرة.

* * *

هذه أيها الرجل العظيم الأصول الأربعة التي أشرت إليها في طالعة خطابي شرحت بعض أدوائها، ولو أردت أن أستقصيها لكلت النفس وضاق الطرس.

وهناك مسائل لا تقل عنها أهمية يجب أن يلتفت إليها وتمد لها يد المعالجة : منها مسألة المعارف العصرية، إن حكومة الحماية قد بذلت المجهود في تأسيس المدارس وتشييد المعاهد العلمية، وخصصت من الميزانية جزءا غير قليل للنفقة على ترقية المعارف، فهي — من جهتها — قد قامت بما يجب عليها، إما من جهة الأهالي الذين كان يجب عليهم أن يقدموا فلذات أكبادهم للارتواء من تلك الحياض، فقد رأينا تقاعسا عظيما وإحجاما جسيما لم ندر السبب فيه، فإن كان لنقص رأوه في برامج التعليم فكان من حقهم أن ينبهوا عليه، وإن كان تكاسلا أو تثاقلا فليعلموا أنهم قد أضاعوا مستقبل أولادهم وحرموهم من الخيرات بمقدار ما تباعدوا بهم عن ولوج ساحات المعارف.

أما أنا فالملاحظة الوحيدة لي على نظام تلك المعاهد التي أُجِلُّها وأكبر أعمالها هي عدم إعطاء اللغة العربية لغة الدين والبلاد ما تستحقه من كامل العناية.

ليس السبب في ذلك احتقار الحكومة لها أو إرادة القضاء عليها، إذ هي أعقل من أن تجني على لغة الدين الذي تكفلت بحفظه ورد كل يد عادية تشير إليه، وإنما أتي التفريط — أولا — من عدم انتقاء الأساتذة ذوي الكفاءة والخبرة والتضلع في هذه اللغة، وثانيا من جناية التلاميذ على أنفسهم، فإننا نرى التلميذ أول ما تظهر له بارقة من بوارق التحصيل، يشهر حربا عوانا على لغته ولغة آبائه ودينه ووطنه، لا يخُط بها كتابا ولا يحسن بها جوابا، وهذا أمر مشاهد للعيان، لا يقام عليه دليل ولا برهان، فإن كانت الحكومة ترى من الحكمة الابقاء على اللغة العربية فلتوكلها لأمانة أساتذة ماهرين، ولترب التلاميذ على احترام لغتهم التي إذا أضاعوها أضاعوا كل شيء.

ومنها افتقار البلاد إلى جمعيات خيرية تقوم بإسعاف المحتاجين وسد خلة العاجزين، إذ حبس المساكين بهذه البلاد لا يقوم بكل حاجياتهم، كما أنها مفتقرة إلى جمعيات أدبية تقوم بخدمة لغة البلاد وإحيائها بكل الطرق الموصلة لذلك، ربما تقولون إن هذا حق من حقوق الأمة فلو طلبته من الحكومة لَلَبّت طلبها، فأجيب سعادتكم بأن الأمة اليوم لاتزال على أبواب الرقي ولازال جل أفرادها يجهلون الواجبات التي لهم والتي عليهم، ولا أستحيي أن أقول لكم إن السواد الأعظم منهم يعتقدون أن الخوض في مثل هذه المشاريع الأدبية ربما كان من الممنوع، أو مما لا تود سماعه آذان الحكومة، مع أن أمثال هذه الجمعيات لم تحرم منها أية أمة من الأمم حتى المستبدة تمام الاستبداد.

وحكومة مثل الحكومة الإفرنسية التي هي وليدة الحرية، لا يضرها أن تشرح للمتعلقين بأذيالها أنها لا تعارض في أمثال هذه المشاريع فقط، بل تنشطها وتعضدها وتحوطها بتمام الرعاية.

وحبذا لو تتألف جمعيات من هذا النوع الذي أشرنا إليه، ولو تحت رياسة أفاضل المستعربين الإفرنسيين الذين لهم الفضل في القيام بخدمة اللغة العربية.

ومنها خلو القطر من الجرائد العربية، التي أصبح وجودها اليوم عنوانا على رقي الأمة وعدمها علامة على انحطاطها.

إنني شخصيا أرى أن كثرة الجرائد في بلاد لم تزل حديثة عهد بالحضارة مضرة بمصالح تلك البلاد، لاسيما إذا اشتغلت بسفاسف الأمور وتركت الصالح العام، ولكن عدمها بالكلية يدل على سبات الأمة وعدم استعدادها لمجاراة الأمم الحية.

ان المغرب ـــ بفضل الله ـــ ليست له مشكلة سياسية كبرى تشتغل الجرائد بالمناقشات فيها، وغاية ما يرجوه هذا القطر أن تكون له جرائد وطنية تشتغل بالمسائل التي تهم البلاد، وترشد الأهالي إلى الطريقة المثلى التي يجب أن يسيروا عليها في تجارتهم وصناعتهم وفلاحتهم، وتقوم من جهة أخرى بشرح أحوالهم الاجتماعية للحكومة وبيان ما يضرهم وما ينفعهم، فلا تخفى بعد ذلك على الحكومة خافية من أحوال رعاياها المخلصين.

ولو كان للبلاد جرائد حرة المنزع تُسمع الحكومة أنين الأهالي وتشرح لها ما يقاسونه من آلام الضيق والحيف، لما وقع طرف مهم من البلاد في حمأة الثورة التي أكرر لمجادتكم القول ـــ ثانيا ـــ بأن السبب الوحيد فيها هو جور الولاة وعتوهم.

ومن المسائل المهمة التي لا يحسن غض الطرف عنها مسألة القضاء والفتوى، وهما في الشريعة الإسلامية من الأهمية بمكان، بالغت الشريعة في وضع الشروط والقيود لارتداء الشخص بتلك الحلة الفاخرة، ومن أهم تلك الشروط العدل في الأحكام والتنزه عن الرذائل وسفاسف الأمور.

وبعد أن كانت تلك الولاية السامية لا يتوصل للتربع فوق منصتها إلا من أهلته معارفه ودينه، أصبحت اليوم مبذولة لكل خاطب كفؤ كان أو غيره، فشوه بعض من لا أخلاق لهم وجهها الجميل، وكانوا بعلمهم الذي تبعد منه الشريعة بمراحل، سبة على الإسلام وسببا في نفور كثيرين ممن يجهلون حقيقة سر أحكامه.

إنني أعرف أن وقوف رجال فرنسا أمام هذه المسألة كوقوفهم أمام كل مسألة دينية، فذنب القضاة محمول على كاهل العدلية الإسلامية التي أفرطت كل الإفراط في ولاية غير الأكفاء، وإننا نفضل أن تتداخل الدولة الحامية في أمثال هذه المسائل الحيوية، وأن لا تكل أمورها لمن لا يحسن تدبير أمور معاشه فضلا عن تدبير أمثال هذه الأمور العظيمة، هذا ما يتعلق بالقضاء أومأت لحالته المحزنة بغاية الإيجاز، تاركا تفاصيله للمشاهدة المحسوسة.

أما الفتوى فقد أصبحت نقطة سوداء في جبين الشريعة، ولم يبق لها معنى إلا ابتزاز الأموال وتحريف النصوص الشرعية تبعا للأغراض والشهوات، زيادة عن كون الوظيف الذي كان يقوم به المفتي وهو مراقبة أحكام القضاة، قد نصبت له الحكومة مجلس الاستيناف الأعلا، فلم يبق إلا القضاء على جرثومة داء الفتوى الفتاك، وبذلك ينجو من مخالب المفتين مئات الأيامى وألوف الضّعفاء، وتتوفر على الأمة أموال كانت تصرفها على هؤلاء المفتين دون طائل، وقد تنبه غير واحد من ملوك المغرب الأقدمين إلى مفاسدهم فكانوا تارة يحصرون أفرادهم في عدد معين، وأخرى يقضون عليهم بالكلية كما فعل السلطان مولانا سليمان.

ومنها توسيع نطاق المجالس البلدية، والسعي في أن يكون الرجال المنتخبون للذب عن المصالح أكفاء للقيام بما طوقوا به عارفين بالنافع والضار، أما الطريقة التي يسير عليها الانتخاب الآن فلا تأتي بالنتيجة المقصودة، ضرورة أن المنتخبين بالكسر لم تراع فيهم الشروط اللازمة، فقد شاهدت بعيني ــ ياجلالة المقيم ــ أناسا عديدين دعوا للانتخاب وهم أميون لا يحسنون رقم أسمائهم، والكثيرون منهم ينيبون غيرهم في التصويت، وهذا من أقبح ما يرى ويسمع، أعضاء منتخبوهم بهذه الصفة ربما خانتهم صفتهم عن تمثيل رغائب الأمة وهذا الذي أومأت إليه دون ما يقع من التلاعب من بعض أفراد لا ذمة لهم ساعة الانتخاب، من تكليف هذا بانتخاب فلان، واغراء ذلك بالتصويت لآخر، والتحزب ضد بعض الأعضاء الذين يدافعون عن الحقوق بكل نزاهة وصراحة، وتنبيه المنتخبين إلى عدم تجديد ثقتهم بهم، إلى غير هذا مما كان يراه الإنسان ولا يقدر أن يفوه في شأنه بكلمة انتقاد.

وإنني أحمد الله على هذه الساعة التي أمكن لقلمي أن يصور فيها تلك الحالة لممثل الدولة الحامية التي هي من ألد الأعداء لكل متهاون بالقوانين ومتلاعب بالنظام، ولو لم يكن من محاسن أيام المسيو ستيغ إلا هذه المأثرة لكفت.

وكل ما قلته في شأن المجالس البلدية أقوله في شأن المجلس الشوري الأعلا بالنسبة لأعضائه الوطنيين.

إن هذا المجلس الذي تجري فيه أمور هامة تتعلق بالوطنيين وغيرهم ينبغي أن يكون أعضاؤه في غاية التيقظ والنباهة، وممن حنكتهم التجارب واشتهروا بين الأمة

بأعمال تؤهلهم لتمثيلها والذب عن رغائبها، ورجال كهؤلاء يخدمون أمتهم وحكومتهم في آن واحد، أما إذا كانوا بعكس هذه الصفة فضررهم عائد على الشعب وعلى حكومته كذلك : يضرون الشعب من حيث كتم رغائبه التي لا يجدون لسانا بليغا يعبر عنها، ويضرون الحكومة بخطاهم في تطوير آمال الأمة التي تبني أحكامها عليه.

ومادام النبغاء في المغرب الذين يشرحون آمال الأمة وآلامها قليلين، فالواجب على الحكومة أن تنتقي الأمثل فالأمثل، إلى أن تخرج لعالم الكفاءة رجالا بكل معنى الكلمة.

ومنها عدم الاقتصاد في بعض المصارف التي ربما لم تكن البلاد مفتقرة إليها، فينشأ عن ذلك تبذير أموال عظيمة كان الأليق أن تصرف فيما هو أهم، ومن ذلك تشييد الصروح الشامخة لبعض المصالح الإدارية التي لا تناسب حالة البلاد المالية، ومضاعفة جيوش الموظفين الذين يستحوذن على معظم مداخل الميزانية، مع ظهور أن النصف منهم ربما كان فوق الكفاية، سيما في هذا الوقت العسير الذي لا تقدر الأمة فيه على تحمل ضرائب جديدة باهظة، لما تجلى على العالم من أزمة الصرف وارتفاع الأسعار ارتفاعا باهظا ضر بالفقير، وضعضع ركن مالية الغني الكبير.

ورجل ناقد بصير كحبيب الأمة المسيو ستيغ، لا يجهل ما تصير إليه حالة البلاد إذا حملت من الجبايا فوق مقدرتها وطاقتها، وصرف معظم ما يجبى منها على فئة كان عليها أن تضرب في الأرض ملتمسة رزق الله، لا أن نكون عالة على الأمة.

قد انقضت أيام الفخفخة كما عبر عنها جنابكم في إحدى خطبه، وحان وقت الجد والعمل، وإن الأمة من أكبر كبير إلى أصغر صغير معلقة على وجودكم آمالا عظيمة، فنسأل الله أن لا يخيب ظنونها وآمالها.

ومنها إصلاح السجون، لا يعزب عن فكرك السليم أن الأمم المتمدنة لا تنظر اليوم إلى الأشقياء — الذين قضى عليهم سوء الطالع أن يكونوا أحلاس السجون — بالعين التي كان ينظر لهم بها وقت أن كان السجين يوثر سكنى القبور على تلك السجون التي هي أشبه بالكهوف والمغارات.

ومهما ازدادت الأمم تقدما في سبل الحضارة إلا وازدادت عنايتها بالسجون، وفي مقدمة تلك الأمم الأمة الإفرنسية النبيلة التي قامت صروح حريتها على أنقاض حصن الباستيل.

إن حالة السجون يا جلالة المقيم وإن تحسنت حالتها بعد الحماية نوعا ما، إلا أنها مع ذلك لا تناسب ترقيات هذا العصر، فمآكل من بها يرثى لها، ورثاثة ملابسهم وفرشهم يؤسف لها غاية الأسف، أما القسوة التي يتخذها ضدهم الموكلون بهم فحدث عن بلوغها النهاية ولا حرج، حكى لي من أثق به أنه ذهب لمشاهدة قريب له بسجن عين مومن فمنع من التمتع بمشاهدته أياما عديدة، ولما أعيته الحيلة جثا على ركبتيه أمام بعض موظفي ذلك السجن وأرخى العنان لعبرته، فكان جواب ذلك الموظف أن قال له ما أخالك إلا مجنونا، أتظن أن من يساق إلى هذا السجن يبقى له أو لأهله أمل في حياته، اذهب لحال سبيلك وعده — من الآن — في صف الأموات.

ومنها اقرار الحكومة الحامية لبعض العوائد التي كانت جارية في البلاد مع اصطحاب الشرع والعقل على استقباحها واستنكارها، ولم يكن لها من سبب إلا قبض اليد الجائرة على مخانق العباد.

وذلك كمسألة التأديب بالضرب في محاكم الباشوات والقواد بمرأى من الجمهور.

إن هذه المسألة التي وقع إبطال العمل بها في كل الأقطار لم يزل العمل جاريا بها في هذه العاصمة الفاسية، التي لا يأمن الإنسان فيها على نفسه من تلك الأشنوعة بأدنى تهمة وجهت عليه.

وبمجرد أن تسمع سعادتكم ما أمليه عليها مما شاهدته بعيني تعلمون مبلغ السبة التي ستبقى عالقة بهذه المدينة الفيحاء.

كنت في احدى الأيام بمحكمة الباشا فأتى إليه بامرأة اتهمت بسرقة، وبعد استنطاقها أنكرت ما اتهمت به فما كان من سعادة الباشا إلا أن أمر بضربها بالسياط على أشنع حالة أمام جماهير الخلائق، وأثناء العملية أتت المصادفة بسائح انجليزي وقرينته لتلك المحكمة، وما وقع بصرهما على تلك المرأة الصريعة حتى

كادا أن يغمى عليهما وأبرقا وأرعدا ثم خرجا ساخطين شاتمين، ولما سألت الترجمان الذي كان معهما عن أفظع ما نطقا به حالة غيظهما أجابني بأن السيدة قالت لقرينها في سياق استهجانها لما رأته : لا أعلم ــ الآن ــ بقعة من الأرض مهما بلغ توحش أهلها يجري فيها مثل ما رأينا وقوعه بأعيننا في عاصمة اشتهر أهلها من قديم بمثافنتهم للحضارة، وأشنع من ذلك وقوع هذا الأمر الفظيع في عصر الحماية الإفرنسية التي محت كثيرا من المظالم الجارية بهذه البلاد، ثم غيرت لهجتها وقالت له بصيغة المتهكم : إننا لو أصحبنا معنا آلتنا الفوتوغرافية وخلدنا صورة هذا المنظر البهيج لكان أجمل تحفة نقدمها لأصدقائنا ومواطنينا الأعزاء.

ولا يخفى على جنابك الكريم أن نشر أمثال هذا بالبلاد الأجنبية مخل بشرف هذه المدينة ومخل بالسياسة الحميدة التي تريد الجمهورية الافرنسية أن تسير عليها في هذه البلاد.

ومنها احتقار بعض صغار الموظفين الافرنسيين للأهالي ومخاطبتهم لهم بأقبح صيغ الشتم والسباب، والحق أقول أن غالب ما يقع هو من صغار الموظفين الذين ليس معهم من العلم ما يؤدبهم ويهذب أخلاقهم، وذلك كتراجمة بعض الإدارات وكعملة البوسطات وسماسرة بعض شركات النقل ومن هم على شاكلتهم، والأهلي البسيط لا يفرق بين مراتب من أهانه ويرى أن الإهانة إنما لحقته مں صفة كونه وطنيا مسلما.

شاهدت ياسعادة المقيم، حوادث من نوع احتقار الأهالي لا تدخل تحت العد، وإنني أمثل لك باثنتين منها : الأولى كنت في بعض الأيام بإدارة الأحواز وهي غاصة برجال البوادي، وهناك ضابط مترجم صغير السن والرتبة هو المتولي لفصل القضايا المهمة بمحضر القواد، فلم يقع بصري عليه إلا سابّا شاتما قادحا مهينا للوجوه والأعيان ساخرا بهم، وكان يؤديه الحال ساعة بعد أخرى لصفع هذا ولكم ذاك أمام تلك الجماهير من الناس، ولا يخفى على جنابك الكريم ما يثير ذلك من الأحقاد في النفوس، الثانية : دخلت يوما لبريد هذه المدينة بقصد شراء طوابع بوسطية، فوقفت أمام الموظف المكلف بذلك وطلبت منه ما أردت، فاستغرق في الحديث مع بعض رفاقه ساعة كانا في أثنائها يلمحاني بأعينهما ساخرين، ولما ضقت ذرعا من تلك المعاملة المشينة خاطبته بلهجة تَشفّ عن الاستياء، فهز كتفيه

وأشاح بوجهه وقال لي لابد أن تقف ربع ساعة أخرى جزاء لك على تأففك، فبقيت سجينا لهذا العامل الصغير حتى انتهت المدة التي حددها لإيقافي على التدقيق، وذهبت لحال سبيلي وأنا أستمطر اللعنة على الحاجة التي أوقفتني أمام ذلك العامل بصفة الذليل المهين.

إنه من السهل على الحكومة أن ترشد موظفيها إلى حسن معاملة الأهالي بإصدار إنذار عام لهم، وبجعل كناش بكل إدارة لتقييد الشكاية بكل موظف تجاوز حدود وظيفته وأساء معاملة أخيه الوطني، وبذلك يرتدع الموظفون عن غيهم وتذهب الأسخام والحفائظ من الصدور.

ومنها التلاعب الواقع ببعض المستشفيات من مقابلة المرضى بما لا يليق بحالتهم من سوء الأخلاق ولاسيما الفقراء منهم، ومن مطالبة بعضهم بأداء ثمن الأدوية الذي لم يسمع أغرب منه، إذ مصارف المستشفيات هي أول ما يرقم في ميزانية البلديات، أما عيادة المرضى في بيوتهم فالضريبة الموظفة عليها ليس لها حد تقف عنده، بل ذلك تابع لتقدير الأطباء أنفسهم الذين يعتمدون في تقديراتهم على حرز مالية الشخص المريض.

ومما يقع بالمستشفيات هتك حرمات من يفد عليها من النسوة الصينات، بمغازلة بعض خدمتها من شبان الأهالي الطائشين وتكشفهم عن محارمهم التي لا تبيحها لهم شريعة البلاد، وقد أصبح جل النسوة اللائي يذهبن للمستشفيات يحسبن في عداد الساقطات، ولا أسهل من رتق هذا الفتق بأن يخصص بكل مستشفى سيدات فرنسيات تقف مع رئيس المستشفى ساعة مباشرته للعمل بقسم النساء، بدلا من الشبان الذين لم يربوا على الحشمة وحفظ ناموس الأدب والمروءة.

هذه ـــ ياجلالة المقيم ـــ نبذ من أدواء المغرب التي يشكوها لطبيبه أومأتُ إلى بيانها بغاية الايجاز، إذ تفاصيله تحتاج إلى تقارير واسعة الأطراف ضافية الذيول، لم أتخير لها معنى رقيقا ولا انتقيت لها جملا بليغة، بل خطتها يراعتي طبق ما أملاه عليّ الوجدان، وإن الأمة المغربية لمرتقبة بفارغ صبر ما ستسنّونه من النظامات العادلة لمستقبلها، واضعة فيكم من الثقة ما لم يحرز عليه ممثل من ممثلي فرنسا.

وكان من أجلى الأدلة لهم على حسن نواياك، ارتداؤك برداء البساطة في سائر

شئونك وتباعدك عن الظهور بمظاهر الفخفخة التي يتحاشاها عظماء الرجال.

أرجو من جنابك الفخيم أن تمعن النظر في خطابي هذا، الذي أشهد الله على أنني لم أتخط فيه جادة الحقيقة، وأن تجري الأبحاث اللازمة عن كل جزءية من الجزءيات التي تضمنها، لتتضح لك الحقيقة، وتعلم أن الأمة كان مضروبا بينها وبين المفاهمة مع ممثل الدولة الحامية لها بسور من حديد.

وهاأنا أنتظر جوابكم الممتع، لأرقص فرحا وسرورا إذا تبين لي من ثنايا سطوره أن خطابي صادف منكم قبولا حسنا، ووقع منكم موقعا جميلا، وتقبل في الختام فائق احترام المحب المخلص : أحمد بن مَحمد التميشي.

دراسات وعروض ببليوغرافية

المصادر العربية لتاريخ المغرب

محمد المنوني
كلية الآداب — الرباط

المحاضرة الثالثة والعشرون
المصادر التاريخية
المدونة في العصر العلوي الخامس
1349 - 1376 / 1930 - 1956

المرحلة الثانية

القسم الثاني

نقط المحاضرة (تابع) :
المذكرات.
الأنساب.
الرحلات.
تاريخ الأدب العربي.
تاريخ العلوم.
فهارس الخزانات.

م — المذكـرات :

1723 — «مذكرات العلوي» : الطيب بن أحمد المدغري المكناسي نزيل فاس، ت 1383/1964.

مذكرات مطولة مهد لها بالإلمام بواقع المغرب بعد حربي ايسلي وتطوان، مع إشارة إلى البعثات الحسنية ومصيرها، إلى ما تخلل ذلك من أزمات داخلية : سياسية واقتصادية واجتماعية، ملاحظا تصاعدها بعد وفاة الوزير احماد حتى أفضى ذلك إلى اعتداء فرنسا على الصحراء : الشرقية والغربية واقتطاع توات وموريطانيا من المغرب.

وبعد إشارة وجيزة لسير التعليم الإسلامي بالأرياف المغربية وفاس، تخلص المؤلف للحديث عن بداية مساهمته في العمل الوطني حوالي 1925، وما عانى في ذلك بالأطلس المتوسط من سجن وارهاق ونفي، مبرزا ما كان للحرب الريفية والظهير البربري من نتائج لصالح الوعي الوطني.

تلك خلاصة وجيزة للصفحات المختارة من هذه المذكرات، وقد نشرت في مجلة «الموقف» بالعدد الرابع المؤرخ في ربيع الثاني 1408/ دجنبر 1987، ونص المذكرات ـــ كاملا ـــ لايزال مخطوطا في حوزة ابني المؤلف الأستاذين رشيد وأحمد.

1724 ـــ «**الإلغيات**»: تأليف رضا الله محمد المختار السوسي، س.ذ.ق 1619.

شبه سيرة ذاتية كتبها أيام نفيه في بسيط «إليغ» بسوس، وبذلك بدأها بتسجيل انطباعاته عن حياته في فترة منفاه سنوات 1355 ـــ 1364هـ، وخلال ذلك كان المؤلف قد وصل إلى قمة الأربعين من عمره، فانتقل يدون محطات حياته من ولادته إلى مراحل تعلمه الأولي، فمأخذه للعلوم، فطور الأستاذية... 213/2 ـــ 232.

ثم طغى على الجزء الثالث أدبيات المؤلف شعرها ونثرها : منه وإليه، فضلا عن تدوين جملة من محاوراته مع ثلة من أدباء سوس في مواضيع منوعة.

وبذلك جاء هذا العمل ـــ حسب ملاحظة المؤلف ـــ شبه مذكرات من ناحية، وشبه مجموعة أدبية من ناحية أخرى.

مطبعة النجاح ـــ الدار البيضاء 1382 ـــ 1383/ 1963، في ثلاثة أجزاء من حجم متوسط : 256 × 240 × 233ص نصا وفهرسة.

استخدمت «الإلغيات» الطالبتان سعد الله فاطمة وأدّ لفقيه وفاء في بحث لنيل

الإجازة في اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بمراكش، بعنوان «الإلغيات دراسة وفهرسة» تحت إشراف د. حسن جلاب : 162 ص مرقونة في حجم كبير.

1725 ــ «**مذكرات الطريس**» : عبد الخالق بن أحمد بن محمد بن العربي التطواني، ت 1970/1390.

والقصد إلى مذكراته الخاصة بالحركة الوطنية : 1923 إلى 1956 : البعض منها بربائد عبد الخالق الطريس، والبعض الآخر في خزانة الأستاذ محمد ابن عزوز حكيم، وقد نشر منها قسمان :

الأول : بعنوان «يوميات زعيم الوحدة»، ويستوعب 11 سنة. 1923 ــ 1933 : موزعة بين جزئين، وهما منشوران بتحقيق الأستاذ محمد ابن عزوز حكيم، وقد أثراهما بهوامش مركزة، ورسوم للشخصيات والأماكن، مع نماذج من خط صاحب المذكرات وخطوط أخرى.

الجزء الأول سنوات 1923 ــ 1932، مطبعة الساحل ــ الرباط 1989 : 329ص.

والجزء الثاني سنة 1933 ــ 1939 خال من اسم المطبعة : 337ص عدا الملاحق، والجزءان في قطع متوسط.

القسم الثاني بعنوان «من مذكرات الزعيم» : الجزء الأول الخاص برحلة الوفد الوطني إلى مدريد سنة 1934 لتقديم مطالب الأمة بالمنطقة الخليفية.

نفس المطبعة والمحقق والحجم : 100ص.

1726 ــ **الزاوية** : من تأليف التهامي الوزاني، س.ذ.ق 1617.

مذكرات كتبها ــ بالأساس ــ عن تطلعاته الصوفية، إلى أن انتهى به المطاف إلى الزاوية الحراقية بتطوان، فيوسع الحديث في التعريف بشيوخها ومريديها، وأشغالها وملازمته لها.

وإلى ذلك تتخلل المذكرات أنماط من ارتسامات المؤلف عن حياته التعلمية وعلاقاته مع عدد من أصدقائه، ثم الأحداث التي عاصرها، وخصوصا وقائع احتلال اسبانيا لتطوان سنة 1913، إلى موضوعات أخرى منوعة.

لم تنشر المذكرات بكاملها، وصدر منها الجزء الأول عن مطبعة الريف بتطوان 1361/ 1942 : 215ص عدا فهرس التصويبات.

1727 ـــ **«مذكرات بوبية»** : أحمد بن الجيلالي بن علي الدكالي ثم الزموري القبلي، ت 1399/ 1978.

وهو يقول عن منهجيته في تدوينها : «وسأتبع في تسجيل هذه المذكرات طريقة سردها حسب الزمان والمكان، منذ نشأتي إلى وقتنا هذا الذي هو فاتح محرم الحرام 1398، موافق 12 دجنبر 1977.

كما يذكر عن توثيق عمله : «أنه توخى فيه ما عايشه شخصيا، أو سمعه من الأباء والأجداد والأصدقاء، يتحرى ـــ جهده ـــ البحث عن الحقيقة، ويمحص الروايات المتعددة فيأخذ منها ما هو صحيح الإسناد ثابت الأركان».

والمذكرات ـــ في معظمها ـــ ترجمة ذاتية دون فيها انطباعاته عن الفترة التي عايشها، أو التي سبقت حياته وعرفها عن طريق المسنين الموثقين، وبهذا تتناثر في المذكرات معلومات جمة عن حياة المؤلف وما عاصره أو سمعه من الأخبار عن منطقته وسواها، وبين ذلك حديثه عن حفظه للقرآن بمسقط رأسه، ثم رحلته لتلقي المبادىء في مدرسة بني مرعاز بجبل زرهون ووصفه للحياة التعلمية بها، وزيارته لبني عمار وقرية سيدي عبد الله الخياط، وعند ذكر رحلته لفاس يتوسع في ارتساماته عن شيوخه والمواد التي درسها عليهم بالقرويين وسواها.

وهو يبرز كيف واكبت إقامته بفاس نشاط «كتلة العمل الوطني» ونشر الحركة الوطنية بزمور، مع إشارته لأصداء النشاط الوطني بسوريا وفلسطين عن طريق الصحافة العربية، وكذلك الحرب الريفية. وإلى هذا تتصدر المذكرات نظرات عن تاريخ قبائل زمور وأنظمتها، استنادا إلى بعض المصادر أو إلى مشاهدات المؤلف والروايات الشفوية.

كما يبرز الأعمال البطولية بالمنطقة ضد الغزو الفرنسي، فيذكر المجاهدين وأعمالهم، ويسمي أبطالهم وزعماءهم، وخلال ذلك يشير إلى روائع الكفاح خارج زمور : بالأطلس المتوسط والكبير والصغير.

ومن جهة أخرى يهتم كاتب المذكرات بإرجاع عدد من الأسماء الأمازيغية إلى

أصولها أو مرادفاتها، ومن نماذج ذلك هذه اللقطات حسب تعابيره : «ولعل الاسم الذي يتقارب مع لغة تامازيغت هي كلمة زناگة لا صنهاجة، فكلمة صنهاجة معربة كلمة زناگة».

جراوة سكان تادلا يعرفون اليوم بآيت ويرّة، أي آل «الجراوي».

«اسم زانا الزناتي محرف عن أجانا».

«زواوة يقال لهم ــ أيضا ــ زواغة أو زواگة».

وقفت ارتسامات المذكرات عند آخر سنة 1936، ويقع الموجود منها في سفرين بخط المؤلف، وهو يميل إلى الوضع المشرقي مع دقة وادماج، ويتسلسل ترقيم السفرين إلى 610ص من حجم كبير، حيث يحتفظ بهما ابن المؤلف الأستاذ فوزي.

1728 ــ «**مذكرات الخطيب**» : محمد العربي بن أحمد بن محمد التطواني، من ذرية الشيخ أبي يعقوب الزّهيلي البادسي، ت 1400/ 1980.

تتسلسل فيها معلومات عن حياته في الكُتّاب، ومنه إلى مرحلة تعلمه بتطوان وفاس والقاهرة، إلى أن دخل لمعترك التجارة والتوظيف والصحافة، ولظروف سياسية غادر تطوان إلى جنوب المغرب، فاستقر في قصبة ابن أحمد بالشاوية ثم الدارالبيضاء، ومن طنجة سافر للحج عام 1350/ 1932، فاتصل في مصر بأستاذه الشيخ محمد رشيد رضا، وبعد قضاء الحج والزيارة انتقل للشام وزار «مدرسة النجاح» بنابلس، وقام بجولة في فلسطين وسوريا.

وقد تخلل هذه العروض انطباعات المؤلف عن شيوخه بتطوان وفاس والقاهرة، وعن بعض رفقائه التطوانيين بالقرويين، ثم عن اتصاله الأول بالشيخ محمد رشيد رضا، ودراسته في مدرسته التي أسسها في القاهرة باسم «دار الدعوة والارشاد»، بعدما كان انتسب للأزهر وسكن في رواق المغاربة، إضافة إلى خواطره عن الحج والزيارة، وعن الشيوخ الذين اتصل بهم بمجال شياخته في المشرق العربي.

تلك لمحات من موضوعات هذا العمل، اقتباسا مما نقله عنه ابن مؤلفه : الأستاذ الباحث اسماعيل الخطيب، خلال الترجمة المركزة التي كتبها لوالده، حيث يحتفظ بالنسخة الكاملة من هذه المذكرات.

1728/2 ـــ «**هذه مذكراتي**»، عمل الجراري : عبد الله بن العباس، س.ذ.ق 1671.

مذكرات كتب منها ـــ حسب ترجمته ـــ جزءين : الأول من ولادته إلى سنة 1944، والثاني : إلى سنة 1950.

منها نسخة مرقونة في خزانة المؤلف بالرباط.

1729 ـــ «**على رأس الأربعين**» عنوان المذكرات التي كتبها محمد داود التطواني س.ذ.ق 1647.

دونها عن حياته إلى أن وصل سن الأربعين. لاتزال مخطوطة عند أسرته.

1730 ـــ «**المثاني والمثالث**»، اسم مذكرات محمد بن أبي بكر اشماعو السلوي القائم الحياة.

تتبع فيها تدوين الأحداث المغربية التي شاهدها أو سمعها ممن يوثق به، حسب «دليل مؤلف المغرب الأقصى» رقم 2223، مخطوطة عند مؤلفها في مجلدين.

ملاحظة :

هناك مذكرات ذات موضوع موحد، وهي التي سبق عرضها في أمكنتها المناسبة من هذه المحاضرة عند أرقام : 1626، 1630، 1637، 1638، 1640.

ن ـــ الأنســـاب :

1731 ـــ «**تحفة الأكياس فيما غفل عنه صاحب كتاب زهر الآس في بيوتات فاس**» مؤلفه هو الكتاني : محمد بن عبد الكبير بن هاشم الحسني الإدريسي الفاسي، ت 1362/ 1943.

استدرك فيه من أسر فاس، ما بقي على والده في كتابه «زهر الآس» س.ذ.ق 1357. مخطوط في حوزة أسرة المؤلف.

1732 ـــ «**أنساب السوسيين**» تأليف رضا الله محمد المختار السوسي س.ذ.ق 1619.

يقع الموجود منه في دفتر محفوظ عند أسرته.

1733 ــ «**لمحة عن تاريخ تطوان وعائلاتها الأندلسية الأصل**»، تأليف جبّور عبد الرحيم بن العدي التطواني ت 197/139.

محاضرة منشورة بالمطبعة المهدية ــ تطوان 1948 : 27 ص في حجم صغير. مذيلة بترجمتها للإسبانية : 21 ص.

1734 ــ «**إزالة الالتباس عن قبائل سكان مدينة فاس**» لأبي خليل عبد السلام ابن سودة س.ذ.ق 1667.

تتبع فيها قبائل مدينة فاس بقسميها، القديمة وفاس الجديد، وبعد مقدمة موضوعية من خمسة أبحاث، انتهى إلى التعريف بأكثر من 2400 أسرة بين الباقي منها والمنقرضين، مصنفا لها حسب الترتيب المغربي للحروف الهجائية.

خ.س 10652 : جزءان مرقونان 254 × 197 ص في حجم فوق المتوسط.

1735 ــ ثم اختصوها باسم «قطف أزهار الآس من روض إزالة الالتباس»، وقدمه لمهرجان جامعة القرويين بمناسبة ذكراها المائة بعد الألف، فنشرت قطعة منها بالكتاب الذهبي لذكرى جامعة القرويين : ص 173 ــ 179.

أما الاختصار كاملا فقد أدرجه المؤلف في افتتاحية أصله «إزالة الالتباس».

1736 ــ «**عائلات تطوان**» لمحمد داود التطواني س.ذ.ق 1647.

حسب المؤلف فإنه أكمل منه نحو 600 ص تستوعب ما يزيد على 1200 عائلة أسهب في التعريف بها.

مخطوط عند أسرة المؤلف في جزءين.

1737 ــ اختصره مؤلفه في لائحة اقتصر فيها على أسماء الأسر، ورتبها على الحروف الأبجدية.

ثم نشرها بذيل كتابه «مختصر تاريخ تطوان س.ذ.ق 1648 : من الصفحة 329 إلى 339.

ص ـــ الـرحــلات :

أ) إلى المشرق العربي :

1738 ــ «**دليل الحج والسياحة**» تأليف الهواري : أحمد بن محمد الفاسي، نزيل الرباط ثم الدارالبيضاء، ت 1372/ 1953.

كما يدل العنوان أعلاه، فإن هذا الدليل يعتبر خطابا لكل من الحاج والسائح، فيرشد الحاج إلى أعمال وجهته نسكا وزيارة، ويعرف الفريقين بالأماكن التي يقصدونها، وبالاجراءات المنوعة التي يسيرون عليها، ملاحظا في ذلك ما يتجدد من الأنظمة الجديدة على مستوى التنقلات، وعند المبادلات النقدية، ويضيف التعريف بمختلف النفقات في مقابل الركوب وأثمنة الحاجيات.

وهو يقدم هذه المعلومات خلال مسار رحلته عام 1352/ 1934 إلى القاهرة والحرمين الشريفين وبيروت والقدس الشريف وسوريا واسطنبول وفرنسا، فيدرج ذلك خلال ارتساماته عن المناطق التي زارها.

مؤديا صياغة الرحلة في تعبير سهل، وموضحا بالرسوم للأشخاص والأماكن.

نشر دليل الحج والسياحة في سفر بالمطبعة الرسمية، الرباط 1354/ 1935، 315 ص عدا الإعلانات.

1739 ــ «**القول المستقصى عن الرحلة لبيت الله الحرام والمسجد الأقصى**» لمؤلف من فاس لم يذكر اسمه.

وقد حج عام 1352/ 1934، وزار في طريقه القاهرة فوصف جملة من معالمها، ومنها انتقل إلى جدة والحرمين الشريفين، فاستوعب ارتساماته عن كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبعد قضاء الحج والزيارة سافر إلى بيروت في طريقه إلى القدس الشريف، ومنه إلى دمشق، مسجلا انطباعاته عن هذه البقاع الشامية، وعن المدن التي مر بها في طريق عودته ــ بحرا ــ إلى المغرب.

منها مصورة خاصة تشتمل على 33 لوحة في قطع متوسط.

1740 ــ «**رحلة حجازية**» من تأليف أبي خليل عبد السلام ابن سودة س.ذ.ق 1667.

دون فيها ارتساماته عن الحرمين الشريفين في حجته عام 1970/1389، وتوسع في الحديث عن أسرار الحج إلى حدٍّ الإغراب في بعض الاستنتاجات.

لاتزال مخطوطة في سفر عند أسرة المؤلف.

ب) إلى فرنسا :

1741 ـــ **«بعثة الشبان المغاربة بفرنسا»** لأبي المواهب جعفر الناصري س.ذ.ق 1623.

سلسلة مقالات وصف فيها الرحلة الاستطلاعية إلى فرنسا في صيف 1922، وقد رشح لها عشرة من قدماء التلاميذ المغاربة بالمدارس العصرية من ثانويتي فاس والعدوتين، وكان كاتب هذه المقالات في جملتهم.

منشورة في جريدة «السعادة» على امتداد عدة أعداد منها أربعة كالتالي :

عدد الأربعاء 29 حجة 1340/ 23 أوت 1922.

عدد الجمعة 8 محرم 1341/ 1 شتنبر 1922.

عدد الاثنين 10 صفر 1341/ 2 أكتوبر 1922.

عدد الأربعاء 12 صفر 1341/ 4 أكتوبر 1922.

ج) إلى وجهات متعددة :

1742 ـــ **«تحركات إسلامية»** لكَنّون : عبد الله بن عبد الصمد بن التهامي الفاسي نزيل طنجة 1409/ 1989.

مجموعة مقالات وصف فيها تنقلاته إلى جهات إسلامية حسبما رسمها في العناوين التالية :

ـــ مشاهداتي في الحجاز : (1376/ 1957).

ـــ المؤتمر الإسلامي العام بمكة : (1384/ 1965).

ـــ رحلتنا إلى الاتحاد السوفياتي : (1388/ 1969).

ـــ من حديث الحج : (1388/ 1969).

ـــ المؤتمر الإسلامي الدولي بماليزيا : (1389/ 1969).

ـــ مؤتمر ممثلي الأديان في الاتحاد السوفياتي : (1389/ 1969).

ـــ زيارتي للجزائر : (1389/ 1969).
ـــ أيام في يوغوسلافيا : (1390/1970).
ـــ الملتقى السادس بالجزائر للتعرف على الفكر الإسلامي : (1392/ 1972).
ـــ المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة : (1395/ 1975).

نشر دار الطباعة الحديثة ـــ الدارالبيضاء دون تاريخ : 254 ص في حجم صغير.

د) في داخل المغرب :

1743 ـــ «**من الحمراء إلى إيليغ**» لرضا الله محمد المختار السوسي س.ذ.ق 1619.

رحلة كتبها ـــ عام 1354هـ ـــ عن سفرته من مراكش إلى بلدته إيليغ، وفيها وصف موسع لقبيلتَيْ حاحة وكسيمة وما إليهما، مخطوطة عند أسرة المؤلف في سفر.

1744 ـــ ولنفس المؤلف «**خلال جزولة**»، دون فيها انطباعاته عن أربع رحلات قام بها إلى بعض جهات سوس أعوام 1361 ـــ 1363هـ، وركز على ثلاث مناطق : تارودانت وما حولها، وأكادير وما إليه، وتزنيت وناحيتها، وبذلك نوّه ـــ إلى جانب هذه الجهات ـــ بمعالم أخرى بالمنطقة : قرى أكْلي، وتالبرجت وفونتي، وماسة، ومشهد ش وكّاك ورابطته، وأكْلو، وأكرار، وإيليغ، وتمدلت، وتامانارت، وفم الحصن، وأقا وطاطة، وسواها كثير.

فيصف الآثار المعمارية : القائمة وبقايا المندثرة، كما يعرف بالمساجد والمدارس والقائمين عليها، ويهتم ـــ أكثر ـــ بالخزانات العلمية، فيصف أعدادا كثيرة من مخطوطاتها في لوائح مستوعبة، فضلا عن مجموعة كبرى من تراجم النابهين : علماء ورؤساء، إلى أحاديث عن المستويات الأدبية المحلية.

المطبعة المهدية ـــ تطوان دون تاريخ، وصدرت في أربعة أجزاء 123 × 260 × 217 × 203 ص عدا الفهارس.

1745 ـــ «**الرحلة الفاسية**» لأبي المواهب جعفر الناصري س.ذ.ق 1623.

دون فيها ارتساماته عن مدينتي فاس ومكناس لما زارهما في بعثة طلابية.

نشرت بعض فصولها في جريدة «السعادة»، حسب «دليل مؤرخ المغرب الأقصى» رقم 1567.

وللمؤلف الجراري : عبد الله بن العباس جملة رحلات صغرى، نستعير الإشارة لها من ترجمته.

1746 ـــ «**عشرة أيام في مراكش**» : جمادى الثانية : 1353/ 1934.

1747 ـــ «**نزهة الاقتباس من خمسة أيام في فاس**» : محرم 1354/ 1935.

1748 ـــ «**قرة العيون من سبعة أيام في مكناسة الزيتون وجارتها زرهون**» : ربيع الثاني 1355/ 1936.

1749 ـــ «**الرحلة السطاطية**» : جمادى الثانية 1357.

1750 .ـ «**جولة في وجدة**» : جمادى الثانية 1358/ 1939.

1751 ـــ «**الرحلة الربيعية إلى عاصمة فاس العلمية**» : ربيع الأول 1362/ 1943.

الرحلات الست لاتزال مخطوطة في خزانة مؤلفها بالرباط.

1752 ـــ نذيل على الرحلات بكتاب «**دليل السائح في المغرب الأقصى**» تأليف محمد البزيوي س.ذ.ق 1615.

وصفه في «دليل مؤرخ المغرب الأقصى» عند رقم 1458 : «تكلم فيه على كيفية السياحة في جل المدن الشهيرة بالمغرب الأقصى، وعلى كيفية السير فيها، وعلى ما بكل واحدة من الآثار والمعاهد، يقع في نحو الخمسة كراريس، وفرغ منه سنة 1926 موافق 1345...».

نشر المؤلف فصلا منه في مجلة «الثقافة المغربية» الصادر بالرباط، عدد 2 من السنة 4 بتاريخ شعبان 1363/ غشت 1944، ص 374 ـــ 377.

غ ـــ تاريخ الأدب العربي :

1753 ـــ «**مترعات الكؤوس في بعض آثار لأدباء سوس**»، تأليف رضا الله محمد المختار السوسي س.ذ.ق 1619.

مجموعة كبرى حفلت بمختارات الآثار الشعرية والنثرية لطائفة من أدباء سوس، وهم الذين لم يرد ذكرهم ــ غالبا ــ في «المعسول»، فينطلق المؤلف ــ حسب منهجيته ــ من القرن 10هـ حتى عام 1352، دون أن يغفل الأدباء الأحياء الذين ذكر منهم 35 اسما ممن وجد تحت يده آثارهم، وبذلك جاءت هذه المدونة تختزن رصيدا مهما من أدبيات المنطقة، مع التعريف بأصحابها في تراجم مختصرة.

النسخة الرئيسية من «مترعات الكؤوس» لاتزال بخط مؤلفها عند أسرته، وتقع في ثلاثة أسفار تستوعب 624 ص من القطع المتوسط، حسب المخطوطة التي اطلع عليها ووصفها ــ لي مشكورا ــ ابن أخي المؤلف الأستاذ عبد الله الدرقاوي.

1754 ــ **«الأدب العربي في المغرب الأقصى»**، مؤلفه هو القباج : محمد بن العباس الرباطي، ت 1399/ 1979، أرخ فيه لنخبة من شعراء المغرب الأقصى المعاصرين، وتخير منهم 27 اسما موزعين بين ثلاث طبقات :

ــ الأدباء الشيوخ الذين يمثلون أدب الماضي بطلاوته وأغراضه.

ــ ثم طبقة المخضرمين، وهم الذين تضلعوا في الأدب القديم وأخذوا من الحديث، والقسمان يستوعبهما الجزء الأول في 16 ترجمة.

ــ أما الطبقة الثالثة فيمثلها شعراء الشباب، وقد تجاوبوا ــ إلى حد ــ مع التقدم الذي صار إليه عصرهم، وهؤلاء هم موضوع الجزء الثاني في 11 اسما.

والمؤلف يصدر مختارات كل شاعر بصورته إن عثر عليها، مع ترجمته من عمل المؤلف، وقليل منها بأقلام أصحابها.

وبهذا فإن كتاب «الأدب العربي في المغرب الأقصى» كان له السبق في تبريز أعداد ــ ولو أنهم قلة ــ من شعراء المغرب خلال النصف الأول من القرن 14هـ، وقد أعلن المؤلف في خاتمة الكتاب أنه سيذيله بجزء ثالث يضم طائفة أخرى ممن هم على شرطه، غير أن هذا الجزء لم يقدر له الظهور.

نشر ــ للمرة الأولى ــ في المطبعة الوطنية بالرباط 1347/ 1929 في جزءين من قطع دون المتوسط : 128 × 131 ص، وأعيد نشره بالتصوير 1400/

1979 في مطابع فضالة ـــ المحمدية، بمبادرة من وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية.

1755 ـــ **«شعراء المغرب الأقصى وأدباؤه المعاصرون»**، للأستاذ عبد الله الجراري س.ذ.ق 1671.

بدأ تأليفه سنة 1970 وخرج منه الجزء الأول، حيث استوعب فيه التعريف بواحد وعشرين شاعرا بين شيوخ وشباب : من القنيطرة وفاس والرباط وسلا وطنجة ووجدة ومراكش والعرائش وسوس، فيصدر ترجمة كل شاعر بمعلومات مختصرة عن حياته، ليعقب عليها بتقديم مختارات منوعة من شعره.

الجزء الأول ـــ الذي أنجزه المؤلف ـــ حققه الطالب سعيد الفاضلي، في رسالة جامعية د.د.ع : 143 ص في حجم عادي، كلية الآداب ـــ الرباط.

1756 ـــ **«النبوغ المغربي في الأدب العربي»** مؤلفه هو الأستاذ عبد الله كَنون س.د.ق 1741.

حدد المؤلف منهجية عمله عند افتتاحية الطبعة الأولى في هذه الفقرة : «هذا كتاب جمعنا فيه بين العلم والأدب والتاريخ والسياسة، ورمينا بذلك إلى تصوير الحياة الفكرية لوطننا المغرب وتطورها في العصور المختلفة، من لدن قدوم الفاتح الأول إلى قريب من وقتنا هذا».

ومن هنا نتبين أن الكتاب يؤرخ للأدب العربي بالمغرب في مدلوله الشامل للعلوم العربية وسواها، وينطلق المؤلف من العصور الأولى للفتح الإسلامي حتى يصل إلى قريب من عصر التأليف، فيقدم عن هذه الفترة المديدة نبذا مركزة من تاريخها وأعلامها، مع مختارات موسعة من النصوص منثورها وموزونها : فصحا وزجلا : فضلا عن تأطير ذلك بأبواب وفصول تدرس الحياة الفكرية في مختلف عصورها واتجاهاتها، على أن تاريخ الأدب بمفهومه المتداول يطغى على مواضيع الكتاب، وخصوصا عند قسم النصوص نثرها وشعرها.

تعددت طبعات «النبوغ المغربي»، وصدر للمرة الأولى عن المطبعة المهدية بتطوان 1356/ 1937 في جزئين متوسطين : الأول للدراسة، والثاني للنصوص، ومن هذه كانت ترجمته إلى الإسبانية. الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة 1961، بمبادرة

دار الكتاب اللبناني ــ بيروت، وصدرت في ثلاثة أجزاء : الأول للدراسة والثاني للنصوص النثرية، والثالث : قسم المنظوم، الطبعة الثالثة صدرت عن نفس الدار سنة 1975 في مجلد يجمع الأجزاء الثلاثة، وبها زيادات، الطبعة الرابعة : صدرت وشيكا في مجلد غفل من التاريخ واسم المطبعة، ويتخللها بتر في الجزء الثالث.

1757 ــ ولنفس المؤلف «ذكريات مشاهير رجال المغرب»، وتعتبر التكملة الأولى لكتاب «النبوغ المغربي».

ويوضح المؤلف الغاية من هذه الذكريات ومنهجيته في تصنيفها : «... وذلك أن «النبوغ» كان كتابا جامعا ودراسة محيطة بالشاذة والفادة، وكان لكل فصل فيه مقدمات يراد منها الوصول إلى نتائج، فلم يتأت التوسع في باب فيه دون باب، وقد بقيت في النفس حاجات متعلقة بتراجم الأشخاص المذكورين فيه، خصوصا المشهورين منهم... على أننا لا نعد بكتابة تراجم علمية لهؤلاء الأشخاص قائمة على التحليل، ومستوفية للأغراض الواجبة في هذا الصدد، لأن المصادر تعوزنا كثيرا...

وقد نهجنا في كتابته منهاجا أدبيا بديعا، فأنت تقرأ الترجمة وكأنك تقرأ قصة مسلسلة الفصول...».

وقد ظهر من الذكريات أربعون كراسة طبع منها خمسة وعشرون بمبادرة معهد مولاي الحسن بتطوان، ثم قامت دار الكتاب اللبناني بنشر ما بقي منها إلى 40 جزءا مع إعادة نشر الأجزاء 25، ومجموعها تتنوع اتجاهات أصحابها بين أدباء وعلماء وساسة فهي ثلاثة أنماط يتكون من أجزائها سفر كبير بمثابة التكملة الأولى للنبوغ المغربي.

1758 ــ وللمؤلف ذاته «أحاديث عن الأدب المغربي الحديث»، محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية بالقاهرة، وقد تبينا ــ سلفا ــ أن «النبوغ المغربي» يقف به المؤلف إلى قريب من عصره، وبذلك فإن هذه المحاضرات، تعتبر ــ إلى حد ــ كتكملة ثانية للنبوغ المغربي إلى مبادىء الستينيات، غير أن المؤلف آثر في منهجيته أن يقدم الأدب في آثار أعلامه وليس الأدباء في آثارهم.

وهو يصدر عمله بمداخل يمهد بها إلى وظيفة المحاضرات : أدب فجر النهضة بالمغرب الأقصى، فأدب الجيل الجديد، ويتتبع ــ عبر المرحلتين ــ اتجاهات الأدباء على مستوى أغراض كل من النثر والشعر، وإلى تحليلها يتوسع في عرض النماذج حسب تنوعها.

دار الرائد للطباعة ــ القاهرة 1964 : 214 ص في قطع متوسط.

1759 ــ ونلحق هنا من آثار المؤلف المنوه به : «أمراؤنا الشعراء»، كتيب رصد فيه أشعار الأدباء من أمراء المغرب، انطلاقا من الإمام إدريس الثاني إلى السلطان الحفيظ، وطرزه بتعاليق تناسب موضوع الأطروفة المؤلفة برسم الخزانة الخليفية بتطوان.

المطبعة المهدية بتطوان دون تاريخ : 68 ص في حجم صغير.

1760 ــ **«دراسات في تاريخ الأدب العربي بالمغرب الأقصى»** للأستاذ محمد الفاسي س.ذ.ق 1624.

ويعتبر هذا العمل الباكورة الأولى للكتابة التاريخية بالمغرب في نسق المنهجية الغربية الحديثة، مما أفاده المؤلف من دراسته الجامعية بباريس، ولم تجمع هذه الأبحاث في كتاب وبقيت موزعة بين الصحف والمجلات، وهذا جرد لعناوينها مع الدوريات المنشورة بها :

أ) هل كان للمغاربة أدب في القرون الأولى بعد الفتح الإسلامي ؟

جريدة «المغرب» ــ سلا على امتداد خمسة أعداد :

1 ــ العدد الممتاز الأول رقم 312 ــ 23 دجنبر 1939 : ص 3.
2 ــ العدد الممتاز الثاني رقم 332 ــ 16 يناير 1940 : ص 3 والبقية ص 9.
3 ــ العدد الممتاز الثالث رقم 346 ــ 4 يبراير 1940 : ص 3.
4 ــ العدد الممتاز الرابع رقم 360 ــ 27 يبراير 1940 : ص 3.
5 ــ العدد الممتاز 9 رقم 433 ــ 15 يونيه 1940 : ص 3 والبقية ص 6.

ب) الآداب العربية بالمغرب الأقصى أيام المرابطين : عصر الفترة ــ عصر التأسيس.

نفس الجريدة في ستة أعداد.

6 ــ العدد الممتاز 10 رقم 586، فاتح يناير 1941، ص 7.
7 ــ العدد الممتاز 11 رقم 593 ــ 15 يناير 1941 : ص 2.
8 ــ العدد الممتاز 13 رقم 616 ــ 15 يبراير 1941 : ص 2.
9 ــ العدد الممتاز 14 رقم 626 ــ فاتح مارس 1941 : ص 2 والبقية ص 7.
10 ــ الانتاجات الأدبية الأولى : العدد الممتاز 15 رقم 637 ــ 15 مارس 1941 : ص 2 والبقية ص 7.
11 ــ مع العدد الممتاز 16 رقم 679 ــ 15 مايه 1941 : ص 2 والبقية ص 7.

ج) نشأة الدولة الموحدية ومميزات العصر الموحدي الأدبية، مع خمسة من رجال العصر الموحدي الأول :

«مجلة الثقافة المغربية» ــ سلا، في خمسة أعداد :

12 ــ النشأة والمميزات : العدد الأول ــ غشت 1941 : ص 9 ــ 14.
13 ــ القاضي عياض : العدد 3 ــ أكتوبر 1941 : ص 105 ــ 112.
14 ــ الشاعر الكبير ابن حبوس : العددان 4 ــ 5 «مزدوج» ــ نونبر، دجنبر 1941 : ص 153 ــ 162.
15 ــ ثلاثة من رجال العصر الموحدي الأول : العدد 6 ــ يناير 1942 : ص 211 ــ 218.

د) العصر الموحدي الثاني ورجاله الأولون :

16 ــ مدخل : نفس المجلة : العدد السابع، يبراير ــ مارس 1942 : ص 249 ــ 259.
17 ــ ابن الياسمين ــ أبو حفص بن عمر، مجلة «رسالة المغرب» في طورها الأول ــ الرباط، العدد الأول ــ فاتح أكتوبر 1942، ص 12 ــ 17.
18 ــ ابن الملجوم ــ عبد الجليل القصري، رسالة المغرب : العدد 3 ــ 15 نونبر 1942 : ص 9 ــ 11.
19 ــ الشاعر الكبير أبو العباس الجراوي، رسالة المغرب : العدد 5 ــ فاتح يناير 1943 : ص 11 ــ 13، مع العددين 7 ــ 8 من نفس المجلة.

2/19 ـــ شاعر الخلافة الموحدية أبو العباس الجراوي : «كتيب»، الرباط 1957.

20 ـــ المؤرخ عبد الواحد المراكشي، رسالة المغرب في طورها الثاني، الرباط، العدد الأول ـــ غشت 1947 : ص 11 ـــ 18، مع العدد الثاني من نفس المجلة.

2/20 ـــ عبد الواحد المراكشي من علماء بغداد : مجلة «البينة»، الرباط، العدد التاسع ـــ يناير 1963 : ص 12 ـــ 33.

هـ) العصر الموحدي الثالث :

21 ـــ ابن خبازة الخطابي، نفس المجلة : العدد 4 ـــ دجنبر 1947 : ص 221 ـــ 226.

22 ـــ ابن دحية الكلبي، نفس المجلة : العدد 10 ـــ يونيه 1948، ص 536 ـــ 546.

23 ـــ الشاعر ابن عبدون، رسالة المغرب في طورها الرابع، الرباط، العدد 136 ـــ يناير 1952 : ص 12 ـــ 15.

24 ـــ أبو الحسن الشاري وتأسيس أول مدرسة بالمغرب، نفس المجلة، العدد 138 ـــ مارس 1952 : ص 12 ـــ 20.

25 ـــ الفلكي الكبير أبو الحسن المراكشي، نفس المجلة، العدد 140 ـــ مايه 1952 : ص 10 ـــ 15.

26 ـــ أبو العباس ابن فرتون، نفس المجلة : العدد 142 ـــ يوليه 1952، ص 12 ـــ 17.

و) العصر المريني الأول :

27 ـــ مميزات العصر المريني الأدبية، مجلة التربية الوطنية، الرباط، العدد 4 ـــ يبراير ـــ مارس 1961 : ص 17 ـــ 25.

28 ـــ ابن البنا العددي المراكشي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد : المجلد 6، عدد 1 ـــ 2 «مزدوج»، 1958 : ص 1 ـــ 9.

29 ـــ المؤرخان ابن أبي زرع وابن عبد الحليم : تحقيق عن مؤلف كتاب القرطاس : «مجلة تطوان»، تطوان، العدد الخامس، سنة 1960 : ص 159 ـــ 164.

ف ـــ تاريخ العلوم :

تقديم : عرفت هذه الحقبة نماذج ـــ ولو أنها محدودة ـــ من تاريخ بعض العلوم، انطلاقا من محمد المهدي الحجوي، فيحيل على تأليف له بعنوان «الجغرافية وأطوارها»، حسب إشارة له في كتابه : «حياة الوزان الفاسي وآثاره» س.ذ.ق 1692، ثم عبد الملك بن عبد السلام فرج الفاسي، ت 1391/ 1971، وهو مؤلف «العلاقات الطبية بين المغرب والأندلس»، وهو منشور بالفرنسية.

1761 ـــ وهذا وسابقه جاءت الإشارة لهما تمهيداً للمصدر المتواجد بالعربية : «**تاريخ الطب العربي في عصور دول المغرب الأقصى**» لمحمد بن أحمد العبدي الكانوني، س.ذ.ق 1642.

تناول فيه تاريخ هذه المادة عبر الدول المنوه بها في العنوان، بدءا من الدولة الإدريسية وانتهاء عند عصر المؤلف أيام الدولة العلوية، وفي شبه إعلان كتبه المؤلف يقدم التعريف بعمله، فيذكر أنه افتتحه بمقدمة عن نشوء الطب في الأمة الإسلامية إلى أن بلغ درجة الازدهار، ثم يقسم نشاط الطب بالمغرب إلى أربعة أدوار :

ـــ دور التكوين، في القرون الأربعة الإسلامية الأولى.

ـــ دور الازدهار، في القرنين الخامس والسادس : عصر الدولتين المرابطية والموحدية، حيث دخلت الأندلس ضمن المغرب سياسيا.

ـــ عصر الوقوف والركود، في القرنين السابع والثامن : عصر الدولة المرينية.

ـــ دور الانحطاط في القرن التاسع فما بعده.

وفي تحليله لموضوعات الكتاب، يذكر الدولة وعنايتها بالحالة الصحية، وما شيدت من مستشفيات، وما لهذه من أنظمة ونظار وشهود وخدمة ومالية، ثم ما كان تحت نفوذ تلك الدولة من أطباء، وما لعظمائهم من مكتشفات ومخترعات، ومقدار تأثيرهم على الطب الأوربي.

وأخيرا، يذكر المؤلف أن كتابه يستوعب التراجم لنحو 150 طبيبا عربيا.

صارت مبيضة تاريخ الطب العربي إلى المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة، ومنها استُخرجت نسخة محفوظة في خزانة خاصة بالرباط، وبنفس المدينة نسخة أخرى خاصة، وقد تكون هذه هي التي أخرجها المؤلف.

ض ــ فهارس الخزانات :

أ) فهارس المخطوطات :

1762 ــ **«فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح»** : (المغرب الأقصى)، إعداد الأستاذين : ب.س. علّوشْ، محافظ القسم العربي بالخزانة العامة، والركراكي : عبد الله بن محمد بن الطيب الرباطي، محافظ الخزانة العامة أخيرا، ت 1398/ 1978.

سفران مرتبان على العناوين، ويستوعبان 2765 مخطوطا : السفر الأول : مطبوعات المكتبة الشرقية والأمريكية بباريس 1954، والسفر الثاني : مطبوعات إفريقية الشمالية الفنية بالرباط 1958 : 380 × 371 ص، عدا لائحتي المؤلفين والكتب آخر كل سفر، في قطع متوسط.

ملاحظة : يعتبر هذا العمل حلقة ثانية بعد فهرس برفنصال للمخطوطات الأولى بالخزانة العامة، س.ذ.ق 1607.

1763 ــ **«فهرس مخطوطات خزانة القرويين»** بفاس، إعداد محافظها الأستاذ محمد العابد الفاسي، س.ذ.ق 1664.

أربعة أسفار مرتبة على أسماء الكتب، وتستوعب 1727 رقما للمخطوطات المفردة والمجاميع.

السفر الأول : من منشورات دار الكتاب ــ الدارالبيضاء 1399/ 1979.

السفر الثاني : مطبعة افريقيا الشرق ــ الدارالبيضاء 1400/ 1980.

السفر الثالث : مطبعة النجاح الجديدة ــ الدارالبيضاء 1403/ 1983.

السفر الرابع : خال من اسم المطبعة 1409/ 1989 : 464 × 540 × 356 × 416 ص، في حجم متوسط.

السفر الأول مصدر بتقديم تعريفا بالمؤلف وخزانة القرويين : ص 5 ــ 34، والسفر الرابع مذيل بكشاف للمؤلفين : ص 395 ــ 416، والكل من عمل ناشر الفهرس ابن المؤلف : الأستاذ محمد الفاسي.

ب) لوائح المخطوطات :

1764 ــ «المخطوطات العربية في تطوان» للأستاذ عبد الله كَنُون س.ذ.ق. 1741.

«مجلة معهد المخطوطات العربية ــ القاهرة، المجلد الأول : الجزء الثاني : ص 170 ــ 189 سنة 1955.

نشرة ثانية لنفس اللائحة، ضمن مجموعة «خِلٌّ وَبَقْل» للمؤلف ذاته : ص 120 ــ 147.

1765 ــ ولنفس المؤلف «**أربع خزائن لأربعة علماء من القرن الثالث عشر هـ**»، والقصد إلى خزائن العلماء : أبي الربيع سليمان الحوات، وأبي حامد محمد العربي الزرهوني ثم الفاسي، وأبي العباس أحمد الوداني الشنقيطي نزيل فاس ومراكش، وأبي عبد الله محمد بن المدني كَنُون الفاسي، فيمهد البحث للموضوع بتقديم مركّز، ليتخلص منه إلى عرض اللوائح.

«مجلة معهد المخطوطات العربية» ــ القاهرة، المجلد التاسع : الجزء الأول : ص 47 ــ 105 سنة 1963.

1766 ــ «لائحة خزانة زاوية تنغملت»، بهنتيفة (إقليم أزيلال)، ومعظم محتوياتها لايزال مخطوطا.

مرقونة في كراسة تستوعب 799 رقما للكتب المفردة والمجاميع : 44 ص. منها نسخة ضمن مخطوطات الخزانة العامة بالرباط، على تصحيف يتخلل عملية رقنها.

1767 ــ «**لائحة المخطوطات والمطبوعات في خزانة المسجد الأعظم بوزان**».

في دفتر مخطوط يشتمل على 1195 رقما عدا المصاحف الكريمة : 171 ص، حسب إحصاء سابق بتاريخ النصف الأول من شعبان 1368/ 1947.

خ.ع 640 (فيلم) : عن دفتر اللائحة بخزانة وزان.

1768 ــ «**المخطوطات العربية المتعلقة بالطب في مكتبة الرباط**»، كتبها ــ بالفرنسية ــ المستشرق رونو، ت 1945م.

نشرة الجمعية الفرنسية لتاريخ الطب سنة 1923.

1769 ـــ ولنفس المؤلف بالفرنسية «تعريف بالمخطوطات العلمية» في خزانة الزاوية الحمزاوية.

«هسبيريس» : المجلد 17، 1934، الشهور الثلاثة الأولى : ابتداء من ص 76.

ج) فهارس المطبوعات :

1770 ـــ **«فهرس المطبوعات العربية»** في الخزانة العامة بالرباط.

كان تصميم هذا العمل، ينطلق من جمع محتويات البطائق المتفرقة لبعض المواد من مطبوعات الخزانة، ثم نشْرِها ـــ على حدة ـــ حسب بطائق المؤلفين، ولتنظيمها وزعت موضوعاتها بين تسعة أقسام، أولها : «قطاع التاريخ والتراجم والرحلات والجغرافية»، وهذا القسم هو الذي ظهر من هذه المبادرة.

صدر ـــ في عدد محدود ـــ مصور بالأوفسيط عن خط كاتبه المرحوم عبد الله الركراكي، س.ذ.ق 1762، سنة 1938م : 82 ص في حجم طويل خال من الترقيم المسلسل لأسماء المؤلفين.

1771 ـــ **«فهرس المكتبة العامة لمنطقة الحماية»** (المنطقة الخليفية)، تأليف ألفريد البستاني.

وهو خاص بالقسم العربي في المكتبة، وجاء تصنيفه مرتبا على ثلاثة أقسام، فيتوسع المؤلف ـــ قليلا ـــ عند فهرس العناوين، بينما يوجز في قسمي المواد والمؤلفين.

منشور في طنجة 1940 في حجم دون المتوسط : 224 ص دون صفحتي التقديم بالإسبانية.

1772 ـــ **«فهرس الخزانة الخليفية بمعهد مولاي الحسن»** (تطوان)، عمل محمد وهبي.

فهرس فيه لكتب الخزانة : العربية ثم الإسبانية، ورتب كلا من القسمين على المؤلفين فالمواد، مع إيجاز أكثر في التعريف بمحتويات القسم الثاني.

مطبعة الوحدة المغربية ـــ تطوان 1361/ 1942 : 318 ص للمؤلفات العربية، مع 66 ص للمؤلفات الإسبانية، في حجم دون المتوسط.

ملاحظة : لم تدرج هنا الفهارس واللوائح الصادرة بعد استقلال المغرب، رعيا لأن مجال هذه المحاضرة يقف عند سنة 1956، وبذلك فإن الأدلة المشار لها تعتبر من أعمال ما بعد 1956، مما يجعل مكانها عند المحاضرة 24 بإعانة الله سبحانه.

ق ــ أدلة المصادر :

1773 ــ «**دليل مؤرخ المغرب الأقصى**» للمؤرخ عبد السلام ابن سودة، س.ذ.ق 1667.

معلمة أبدعها المؤلف لرصد المصادر العربية التي تتصل بتاريخ المغرب، حتى انتهى بها إلى ما يناهز 2400 مصدرا ومرجعا، فأسدى بذلك خيرا عميما للباحثين في تاريخ المغرب : وطنيين وسواهم.

نشر ــ للمرة الأولى في جزء ــ بمبادرة معهد مولاي الحسن بتطوان 1369/ 1950، وكان يشتمل على 1900 مؤلفا ووثيقة.

ثم أعاد المؤلف مراجعته، وأضاف له زيادات ارتفع بها عدد محتوياته إلى 2364 رقما، وصدر عن دار الكتاب بالدارالبيضاء 1960 ــ 1965، في جزءين تسلسلت صفحاتهما إلى 632، في قطع صغير، ومن ميزات هذه الطبعة، تذييلها بكشافين استوعبا أسماء المؤلفات والمؤلفين.

1774 ــ نعقب على هذا المصدر بالإشارة إلى عملين موضوعيين وفي مجال محدود : «**لائحة بمصادر تاريخ سوس**»، بذيل «سوس العالمة» س.ذ.ق 1652 : ص 210 ــ 233.

1775 ــ ثم «**مؤلفات علماء غرب افريقيا في المكتبات المغربية**»، للشيخ محمد إبراهيم الكتاني، س.ذ.ق 1640.

مجلة «دعوة الحق» السنة 11 : العدد 1، ص 84 ــ 87، سنة 1967.

قائمة الأطروحات والرسائل الجامعية
المناقشة والمسجلة بكلية الآداب بالرباط
القسم الثامن لسنة 1992

إعداد : مصلحة النشر

نشرت مجلة الكلية الأقسام السابقة من هذه القائمة في الأعداد الماضية :

القسم الأول : العدد السابع : صفحات 289 – 305
القسم الثاني : العدد الثاني عشر : صفحات 221 – 241
القسم الثالث : العدد الثالث عشر : صفحات 291 – 307
القسم الرابع : العدد الرابع عشر : صفحات 231 – 249
القسم الخامس : العدد الخامس عشر : صفحات 239 – 274
القسم السادس : العدد السادس عشر : صفحات 253 – 273
القسم السابع : العدد السابع عشر : صفحات 167 – 193

وتنشر ضمن هذا العدد القسم الثامن الخاص بالرسائل والأطروحات لسنة 1992 وذلك حسب التصنيف التالي :

أولا : قائمة الرسائل والأطروحات التي وقعت مناقشتها لنيل :

1 ــ دكتوراة الدولة.

2 ــ دبلوم الدراسات العليا.

ثانيا : قائمة الأطروحات والرسائل المسجلة لنيل :

1 ــ دكتوراة الدولة.

2 ــ دبلوم الدراسات العليا.

وقد تم ترتيب هذه القائمة تبعا لتخصصات الشعب.

أولا : الأطروحات والرسائل التي نوقشت لنيل دكتوراة الدولة ودبلوم الدراسات العليا.

1) دكتوراة الدولة :

شعبة اللغة العربية وآدابها

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
أزمة الحداثة في الشعر العربي المعاصر.	المعداوي أحمد	أ. محمد بنشريفة	92/ 4/14
صورة المغرب في الرواية الإسبانية خلال عهد الحماية.	أنقار محمد	أ. محمد السرغيني	92/ 6/26
إيقاع الشعر العربي بين الثبات والتحول.	محمد أحمد وريث	أ. أحمد الطريسي	92/ 9/24
المختارات الشعرية وأجهزة تلقيحها عند العرب من خلال المفضّليات وحماسة أبي تمام.	بلمليح ادريس	أ. محمد مفتاح	92/11/20
جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب لأبي بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني ابن السراج المتوفى سنة 549هـ.	قرقزان محمد	أ. محمد بنشريفة	92/11/23
شعرية الخطاب في القصيدة المغربية (1936-1964).	الشليح المصطفى	أ. عباس الجراري	92/12/ 9

شعبة اللغة الفرنسية وآدابها

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
Aspects des représentations phonologiques dans certaines langues Chamito-Semitiques.	El Medlaoui Mohamed	Mr. François Dell	27/10/92
Retif et le théatre.	Harifi Naïma	Mr. Pierre Testud	30/10/92

شعبة التاريخ

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
Lignages aristocratiques Gascous (XIIe-XIIIe siècle) Essais de filiations et d'histoire sociale.	حمام محمد	أ. سرنار كيلمان	92/ 6/16
الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصر المرابطي بالمغرب.	غازي سعيد جراده	أ. محمد حجي	92/10/ 9

شعبة الدراسات الإسلامية

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء.	الروكي محمد	أ. فاروق حمادة	92/ 5/12
نظرية التقريب والتغليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية.	الريسوني أحمد	أ. فاروق حمادة	92/10/12
طبق الارطاب فيما اقتطفناه من مسانيد الأئمة وكتب	عبد الله ادريس	أ. محمد أمين	
مشاهير المالكية والإمام الحطاب تأليف محمد بن عبد الله بن اسماعيل الحسن العلوي (1171-1204هـ/ 1757م-1790م)، دراسة وتحقيق.	أبوبكر ميغا	السماعيلي	92/11/24

شعبة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الايديولوجيا أبعادها ووظائفها.	سبيلا محمد	أ. علي أومليل	92/ 2/21
مشكل الإنسان في فلسفة ابن باجة.	الوزاد محمد	أ. علي أومليل	92/ 2/22
إشكالية الإنسان في الفلسفة المعاصرة: بحث في أزمة النزعة الإنسانية.	الدواي عبد الرزاق	أ. علي أومليل	92/ 3/27

2) دبلوم الدراسات العليا :

شعبة اللغة العربية وآدابها

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
من شعراء المغرب الأقصى وأدبائه المعاصرين لعبد الله الجراري، تقديم وتحقيق.	الفاضلي سعيد	أ. علال الغازي	92/ 2/ 3
القول الفصل في اختلاف السبعة في الوقف والأصل لأبي زيد بن القاضي (ت 1082هـ)، دراسة وتحقيق.	نبولسي عبد الرحيم	أ. أحمد العلوي	92/ 2/11
النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين.	تاكفراست بشرى	أ. جعفر الكتاني	92/ 3/27
الفروسية والسيادة في شعر عوف بن عطية بن الجزع وبشر بن أبي حازم (دراسة تحليلية موثقة ومقارنة).	إسلم السبتي	أ. أحمد الطريسي	92/ 5/11
الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع لمحمد بن قاسم بن زاكور الفاسي، تقديم وتحقيق.	البداوي بشرى	أ. علال الغازي	92/ 5/13
الخطاب الروائي المغربي.	غانمي عبد الرحمن	أ. أحمد اليبوري	92/ 5/21

موضـــوع البحـــث	اسـم الباحـث	الأستاذ المشـرف	التاريـخ
ديوان الصبابة تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى بن أبي حجلة، دراسة وتحقيق.	مومن عبد الكبير	أ. عزة حسن	92/ 5/26
محمود أمين العالم وإشكالية النقد الأدبي الاجتماعي من الأربعينات إلى الثمانينات.	الحمداوي مصطفى	أ. أحمد الطريسي	92/ 5/29
تميم بن أبي مقبل حياته وشعره.	الرشيد عمر	أ. عزة حسن	92/ 6/17
الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الأخرى لمالك بن المرحل.	بنويس ربيعة	أ. علال الغازي	92/ 6/29
ديوان محمذن بن سيد أحمد (دراسة وتحقيق).	مريم بنت الشيخ	أ. علال الغازي	92/ 7/ 3
ظاهرة الغموض في الشعر المعاصر.	ناوري يوسف	أ. أحمد الطريسي	92/ 7/ 8
شعر التصوف في المغرب خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، دراسة تحليلية.	الفيلالي عبد الوهاب	أ. أحمد الطريسي	92/ 7/13
مرحلة النهضة في الشعر بين المشرق والمغرب (1930-1950).	المنصوري وفاء	أ. أحمد الطريسي	92/ 7/15
تقديم وتحقيق كتاب اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار لمولاي عبد السلام بن سيدي محمد بن عبد الله العلوي (1170هـ - 1227هـ).	الكحلي زهراء	أ. علال الغازي	92/ 7/16
تأثير اللغة العربية في لغات شبه القارة الهندية، نموذج اللغة البنغالية.	محمد أحسن الله هلال	أ. عبدالعلي الودغيري	92/ 9/28
المصطلح النقدي عند الحاتمي (دراسة وصفية تحليلية نقدية).	القاسمي محمد	أ. علال الغازي	92/10/13
خصائص صيغة (افتعل) النحوية والمعجمية.	حمائز حسن	أ. عبد القادر الفاسي الفهري	92/11/17
شعر أصحاب المراثي من خلال كتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحي دراسة تحليلية لشعرهم.	معتوق حميد	أ. جعفر الكتاني	92/11/25
الشعرية التوليدية حدود النظرية امكانيات التطبيق وآفاق التوسيع.	عثماني الميلود	أ. محمد برادة	92/12/ 8
البناء الفني لقصيدة المدح العرشية عند الشاعر محمد الحلوي.	الشتيوي زبيدة	أ. عباس الجراري	92/12/14
شعر محمد حامد بن آن، تحقيق وتقديم.	أحمد سالم ولد محمدو	أ. أحمد شوقي بنبين	92/12/15
شعر الحسن البونعماني (جمع وتحقيق ودراسة).	أفا الحسين	أ. علال الغازي	92/12/16
الشعراء المغمورون في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري.	زاهي محمد	أ. جعفر الكتاني	92/12/18
التصغير في اللغة العربية.	الخلوفي فاطمة	أ. عبدالقادر الفاسي الفهري	92/12/18

شعبة اللغة الفرنسية وآدابها

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
19/ 6/92	Mr.A. Boukous	Bennis Saïd	La formation du causatif en Arabe Marocain (Approche Prosodique).
23/ 6/92	Mr.A.Alaoui M'daghri	Zerouali Hayat	«Metaphore et Fiction dans du cote de chez Swarm de Marcel Proust».
23/ 6/92	Mr.A. Boukous	Abdourahmane Diallo	Etude de l'intégration morphologique et phonologique des emprunts linguistigues arabes en Pulaar de Guinée.
26/ 6/92	Mr.A.M'daghri et Mustapha Ben Cheiker	Belahbib Tlemçani Assia	L'espace dans topologie d'une Cité Fantome d'Alain Robbe Grillet et l'enfant de sable de Tahar Ben Jelloun.
30/ 6/92	Mr.A. Boukous	Mohamedoune Merne dit Doudou	Syllabe et Processus phonologiques en Pulaar (Parler de Boghé - Mauritanie).
6/ 7/92	Mr.A. Boukous	Fennich Bouchra	La formation du nom feminin en arabe marocain (Parler de Rabat) Approche prosodique.
7/ 7/92	Mr.A. Boukous	Mamadou Saliou Diallo	La suffixation verbale en Pulaar (Peul): Morphologie et Phonologie des suffixes verbaux dans le Pulaar du Fonta-Djallon (Guinée).
22/ 7/92	Mr. B. Meyer	Zellou Ilias	Poétique de l'analogie dans illusions perdues d'Honore de Balzac.

شعبة اللغة الانجليزية وآدابها

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
2/ 7/92	Mr. A. Kriem	Maarouf Mohamed	A study of the discourse of subversion in the tempest.
21/ 7/92	Mr. J. Saib	Idrissi Ali	Syllabicity and syllabification in Aït Seghrouchen tamazisght berber dialect of Marmoucha.
30/10/92	Mr. Mohamed Dehbi	Fathi Saïd	Politeness in the speech of Moroccan males and females.

شعبة اللغة الاسبانية وآدابها

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
30/ 4/92	Mr.C Poullain	Regala Amal	Galicia en los gozos y las sombras Gonzalo Torrente Ballester.

شعبة اللغة الألمانية وآدابها

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
16/12/92	M.M. P. Dienstbier	Beirnafrt Christine	Spuren Der schwarzen padogogik in kimder literatur und kimder programmen in Marokko.

شعبة التاريخ

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الغزو الاستعماري ومقاومته في الأطلس المتوسط (1913-1930).	المالكي الملكي	أ. أحمد التوفيق	92/ 5/26
اسهام في دراسة زاوية قصر تامكروت 1045-1729.	أنكام علي	أ. أحمد التوفيق	92/ 5/27
تطوان في أواخر القرن التاسع عشر جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية على ضوء محاولات التسرب الأوربي.	السعود عبد العزيز	أ. إبراهيم بوطالب	92/ 6/19
تحقيق مخطوط الاعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر.	نافع فاطمة	أ. محمد حجي	92/ 7/ 8
كتاب الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة لأبي الربيع سليمان الحوات (1231هـ/ 1816م)، دراسة وتحقيق.	تيلاني عبد العزيز	أ. محمد المنصور	92/12/16
دراسة وتحقيق كتاب ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجدوب لمؤلفه عبد الرحمن بن عبد القادر المتوفى 1096هـ/ 1685م.	الدازي حفيظة	أ. محمد حجي	92/12/17
الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17-18م).	ددود ولد عبد الله	أ. محمد حجي	92/12/23

شعبة الجغرافية

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
حوض تيداس معازيز دراسة جيومرفلوجية.	بلهلالي مصطفى	أ. عبد الله العوينة	92/ 5/19
هضبة وليلي دراسة جيومرفلوجية.	لعنزيس محمد	أ. عبد الله العوينة	92/ 6/30

شعبة الدراسات الإسلامية

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
دلالات النهي عند الأصوليين وأثرها في الفروع الفقهية.	أوقسو عبد الناصر	أ. التهامي الراجي	92/ 1/ 7
دلالة الالتزام وأثرها في الأحكام.	أبوه ولد اطراح	أ. عقى الثمارى ؛	92/ 1/ 9
كتاب النهج المتدارك في شرح دالية ابن مالك لأبي العلاء ادريس بن محمد المنجرة (ت 1137هـ)، دراسة وتحقيق.	الخامر العربي	أ. التهامي الراجي	92/ 2/17
طرق إثبات المقاصد الشرعية.	شكري فريد	أ. محمد بلبشير	92/ 3/ 5
الإسلام والديانات الوضعية في آسيا (دراسة مقارنة).	لي و ن سام	أ. المهدي بنعبود	92/ 3/ 9

موضــــوع البحــث	اسـم البـاحـث	الأستـاذ المشـرف	التاريـخ
ابن عطية الأندلسي قارئا.	غنام نعيمة	أ. التهامي الراجي	92/ 4/21
التأويل عند الأصوليين.	محمد محمود ولد محمد	أ. عقى النمارى	92/ 4/30
أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي وتأصيله الفقهي للمذهب المالكي (403-474هـ).	وزاني خالد	أ. فاروق حمادة	92/ 5/14
منهج الإمام الشاطبي في القراءات.	غوردو محمد	أ. التهامي الراجي	92/ 5/25
ري الضمآن في عدد آي القرآن المنتوري القيسي ت 834هـ (دراسة وتحقيق).	بوشبكة عبد المجيد	أ. التهامي الراجي	92/ 5/28
منهج إمام الحرمين في كتابه البرهان في أصول الفقه.	الجامعي عبد الإله	أ. التهامي الراجي	92/ 5/29
الزكاة وانعكاساتها على النظام الاقتصادي والمالي.	شوكري اسماعيل	أ. محمد بلبشير	92/ 6/ 8
كتاب شجرة اليقين وتخليق نور سيد المرسلين وبيان حال الخلائق يوم الدين المنسوب إلى أبي الحسن الأشعري، تقديم وتحقيق.	امعاريج نزيهة	أ. محمد أمين السماعيلي	92/ 6/ 8
أساليب الحوار في القرآن الكريم.	هوانغ وي كاب	أ. التهامي الراجي	92/ 6/25
اللزوم والنظرية الأصولية في الدلالات.	العراقي توفيق	أ. فاروق حمادة	92/ 7/ 3
الإمام البغوي ودوره في دراسة الحديث النبوي وفقهه.	الغلبزوري توفيق	أ. فاروق حمادة	92/ 7/ 6
اتقان الصنعة في التجويد للسبعة لأبي العباس أحمد بن علي بن شعيب (ت 1014هـ) دراسة وتحقيق.	صدقي الحسن	أ. التهامي الراجي	92/ 7/13
اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر للإمام محمد المدعو عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة 1031هـ.	رستم محمد	أ. فاروق حمادة	92/ 7/14
سنن الإمام النسائي في الدراسات المغربية رواية ودراية.	بربور مريم	أ. فاروق حمادة	92/ 7/15
فقه أبي داود من خلال سننه.	بوزرهون المفضل	أ. فاروق حمادة	92/ 7/21
الصحابة وأصول الفقه.	سطيري محمد فتح الله	أ. أحمد أبو زيد أ. محمد الروكي	92/10/ 8
عبد الحق الاشبيلي وآثاره العلمية.	الوثيق محمد	أ. فاروق حمادة	92/10/23
الصحوة الإسلامية بالمغرب المعاصر : الأسس المعرفية وتحليل الخطاب.	سبتي مخلص	أ. محمد بلبشير	92/11/16
أداء الأمانة بالتزام ما اشترط من اسقاط الحضانة للعلامة الشيخ محمد بدر الدين بن يحي المصري القرافي المالكي.	الصوفي محمد	أ. التهامي الراجي	92/11/20
محاولة في التاريخ الاجتماعي لطنجة الزاوية الدرقاوية بطنجة : تاريخها، مبادئها، أدوارها.	عجولو الرحموني العربي	أ. إبراهيم حركات	92/11/27
تحقيق وشرح أرجوزة محمد بن أحمد المصمودي حول مقرأ الإمام ابن كثير فيما خالف فيه الإمام نافع.	البودخاني علي	أ. التهامي الراجي	92/12/ 1
أساليب التعليل في القرآن الكريم دراسة أسلوبية وأصولية.	سعدي أمينة	أ. أحمد أبو زيد	92/12/11

مــوضـــــوع البحـــث	اســم البـاحــث	الأستـاذ المشـرف	التاريــخ
ظروف التشديد والتخفيف في عقوبات الفقه الجنائي الإسلامي دراسة مقارنة.	نجيم ادريس	أ. التهامي الراجي	92/12/14
خبر الواحد في التشريع الإسلامي وحجيته.	برهون القاضي	أ. فاروق حمادة	92/12/21
كتاب الدرة الصقلية في شرح أبيات العقيلة لأبي بكر عبد الغني المشتهر باللبيب، تقديم وتحقيق.	آيت زعبول عبد العلي	أ. التهامي الراجي	92/12/22
أسلوب الدعوة من خلال القصص الواردة في القرآن الكريم.	بونغ مون لي	أ. التهامي الراجي	92/12/22
مقاربة تحليلية نقدية لبعض مكونات الفكر النهضوي المعاصر.	الصولي حميد	أ. محمد بلبشير	92/12/22

شعبة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس

مــوضـــــوع البحـــث	اســم البـاحــث	الأستـاذ المشـرف	التاريــخ
معالم المنهجية الرشدية من خلال فصل المقال والكشف عن مناهج الأدلة وتهافت التهافت.	بلال فال	أ. سالم يفوت	92/ 5/26
تطور العلاقات بين الزاوية الوزانية وقبيلة سفيان الشرقية إلى سنة 1991 من التأسيس إلى التفكك.	الخدي نجيب	أ. محمد جسوس	92/ 6/24
قبائل هوارة في ليبيا الجذور والامتدادات المعاصرة دراسة اجتماعية ميدانية.	عمر القذافي عمر هيبة	أ. رشدي فكار	92/ 6/25
تمثل الواقع في رسوم الأطفال وعلاقته بالتوافق النفسي.	بيدادة محمد	أ. مبارك ربيع	92/ 6/30

ثانيا : قائمة الأطروحات والرسائل التي سجلت لنيل دكتوراة الدولة ودبلوم الدراسات العليا (السلك الثالث).

1) دكتوراة الدولة :

شعبة اللغة العربية وآدابها

موضـــوع البحـــث	اسم الباحـث	الأستاذ المشرف	التاريخ
بلاغة الإيجاز في القرآن الكريم دراسة بلاغية أسلوبية.	الصادق إبراهيم البصير	أ. علال الغازي	6 /1 /92
مصادر أبي الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني وقيمتها في الدراسات الأدبية.	عبد الله علي الصويعي	أ. أحمد شوقي بنبين	1/15 /92
بناء القصيدة العربية في العصر المملوكي.	يوسف إسماعيل	أ. علال الغازي	1/21 /92
اللغويات المعاصرة وعبارتها العاملية.	بوزيان رشيد	أ. أحمد العلوي	1/30 /92
التراث الشعري اليهودي الوسطوي في الأندلس.	الغزي فاطنة	أ. أحمد شحلان	7 /2 /92
شعراء قريش في القرن الأول الهجري.	محمد محمد علي الفناي	أ. محمد بنشريفة	2/19 /92
الكناية في البلاغة العربية (بحث يتناول الكناية من الوجهة التاريخية والفنية).	بشير كبيل	أ. محمد مفتاح	2/19 /92
مصادر النقد والبلاغة في العصر المغولي التركي قضاياها ومناهجها.	عمُّو عسو	أ. علال الغازي	2/25 /92
الصورة الشعرية في عهد المرابطين بالأندلس.	الهادي الصيد عمار	أ. محمد بنشريفة	2/25 /92
بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية.	علي أبو القاسم عون	أ. علال الغازي	3/21 /92
تفكير الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (من خلال جريدة النصائر الثانية 1947-1956).	ندمان محمد	أ. عباس الجراري	3/21 /92
المحكيات الشعبية في قبيلة أحمر الهوارية: مكوناتها ووسائل اشتغالها.	لغزالي سالم	أ. عباس الجراري	3/23 /92
الإعراب وبنية الجملة في اللغة العربية.	الرحالي محمد	أ. عبدالقادر الفاسي الفهري	3/25 /92
تجربة (العبث) بين التراث الإنساني والرواية العربية الحديثة.	باسو مينة	أ. أحمد الطريسي	4/20 92
نحو مصطلحية غربية مواكبة : مقاربة نظرية وتطبيقية.	جواد حسني عبدالرحيم	أ. أحمد الإدريسي	3 /6 /92
الشعراء المنكوبون في الأندلس في القرن الخامس الهجري.	لي جونغ هوا	أ. محمد مفتاح	6/16 /92
المنحى السني والأشعري في البيان وإعجاز القرآن.	كولان علي السوسي	أ. محمد بنشريفة وأ. أحمد أبو زيد	6/23 /92

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
92/ 7/13	أ. عزة حسن	مهداوي لطيفة	مراثي الخلفاء والقادة في الشعر العباسي إلى آخر القرن الرابع الهجري، جمع ودراسة.
92/ 7/24	أ. سعيد علوش	بحراوي حسن	نحو شعرية للترجمة الجهود، المكاسب والآفاق.
92/10/27	أ. عزة حسن	الرشيد عمر	الفخر في التعر الجاهلي معانيه، وصوره وقيمه الفنية.
92/12/22	أ. أحمد العلوي	بودلال عبد الرحيم	الميزان العاملي والميزان الصرفي بحث في الوحدة والاختلاف.

شعبة اللغة الفرنسية وآدابها

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
17/ 4/92	Mr. A. Kilito et J. Neefs	Benamrhar Abdelkrim	Miroir et mélancolie entre fantastique et réalisme dans la deuxième moitié du dix-neuvième siècle.
23/ 6/92	Mr. M. Elyadry Bekkali	Touati Abdelouhab	Pour une thematique dialogique.

شعبة اللغة الانجليزية وآدابها

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
16/ 6/92	Mr. J. Saïd	El Kirat Yamina	The morphology of the verb in the Beni Iznassen dialect : A non-concatenative Approch.
23/ 6/92	Mr. M. Dahbi	Oumzane Lhoussaine	A comparative study of conversational Mitigation in Moroccan Arabic, Berber and English: Requests Refusals as instances.
8/ 7/92	Mr. V. Kennedy	Lebbady Hasna	Entragment and Espace: Radical and Revisionary uses of Gothic Fantasy by selected contemporary women novelists.
28/ 9/92	Mr. M. Dahbi	Mahi Zohra	Background knowledge (Use Medical Settings).
28/ 9/92	Mr. M. Dahbi	Afkir Mina	Language socialization and the acquisition of literacy.
28/ 9/92	Mr. M. Dahbi	Hmama Abdellah	The uses of English written communication in Moroccan Business settings.
28/ 9/92	Mr. M. Dahbi	Bouzzroud Abdelhafid	Language choice and language use in secondary and higher education in Morocco.

شعبة التاريخ

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الأحوال الصحية في مغرب الحماية 1912-1940.	رويان بوجمعة	أ. إبراهيم بوطالب	92/ 1/21
الزاوية المصلوحية: من الأصول إلى سنة 1912.	المازوني محمد	أ. إبراهيم بوطالب	92/ 1/21
التضامن العربي الإسلامي مع حركة المقاومة الليبية ضد الغزو الايطالي 1911-1931.	مصطفى حامد رحموة	أ. محمد أمين البزاز	92/ 1/21
المغرب العربي من خلال خلافة المعز لدين الله الفاطمي.	عمار الحاج صالح	أ. إبراهيم حركات	92/ 2/19
الأحباس بمدينة مكناس في عهد الحماية (1912-1956).	بلمقدم رقية	أ. إبراهيم بوطالب	92/ 2/21
اللباس والزينة في المغرب (1856-1956).	بوسلام محمد	أ. إبراهيم بوطالب	92/ 4/15
بنو هلال في المغرب والأندلس (452 - 668/ 1060-1270).	عبد الجواد الصادق الشيباني	أ. إبراهيم حركات	92/ 4/16
الزاوية الفاسية وتطورها حتى نهاية العهد العلوي الأول.	الذهبي نفيسة	أ. إبراهيم حركات	92/ 4/16
من تاريخ المقاومة الوطنية والتغلغل الأجنبي في المغرب في عهد الحماية (مارس 1915 ــ غشت 1924).	بناني عثمان	أ. محمد حجي	92/ 6/23
الإسلام والسلطة والاقتصاد في المجتمع السوداني الغربي والأوسط ق XVI ق XIX (16-19).	شكراوي خالد	أ. مصطفى ناعمي	92/ 6/23
الشهادات المسيحية وكيفية تمثلها للمجتمع السوداني من الجذور إلى نهاية القرن 19م.	الشكري أحمد	أ. مصطفى ناعمي	92/ 6/23
الزوايا بين قبول الاستعمار ورفضه.	أزيديه ولد محمد محمود	أ. محمد زنيبر	92/ 7/ 8
الوضع السياسي والاجتماعي لغرناطة في القرن الخامس الهجري.	عبد القادر عثمان محمد جاد الرب	أ. عبد الهادي التازي	92/ 7/13
الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي.	بشير رمضان التليسي	أ. إبراهيم حركات	92/ 7/13

شعبة الجغرافيا

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الاستعمالات المختلفة للماء بمنطقة الغرب (السكان، الفلاحة، الصناعة).	بلفقيه عبد الصادق	أ. أحمد الغرباوي	92/ 2/ 9
التكوينات الرباعية والدينامية الساحلية الحالية في الشريط الممتد بين مصب واد النفيفيخ ورأس العنق بالدارالبيضاء.	بحار نعيمة	أ. عبد الله العوينة	92/ 2/25
الثروة الحيوانية في موريتانيا والعوامل المؤثرة فيها.	محمد ولد الشيخ ولد عبد القادر	أ. إسماعيل العلوي	92/ 6/16

مـوضـوع البحـث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الإنسان والوسط الطبيعي بمقدمة الريف الشرقية.	طريق عبد اللطيف	أ. أحمد الغرباوي	92/ 6/16
الحوض النهري لعنغاية.	السعيدي محمد	أ. أحمد الغرباوي	92/ 6/30
دراسة جغرافية لواحة غدامس.	محمود علي الغدامس	أ. إسماعيل العلوي	92/ 9/25
خرائط التوزيعات المناخية، دراسة ـــ تأليف خرائط، توقعات.	علي بشير أبو زيد	أ. أحمد الغرباوي	92/10/27
واحات درعة الأوسط سيرورة التحولات السوسيومجالية.	أوحجو لكبير	أ. عبداللطيف بنشريفة	92/12/ 1

شعبة الدراسات الإسلامية

مـوضـوع البحـث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية من خلال القراءات القرآنية المتواترة.	جمعة محمد الأحول	أ. التهامي الراجي	92/ 1/ 6
الحسبة على أصحاب المهن الطبية في الإسلام.	علي أحمد الفياض الدرغام	أ. عصمت دندش	92/ 1/ 8
كتاب المسند في الحديث لأبي محمد يحيى بن صاعد الهاشمي ـــ دراسة وتحقيق.	حريفي لحسن	أ. فاروق حمادة	92/ 1/ 8
عقد الصلح بين الشريعة الإسلامية والقانون المغربي (دراسة مقارنة).	حماني حميد	أ. التهامي الراجي	92/ 1/ 9
منهج السيرة بين ابن إسحاق وابن عبد البر.	كريمة عمر عبود	أ. عصمت دندش	92/ 1/21
الشيخ أحمد بن عجيبة (1161–1224) وتفسيره للقرآن.	عزوزي حسن	أ. التهامي الراجي	92/ 1/27
أحكام الطفل في الفقه الإسلامي والتشريع المغربي دراسة مقارنة.	بطراني عبد العزيز	أ. فاروق حمادة	92/ 3/21
الكليات الشرعية في القرآن الكريم جمع وتصنيف وتحليل.	حريفي لحسن	أ. فاروق حمادة	92/ 6/25
دراسة وتحقيق كتاب التكميل والاتمام لكتاب التعريف والإعلام.	عبد الله محمد علي النقراط	أ. أحمد أبو زيد وأ. التهامي الراجي	92/12/ 9

شعبة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
نقد العقل النظري في فلسفة الغزالي اتجاه لعقلنة الفكر الفلسفي الإسلامي.	القريضي سالم	أ. سالم يفوت	9 /3 /92
علاقة بعض متغيرات جماعات العمل لطبيعة القيادة في هذه الجماعات، بـ(دراسة سوسيولوجية لجماعات انتاجية ضيقة في المجتمع المغربي).	التونسي عزوز	أ. المصطفى حدية	6 /6 /92
تطور الصورة الذهنية لدى المراهق والراشد (دور المؤشرات الادراجية في الانشاء المبياني لمدار الكويرات).	الشيخي محمد	أ. ربيع مبارك	6/16 /92
أنشطة أوقات الفراغ وعلاقتها بتمثل الذات عند الطفل المغربي.	بوكساكس فاطمة	أ. المصطفى حدية	6 /7 /92
الخطاب النقدي في المشروع النهضوي العربي.	مبروكة الشريف جبريل	أ. سالم يفوت	6 /7 /92
الحياة الفكرية ليهود الأندلس من بعد بن ميمون إلى السيف الممدود 1135-1394م.	عبد الواحد المهدي ميلاد	أ. رشدي فكار وأ. سالم يفوت	92/11/13
المعرفة عند القاضي عبد الجبار الاسدابادي 415هـ-1025م حدودها وأبعادها.	عبد الله بالقاسم عبد الكريم	أ. رشدي فكار	92/12/23

2) دبلوم الدراسات العليا :

شعبة اللغة العربية وآدابها

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الدرس الصرفي عند ابن عصفور واللسانيات التوليدية التحويلية.	صدقي سميرة	أ. أحمد الادريسي	7 /1 /92
التأويل والاستحساب إسهام في حل مشاكل تأويل القرآن الكريم.	مصطفى حيدر	أ. أحمد الإدريسي	7 /1 /92
المحل والجملة بحث في الأصول والمقدمات النحوية.	جبلي نعيمة	أ. أحمد العلوي	8 /1 /92
شعر أبي البقاء الرندي جمع وتحقيق ودراسة.	عابد ثورية	أ. محمد بنشريفة	8 /1 /92
شخصية الشاعر كما توحي بها بعض الدراسات النقدية العربية القديمة.	بن الهادي شادية	أ. أحمد أبو زيد	8 /1 /92
وظيفة القول الأصولي في النظرية اللغوية العربية.	ميموني مولاي ادريس	أ. أحمد العلوي	8 /1 /92

موضـــــوع البحـــث	اسـم البـاحـث	الأستـاذ المشـرف	التاريـخ
معجم العربية الجاهلية ـ المعلقات السبع ـ.	البوقاعي محمد	أ. عبد العلي الودغيري	92/ 1/10
المصطلح الصوتي عند ابن سينا.	أبو دقة يوسف	أ. عبد العلي الودغيري	92/ 1/14
دوحة البستان ونزهة الإخوان في مناقب الشيخ علي عبد الرحمٰن تأليف الزيادي.	بواغاز فاتحة	أ. أحمد شوقي بنبين	92/ 1/14
مدخل لدراسة الخطاب الشعري من خلال المعلقات السبع.	البويحياوي الإدريسي سيدي اسماعيل	أ. محمد مفتاح وأ. إدريس بلمليح	92/ 1/14
المعلقات في ضوء نظرية عمود الشعر.	حسان فلاح أوعلي	أ. علال الغازي	92/ 1/16
مصدر الثلاثي في اللغة العربية دراسة صرفية.	ترابي عبد الرزاق	أ. عبد القادر الفاسي الفهري	92/ 1/16
الدلالة المجازية، التضمين والانتقاء.	بنتامو صفية	أ. عبد القادر الفاسي الفهري	92/ 1/16
الاشتقاق في اللغة العربية دراسة صرافية توليدية.	كزاوي محمد	أ. عبد القادر الفاسي الفهري	92/ 1/16
منزلة الشعر في الفكر العربي ـ الإسلامي منذ بداية ظهور الإسلام إلى نهاية القرن الثالث الهجري.	عقيل المرعي	أ. أحمد الطريسي	92/ 1/16
حازم القرطاجني بين التنظير النقدي والإبداع الشعري: دراسة في إمكان انسجام الخطاب.	ناجح مينة	أ. علال الغازي	92/ 1/20
سوسيولوجية النص الروائي العربي (التيه) و(الأخدود) لعبد الرحمن منيف نموذجا.	براهمة سلمى	أ. أحمد اليبوري وأ. سعيد يقطين	92/ 1/20
الأصول الفكرية لنظرية النظم عند الأشاعرة.	انتساب محمد	أ. أحمد أبو زيد	92/ 1/20
المصطلح اللساني عند فخر الدين الرازي.	المطاد عبد العزيز	أ. عبد العلي الودغيري	92/ 1/22
الخلاف النحوي بين ابن مالك وأبي حيان الأندلسي.	شفيق محمد	أ. أحمد الإدريسي	92/ 1/23
اقتطاف زهراة الأفنان من دوحة قافية ابن الونان، تحقيق وتقديم.	كعيمس أمان	أ. أحمد أبو زيد	92/ 1/27
الصلاة الاستلزامية بين النحو وعلم الكلام حالة القاضي عبد الجبار.	الذهبي حميد	أ. أحمد العلوي	92/ 1/27
بنية القصيدة الصوفية في شعر عبد الغني النابلسي دراسة في ديوان الحقائق ومجموع الرقائق.	فيصل أصلان	أ. علال الغازي	92/ 1/30
بنية السرد الشعري دراسة تحليلية لرواية: يا بنات الاسكندرية لادوار الخراط.	جوهري أحمد	أ. أحمد اليابوري	92/ 2/ 3
ديوان الأعشى الكبير دراسة احصائية ونصية.	القباج عديل	أ. عزة حسن	92/ 2/11
شاعر الملحون: الشيخ أحمد بن رقية الآزموري (دراسة لشعره).	حنان عبد الإله	أ. عباس الجراري	92/ 2/13
النقد الأدبي التطبيقي للشعر في المغرب من خلال شروح القرنين 13 و14هـ.	حافظي علوي شريفة	أ. عباس الجراري	92/ 2/13
الاتجاه الوطني عند شعراء الصحراء المغربية من سنة 1956 إلى 1992.	الفرودي سميرة	أ. عباس الجراري	92/ 2/13
السيرة الذاتية الإسلامية الحديثة.	وفكوح عبد الفتاح	أ. أحمد يزن	92/ 2/19

موضـــــوع البحـــث	اسـم الباحــث	الأستـاذ المشـرف	التاريــخ
مستويات الوعي في أعمال عبد الكريم غلاب الروائية.	كدو فاطمة	أ.أحمد اليبوري وأ.سعيد يقطين	92/ 2/24
التناسب الفني في القصة القرآنية.	الحرايكي خديجة	أ. أحمد الطريسي	92/ 2/25
الجاحظ في الدراسات العربية الحديثة والمعاصرة مشروع مراجعة نقدية لمائة عام من الكتابة عن التراث النقدي والبلاغي عند العرب.	بو الصلحي نجيب	أ. أحمد الطريسي	92/ 2/25
شعر محمد مصطفى مربيه ربي. جمع، تحقيق، تقديم.	ماء العينين النعمة	أ. عباس الجراري	92/ 2/25
النقد العربي الحديث : التجليات التنظيرية وإشكالية المنهج.	تبليست أحمد	أ. أحمد الطريسي	92/ 2/25
السيناريو في السينما المغربية.	بذرنة محمد	أ. سعيد علوش	92/ 3/ 3
بناء قصيدة المدح من خلال تجربة الشاعر الوزير بن ادريس العمراوي.	التازي سكينة	أ. أحمد الطريسي	92/ 3/13
أدب محمد الصباغ موضوعاته وخصائصه الفنية.	بنخليفة نزهة	أ. عباس الجراري	92/ 3/21
توظيف التراث في الشعر الفلسطيني.	أمزيان جميلة	أ. أحمد الطريسي	92/ 3/21
الصورة الشعرية عند أبي تمام ــ الاستعارة نموذجا ــ	بن الطاهر جمال	أ. أحمد الطريسي	92/ 3/21
الأدب الأندلسي في المصادر المشرقية من أوائل القرن السادس إلى منتصف القرن التاسع الهجري.	علام رقية	أ. محمد بنشريفة	92/ 3/21
بناء القصيدة العربية في نقد حازم القرطاجني.	خالد محمد	أ. علال الغازي	92/ 3/21
دور الشعر في النوازل الفقهية الموريتانية خلال القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين.	علي الملقب الناجي فال ولد سيد أحمد	أ. أحمد الطريسي	92/ 3/23
توظيف التراث في شعر صلاح عبد الصبور.	العلوي لالة فاطمة الزهراء	أ. أحمد الطريسي	92/ 3/23
المقارنة ونظرية الأدب لـ: أدريان مارينو، ترجمة، دراسة وتعليق.	أراق سعيد	أ. سعيد علوش	92/ 3/23
شعرية القصيدة العربية القديمة عند طه حسين والعقاد.	بغور رحال	أ.محمد برادة أ.ادريس بلمليح	92/ 3/23
ظاهرة النفي في اللغة العربية (نحو دراسة تركيبية ودلالية).	مرزوق محمد	أ. أحمد العلوي	92/ 3/25
الإضمار في اللغة العربية.	برامو بوشعيب	أ. أحمد العلوي	92/ 3/25
القياسي والسماعي في الصيغ الصرفية العربية.	العباسي رشيد	أ. أحمد العلوي	92/ 3/25
المتخيل في السرد العربي القديم مقامات الهمداني نموذجا (مقاربة موضوعاتية).	ملين عبد الإله	أ. محمد برادة	92/ 3/27
أثر الاتجاهات الكلامية في النقد البلاغي عند العرب.	عصام أحمد	أ. أحمد أبو زيد	92/ 4/20
تقديم وتحقيق مخطوط كتاب فاتق الرتق على عاتق الفتق لمحمد مصطفى ماء العينين.	الزوتان مصطفى	أ. علال الغازي	92/ 4/24
اشتغال التخييل والمتخيل في مقامات الحريري.	زيد جمال	أ. محمد برادة	92/ 4/27
الأدبية مفهوما ومصطلحا بين التنظير والإنجاز.	بطال محمد	أ. محمد برادة	92/ 4/27
شعرية الخطاب الروائي عبد الله العروي نموذجا.	أنوشي أحمد	أ. أحمد اليبوري	92/ 4/27
الكتابة للأطفال في الأدب المغربي الحديث.	عبا عبد الرحمان	أ. عباس الجراري	92/ 4/27
الأستاذ محمد الفاسي وجهوده في خدمة الأدب المغربي.	البوطاهري خديجة	أ. محمد بنشريفة	92/ 4/27

مـوضـــوع البحـــث	اسـم البـاحـث	الأستاذ المشرف	التاريخ
بناء القصيدة الشعرية بين الجاهلية والإسلام كعب بن زهير نموذجا.	بنفيلوس محمد	أ. أحمد الطريسي	92/ 4/27
الإيقاع في الشعر العربي الحديث دراسة نظرية وتطبيقية من خلال بعض النماذج.	بنعقة خديجة	أ. أحمد الطريسي	92/ 4/27
مفهوم الشعر في ضوء فلسفة الشعر عند ابن رشد.	امهور جميلة	أ. أحمد الطريسي	92/ 4/28
علاقة الرواية بالتراث من خلال 3 روايات لنجيب محفوظ، إميل حبيبي، وليد إخلاصي (ليالي ألف ليلة وليلة، سرايا بنت الغول، دار المتعة).	محقق نور الدين	أ. محمد برادة	92/ 4/28
عرض تقديم وترجمة كتاب ما هو التاريخ الأدبي ؟ لكلمان مواسون.	الطالب حسن	أ. سعيد علوش	92/ 4/28
مقاربة تلفظية للنص الروائي.	درموش نور الدين	أ. أحمد اليبوري	92/ 4/28
قضايا الخطاب النقدي في الأدب المغربي المعاصر من سنة 1960 إلى سنة 1990.	صدقي محمد	أ. أحمد الطريسي	92/ 4/28
شعر الطبيعة بين الصنوبري وابن خفاجة.	شرجيلي عبد الصمد	أ. ثريا لهي	92/ 5/14
تيمة الموت في أشعار محمد الخمار الكنوني وعبد الله راجح.	الأعرج حسن	أ. سعيد علوش	92/ 5/20
تحقيق مخطوط الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب ادريس بن ادريس لأحمد الحلبي أبو العباس.	والزين محمد	أ. أحمد شوقي بنبين	92/ 5/21
المصطلح النقدي في الأدب العربي الحديث والمعاصر.	انقيوش نجية	أ. محمد أبوطالب وأ. سعيد علوش	92/ 5/22
أدونيس والخطاب الصوفي.	بلقاسم خالد	أ. محمد بنيس	92/ 5/26
شعر الجهاد الأندلسي من عهد بني الأحمر حتى سقوط غرناطة.	الطاري الكبيرة	أ. ثريا لهي	92/ 5/27
الألم عند محمد الخمار الكنوني.	القريزي المصطفى	أ. سعيد علوش	92/ 5/27
تقديم وتحقيق تنسيم الوردة من تنسيم البردة لمحمد المكي البطاوري.	بلكاس زهراء	أ. ثريا لهي	92/ 5/28
مفهوم الشعر عند ابن جلون.	المكاوي مليكة	أ. فاطمة طحطح	92/ 5/29
المصطلحات اللسانية عند القزويني.	عثماني العربي	أ. أحمد الإدريسي	92/ 5/29
شعر ابن فركون، دراسة إحصائية ونصية.	فولوس مليكة	أ. فاطمة طحطح	92/ 5/29
سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، دراسة تحليلية.	المراكشي محمد	أ. أحمد أبو زيد	92/ 5/29
أبو عثمان سعد بن أحمد بن إبراهيم بن ليون التجيبي (681 – 750هـ) شخصيته وآثاره.	البقالي محمد	أ. محمد بنشريفة	92/ 5/29
مفهوم التجديد عند الشعراء الرومانسيين في بلدان المغرب العربي، الجزائر، تونس (1925 – 1950 دراسة مقارنة).	بن لكراوي بهيجة	أ. عباس الجراري	92/ 6/ 4
طرائق اشتغال الخطاب الروائي في ثلاثية أحمد إبراهيم الفقيه.	كروح مينة	أ.أحمد اليبوري وأ.سعيد يقطين	92/ 6/19

موضـــوع البحـــث	اسـم الباحـث	الأستاذ المشرف	التاريـخ
التناص من خلال رمل الماية فاجعة الليلة السابعة بعد الألف لواسيني الأعرج.	الخيري سمية	أ. أحمد اليبوري وأ. سعيد يقطين	92/ 6/19
تقديم وتحقيق مخطوط تلخيص غيث الأدب الذي انسجح في شرح لامية العجم لكمال الدين الدميري.	زناد رجاء	أ. ثريا لهي	92/ 6/24
تقديم وتحقيق: زهر الربيع في شواهد البديع لمحمد بن قرقماس بن عبد الله الناصري.	الشعلي زبيدة	أ. أحمد شوقي بنبين	92/ 6/26
قدامة بن جعفر في الدراسات الأدبية المحدثة والمعاصرة.	اعبوش سهام	أ.ادريس نقوري وأ.محمد مفتاح	92/ 7/ 3
الحكايات الشعبية المغربية: بنياتها وأنواعها ودلالتها.	اعبدي سعدية	أ.أحمد المعداوي وأ.سعيد يقطين	92/ 7/ 3
توظيف الظواهر الاحتفالية في المسرح المغربي.	محبوب محمد	أ. أحمد المعداوي وأ. حسن البحراوي	92/ 7/ 8
ديوان الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية الجزء الثاني للشيخ محمد الغيث النعمة، تقديم وتحقيق.	محمد المختار المداح	أ. محمد بنشريفة	92/ 7/13
تقديم وتحقيق لمخطوط حلبة الكميت في الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات النواجي المؤلف: شمس الدين محمد ابن الحسن النواجي.	العابيد مليكة	أ. أحمد شوقي بنبين	92/ 7/13
صورة المغربي في أعمال (بول بولز).	جدير عبد العزيز	أ. سعيد علوش	92/ 7/13
أدونيس وخطاب (الثابت والمتحول).	ابن عربية رضوان	أ. سعيد علوش	92/ 7/13
فينومينولوجيا الصورة لدى الشيخ محي الدين بن عربي.	امعاريش محمد	أ. محمد برادة	92/ 7/13
الصورة المثية في الدراسات الانتربولوجية الأدبية عند جيلبير دوران مع ترجمة كتابه الصورة المثية وأوجه العمل.	كراكشو كريم	أ. سعيد علوش	92/ 7/17
مقاربة سوسيونقدية للنص الروائي العربي.	الإدريسي رحمة	أ. أحمد المعداوي وأ. سعيد يقطين	92/ 7/17
شعرية الحكمة في ديوان المتنبي دراسة نصية.	كركاس محمد	أ. إبراهيم المزدالي	92/ 7/20
تقديم وتحقيق كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء للشيخ أحمد بن محمد بن عرب شاه الحنفي 791هـ-854هـ.	أبو سعد رشيد	أ. أحمد شوقي بنبين	92/ 7/20
تقديم وتحقيق لمخطوط المفاتيح المرزوقية بحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية.	زين الدين أمينة	أ. أحمد شوقي بنبين	92/ 7/20
ترجمة وتقديم لكتاب بيير لوني في المغرب.	اليزيدي رابحة	أ. حسن كراوي وأ. أحمد المعداوي	92/10/12
الحركة الصوفية وأثرها في الشعر الأندلسي خلال القرن الثامن الهجري.	كزيز جميلة	أ. ثريا لهي	92/10/20
أمجد الطرابلسي الشاعر الناقد.	الفائز مبارك	أ. علال الغازي	92/10/26
مقارنة سوسيونقدية ـــ شعرية لثلاثية سهيل ادريس الروائية.	لبيض عبد الحق	أ. محمد برادة	92/10/26
التوكيد في اللغة العربية.	عبدين الحاج	أ. عبدالقادر الفاسي الفهري	92/10/26
البعد السردي في القصيدة العربية المعاصرة شاكر السباب نموذجا.	ناصري الحبيب	أ.أحمد اليبوري وأ.سعيد يقطين	92/11/ 2

موضـــوع البحـث	اسـم البـاحـث	الأسـتـاذ المـشـرف	التاريـخ
الوضع اللغوي في موريتانيا (11م ـــ 19م).	أحمد محمود ولد الذنيجة	أ. عبد العلي الودغيري	92/11/13
منهج ابن السراج الشنتريني في النقد والبلاغة بين المصطلح والشاهد، دراسة في النظر والتطبيق لكتاب جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب.	الشريف الكتاني أم كلثوم	أ. إبراهيم المزدالي	92/11/21
ترجمة ودراسة لكتاب : ما هو الجنس الأدبي ؟ لمؤلفه جان ماري شايفر.	لمتاوي عزيز	أ. أحمد المعداوي وأ. حسن البحراوي	92/11/21
البنية المكانية في مدن الملح لـ: عبد الرحمٰن منيف.	جاو دام	أ. أحمد المعداوي وأ. حسن البحراوي	92/11/21
تلقي الشعر الغربي الحديث... الشعر الاسباني نموذجا.	جبار منسك أبو الهور	أ. أحمد الطريسي	92/11/30
بين لوركا والبياتي دراسة في التناص.	محمد عبد الرضا شياع	أ. أحمد الطريسي	92/11/30
حركة الاستخلاب وأثرها في الشعر الأندلسي خلال القرن السابع الهجري.	عماوي عبد العزيز	أ. ثريا لهي	92/12/15
حسن الاشعار بمحاسن الأشعار لأحمد بن محمد الصبيحي السلاوي.	الطاهري عبد العزيز	أ. ثريا لهي	92/12/15
بين الشعر والنثر في الكتابة الصوفية عند ابن عربي: قراءة أولية في تجربة اختراق الحدود.	الهادفي عبد الإله	أ. فاطمة طحطح	92/12/15
المسائل اللغوية عند أهل العقائد نموذج الأشاعرة.	طلحة عبد المجيد	أ. أحمد العلوي	92/12/17
التقديم والتأخير عند سيبويه نماذج من العربية والكورية.	يون يونغ سوك	أ. أحمد العلوي	92/12/17
الفكاهة والتندير، الهجاء في الأدب الأندلسي.	البقالي علي	أ. ثريا لهي	92/12/17
مراثي الأشخاص في الشعر الأندلسي، دراسة وتحليل.	الإدريسي للامريم	أ. ثريا لهي	92/12/17
مصطلحات السرقات في النقد العربي القديم حتى القرن الثامن الهجري دراسة وصفية تاريخية مقارنة.	بنسالم أبا الشيخ	أ. أحمد يزن	92/12/17
لسانيات النص من خلال كتابات المفسرين الزمخشري نموذجا.	الفران محمد	أ. أحمد شحلان	92/12/21
جهاز القراءة عند الأعلم الشنتمري من خلال شروحه للشعر العربي القديم.	طايعي أحمد	أ. إدريس بلمليح	92/12/21
عوامل استخراج المعنى في نماذج من كتب الغريب نموذج (معاني القرآن للفراء).	طاهيري عبد الله	أ. أحمد العلوي	92/12/22
موضوعة الماء في الشعر العربي المعاصر.	خباش ربيعة	أ. محمد. بنيس	92/12/22
الخطاب الروائي في ثلاثية حنامينة حكاية بحار الدقل، المرفأ البعيد.	كاميل عبد الواحد	أ. أحمد اليبوري وأ. سعيد يقطين	92/12/23

شعبة اللغة الفرنسية وآدابها

التاريـــخ	الأستاذ المشـرف	اسـم البـاحــث	مـــوضـــــوع البحـــث
14/ 1/92	Mr. A. Kilito	Hafiawi Loubna Bouchra	Le mythe dans la production romanesque de Pierre Benoit
20/ 1/92	Mr. B. Lakhdar	Moubajjal Mustapha	Les nominalisations affixales aspects sémantiques et morphologiques.
20/ 1/92	Mr.A.Moutaouakkil	Nacer Idrissi Abdelfattah	La force illocutionnaire dans la phrase enchânée: Proplèmes d'existence et représention.
11/ 2/92	Mr.A. Zeggaf	El Halouat Farida	Espace et signification dans les œuvres de Chrétien de Troyes.
31/ 3/92	Mr.M. Bekkali Yedui	Mouslim Asmae	Les figures de la perversion dans l'écriture sadieme.
31/ 3/92	Mr.M. Essaouri	Ouahboun Youssef	La musique et la couleur dans l'œuvre de Charles Bandelaire.
31/ 3/92	Mr.A. Kilito	Zellou Sanaa	Le dégnisement dans les romans d'Alexandre Dumas.
15/ 4/92	Mr.A. Kilito	Dinia Fatime Salua	Le merveilleux dans les romans de Gaston Lerout.
15/ 4/92	Mr.A. Moutaouakkil	Lyoubi Bahija	Les Enoncés directifs: illocution, constructions directives et sattellites illocutionnaires. Eléments pour une Approche fonctionnelle.
17/ 4/92	M.A. Memmes	Yatribi Karima	Ecriture et signifiance dans les écrits de Ahmed Sefrioui.
22/ 4/92	Mr.B. Lakhdar	Lajili Leila	L'hyfonymie et la structuration sémantique du Texique.
15/ 5/92	Mr.A. Kilito	Bellefquih Anissa	La masque ou la transparence du voile dans les aventures d'Arsène Lupin de Maurice Leblanc.
16/ 6/92	Mr.A. Zeggaf	Abdallah Youssouf	Château briand et son public.
16/ 6/92	Mr.E. Moujahid et Mr.B. Lakhdar	El Hedar Amina	La syntaxe de l'adverbe en arabe moderne: Une approche générative.
9/10/92	Mr.A. Boukous	Benzekri Driss	Poésie Tamazight de resistance (Maroc Central) Etude thématique et formelle.
12/10/92	Mr.M. Chadli	Tahri Larbi	Etude sémiotique de quelques manifestations narrative discursives ussues de la mystique de la zaouia d'Ouzzane.

شعبـــة الانـجـليـزيـة

التاريـــخ	الأستاذ المشـرف	اسـم البـاحــث	مـــوضـــــوع البحـــث
4/ 2/92	M.Abderrahim Jamari	Aït Taleb Ali Saïd	Anaphoric relations in Barber A. Generalize / Binding Approch.
19/ 5/92	M.A. Benhallam	Bensoukas Karim	Noun of Agent Formation in Tamazight of Agadir, Aprosodic Approach.
3/11/92	Mr.M. Ezzroura	Samiky Abdellatif	Frye's Archetypal Cristism.
11/11/92	Mr. J. Saib	Bouhlala Abdellatif	Spirantization in Tashelhiyt 3 erter Diachrony and synchary.
17/11/92	Mr.M. Dahbi et Mr.A. Jamari	El Falh Mina	Explatives in Standard Arabic.
3/12/92	Mr.M. Dahbi et Mr.A. Jamari	El Atri Khadija	The syntax of Adjuncts in classical Arabic.
15/12/92	Mr. A. Benhallam	Adnor Abdellah	Stress Assigument in Idan Tanane Tashlhit (A metrical Approch).
15/12/92	Mr. A. Benhallam	Soudani Mohamed Salem	Case in standard Arabic.

شعبة الاسبانية

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
14/ 2/92	Mme. Aouad	Dakir Rajaâ	«Aspectos y funcions del humor en la novela peruana actual».

شعبة التاريخ

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
92/ 1/21	أ. محمد زنيبر	اليملاحي خديجة	تحقيق مخطوط بعنوان (نظرات في تطور التعليم بالمغرب) للعلامة مفتي سلا أبي بكر بن الطاهر زنيبر.
92/ 2/10	أ.محمد القبلي وأ.محمد المنوني	الهلالي محمد ياسر	العامة في المغرب المريني.
92/ 2/19	أ. عبد الرحمن المودن	الحيمر محمد	جيش العبيد والدولة المغربية منذ التأسيس إلى سنة 1757.
92/ 2/19	أ. إبراهيم بوطالب	أقنوي حميد	ترجمة القسم الأول من كتاب تاريخ الجزائر المعاصر (1871-1954) لشارل روبير آجرون.
92/ 2/19	أ. محمد زنيبر	بوخليفي المصطفى	دكالة خلال العصر الوسيط.
92/ 2/19	أ. محمد أمين البزاز	جوي محمد	السفارات الأجنبية إلى فاس ومراكش في عهد مولاي الحسن (1873 - 1894).
92/ 2/19	أ. محمد أمين البزاز	ابن الجلالي حسن	انعكاسات أزمة 1929 على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب.
92/ 2/19	أ. محمد المنصور	ايشرخان أحمد	تقديم وتحقيق مخطوط (الدر المنتخب المستحسن في مآثر مولانا الحسن لأحمد بن الحاج الأجزاء السادس والسابع والثامن إلى نهاية عهد مولاي إسماعيل).
92/ 4/16	أ. عبد العزيز ثوري وأ. عمر أكزاز	السويني جمال	العلاقات المغربية الاسبانية خلال العصر الروماني.
92/ 4/16	أ. إبراهيم حركات وأ. محمد المنوني	قبيل محمد	الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب مولانا إدريس لمؤلفه أحمد بن عبد الحي الحلبي المتوفى عام 1120هـ دراسة وتحقيق.
92/ 4/16	أ. مصطفى ناعمي وأ. زهور طموح	مسعود عبد الله	المغرب وتجارة الرقيق العابرة للصحراء (من القرن 16 إلى القرن 19).
92/ 4/23	أ. عبد العزيز ثوري وأ. عمر اكزار	سلامة ربيعة	مملكة موريطانيا بين 33 ق.م و40م.
92/ 6/10	أ. عبد العزيز خلوق التمسماني	إكلا أسية	عمدة الراوين في تاريخ تطاوين تحقيق وتقديم للفقيه أحمد الرهوني.

مـوضـــوع البحـــث	اسـم البـاحـث	الأستـاذ المشـرف	التـاريـخ
تحقيق مخطوط (الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب لأبي القاسم الزياني).	محمد غسان عبيد	أ. محمد زَنيبر وأ. محمد المنوني	92/ 6/10
الزاوية الكتانية في مطلع القرن العشرين (1900-1909)	انظام فاطمة	أ. محمد أمين البزاز	92/ 7/ 8
ترجمة كتاب الصراع الفرنسي ــ المغربي 1943، 1956 الجزء الأول تأليف ستيفان برنار.	المعروفي حسن	أ. إبراهيم أبوطالب	92/ 7/ 8
أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي دراسة وتحقيق.	الفرقان الحسين	أ. محمد أمين البزاز	92/ 7/ 8
تقديم وتحقيق مخطوط دوحة الشبان ونزهة الاخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمٰن الزيادي محمد.	جريش فاتحة	أ. عبد الرحمٰن المودن	92/ 7/10
ردود الفعل المغربية إزاء الحركة الوهابية 1792-1822.	الحمراوي خديجة	أ. محمد أمين البزاز	92/ 7/16
جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرسمية من منتصف القرن الثاني إلى أواخر القرن الثالث الهجري.	صالح معيوف مفتاح	أ. محمد زنيبر	92/10/ 7

شعبة الجغرافية

مـوضـــوع البحـــث	اسـم البـاحـث	الأستـاذ المشـرف	التـاريـخ
دراسة مقارنة لثلاث مراكز طرقية بالمغرب: بير الجديد، بوزنيقة، بوقنادل.	كناني نور الدين	أ. محمد الغوات	92/ 1/15
التحولات المجالية والاجتماعية بظهير مدينة القنيطرة.	ابسيك بوبكر	أ. محمد بلفقيه	92/ 1/16
دراسة جيومرفلوجية للهامش الشمالي الغربي من وحدة الريف الأوسط، منطقة زومي.	النعايمي قاسم	أ. عبد الله العوينة	92/ 1/16
التفاعلات الاجتماعية المجالية وتشكيل الحيز الحضري نموذج مدينة خريبكة.	عكاشة عبد الواحد	أ. محمد بلفقيه	92/ 1/27
البنية المجالية والاجتماعية لمدينة في تحول مثال: القصر الكبير.	الهيشو طامو	أ. محمد بلفقيه	92/ 1/30
الأنشطة النسوية والشغل الفلاحي بسهل الغرب.	بنمنصور خديجة	أ. عبداللطيف بنشريفة	92/ 2/ 4
الضاحية الجنوبية الغربية لمدينة فاس ــ دراسة جغرافية.	دوحد المفضل	أ. محمد بلفقيه	92/ 3/13
آليات الأنشطة بالمدن الأصيلة نموذج مدينة سلا دراسة جغرافية.	خودراجي توفيق	أ. محمد بلفقيه	92/ 3/16
مسألة البيئة والتطهير في سلا.	امغليف محمد	أ. محمد الغوات	92/ 3/16
دراسة جيومرفلوجية لسهل مريرت والجزء الغربي لهضبة الحمام.	السمومي محمد	أ. عبد الله العوينة	92/ 3/25

موضـــوع البحـــث	اسـم البـاحـث	الأستاذ المشـرف	التاريـخ
الآثار الاقتصادية والاجتماعية للهجرة الريفية على وضعية المرأة: نموذج الضواحي الجنوبية لمدينة الرباط.	بلعوينات خديجة	أ. عبد اللطيف بنشريفة	92/ 4/16
النهاية الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط الهضبي (بين خنيفرة وكروستان) الأشكال، التشكيل والدينامية الحالية.	أكوناض الحسن	أ. عبد الله العوينة	92/ 5/ 5
دراسة جيومرفلوجية لجبال الأطلس عند اقتران المتوسط بالكبير (زاوية الشيخ لقباب، الجزء الجنوبي لكاف انسور والجزء الشمالي لأغبال).	احسيني جلول	أ. عبد الله العوينة	92/ 5/18
ظاهرة التمدين والأنشطة الحضرية في ساحل منطقة دكالة.	نضيف سعاد	أ. محمد الغوات	92/ 6/16
مساهمة في دراسة انعكاسات السياحة الداخلية على المدن والمراكز الساحلية حالة الشريط الساحلي أزمور، الوليدية.	بيجو مجيد	أ. محمد بريان	92/ 9/18
تنميط الاعلام الجغرافية.	الارس ادريس	أ. أحمد الغرباوي	92/10/26
النمو الحضري وأشكال التوسع لمدينة نواكشوط.	سيدي محمد ولد محمد الخليفة	أ. عبد اللطيف فضل الله	92/11/25
التحديث الزراعي بحوض نهر السنغال بالجمهورية الإسلامية الموريتانية.	سيدي محمد ابن محمد آب	أ. إسماعيل العلوي	92/11/25
دراسة جيومرفلوجية للحوضين الأعلى والأوسط لواد الزاق.	الزباق نعيمة	أ. عبد الله العوينة	92/11/25
مساهمة كل من الاستشعار عن بعد ونسق المعلومات الجغرافية في وضع خريطة لأشكال التعرية بالحوض السفحي لثلاثة ـــ منطقة ـــ طنجة.	فنجيرو عماد	أ. عبد الله العوينة وعبد العزيز مرزوق	92/11/25
إشكالية إعداد المناطق الجبلية (نموذج دير الحاجب).	محمد العزاوي	أ. إسماعيل العلوي	92/11/25
انتشار التمدين ومسألة الهيكلة المجالية بالمنطقة الشمالية الغربية لسهل الغرب.	بيطة حليمة	أ. محمد الغوات	92/11/25
أثمنة الأرض والتحولات المجالية والاجتماعية دراسة مقارنة بين مدينتي الرباط وسلا.	بنسويسي عبد العزيز	أ. محمد الغوات	92/12/ 1
الهجرة والتحولات الاجتماعية والمجالية (حالة بعض الأحياء الحديثة بمدينة سلا).	حيميد محمد	أ. محمد بريان	92/12/ 3
الهجرة الدولية للعمل والتوسع الحضري اقليم الناضور جبل لعروى نموذجا.	ستور عبد الرحيم	أ. محمد بريان	92/12/ 3
التكثيف الفلاحي والتحولات السوسيومجالية والايكولوجية بولجة دكالة.	فاتح حسن	أ. اسماعيل العلوي	92/12/ 3
التحولات المجالية والاقتصادية بولاية الترارزة.	الشيخ سعد بوه بن محمد الحسن	أ. إسماعيل العلوي	92/12/ 3
انعكاسات الهجرة الدولية على الوسط الحضري بإقليم الناضور.	اعبابو عبد المنعم	أ. محمد بريان	92/12/ 8
دور الهجرات الدولية في الدينامية الحضرية لمدينة أصيلة.	بوشيبة نعيمة	أ. محمد بريان	92/12/ 8
دور المدن المتوسطة في تنظيم المجال الجغرافي بالمغرب.	حسني الغزواني	أ. محمد الغوات	92/12/ 9
التحول من الترحال إلى الاستقرار ومسألة التكيف مع الجفاف نموذج منطقة شيشاوة.	الجبالي محمد	أ. عبداللطيف بنشريفة	92/12/11
الهجرة الخارجية وعلاقتها بالهجرة الداخلية بالقصر الكبير.	الفقيه اللنجري رابحة	أ. محمد بريان	92/12/21

شعبة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
فلسفة التأويل عند بول ريكور.	حسن بن حسن	أ. محمد سبيلا	92/ 1/ 2
الزاوية التيجانية في السنغال دراسة سوسيو-سياسية.	علي تيام	أ. رحمة بورقية	92/ 1/ 2
عملية محو الأمية وعلاقتها باتجاهات الأمي نحو ذاته ونحو الآخرين.	الكنوني رشيد	أ. المصطفى حدية	92/ 1/ 2
التمثلات الاجتماعية للممارسة العلاج-نفسية لدى (المريض) وعلاقتها بفعالية العلاج.	حكم عبد المجيد	أ. المصطفى حدية	92/ 1/ 7
تحليل التصور الكانطي للحرية.	كوزة علال	أ. محمد سبيلا	92/ 1/21
قراءة ابن طفيل للفلسفة المشرقية السينوية.	بن حمادي حمودي	أ. سالم يفوت	92/ 1/21
حدود مساهمة الهجرة إلى الخارج في تطوير وتحديث المجتمع المغربي نموذج: مدينة الفقيه بن صالح (اقليم بني ملال).	المنفلوطي حمادي	أ. محمد شقرون	92/ 1/28
مفهوم القانون العلمي في الفيزياء الكلاسيكية والمعاصرة- دراسة وتحليل لوجهة نظر ريشار فاينمان.	أجروض مبارك	أ. عبدالسلام بن ميس	92/ 2/ 3
التنشئة الاجتماعية للطفل المغربي آسفي كنموذج.	قيسومي محمد	أ. رشدي فكار	92/ 2/11
الواقع والمضمون الثقافي بالمغرب العربي من خلال الانتاج الكولونيالي.	بن عبد النبي محمد	أ. المكي بنطاهر	92/ 2/11
التحولات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بحركة التمدن بالمغرب ما بعد الحماية نموذج مدينة فاس.	غميض مراد	أ. محمد شقرون	92/ 3/ 6
البعد اللغوي لفلسفة الرياضيات عند فتجنشطين.	لشهب خديجة	أ. عبدالسلام بن ميس	92/ 4/23
سوسيولوجية المدرسين بالتعليم الثانوي (السلك الأول) بحث في الدلالة السوسيولوجية للخطاب البيداغوجي والتربوي بالمغرب، مساهمة في سوسيولوجيا التربية والثقافة.	مطيع عبد الواحد	أ. محمد شقرون	92/ 4/23
التنمية والتغير الاجتماعي في المجتمع القروي المغربي بعد الاستقلال هضبة مكناس كنموذج.	ماني أحمد	أ. رحمة بورقية	92/ 5/ 4
ظاهرة التشرد عند الأطفال وعلاقتها بالوسط الاجتماعي (دراسة نفسية-اجتماعية بالوسط الحضري، الدارالبيضاء نموذجا).	بوحميد الشرقي	أ. المصطفى حدية	92/ 5/25
مفهوم الزمان في النظرية الأشعرية.	مصطفى فضل عبد الوهاب	أ. سعيد بنسعيد العلوي	92/ 5/25
تمثلات الذات عند المراهق وعلاقتها بالتواصل لدى الآباء دراسة نفسية اجتماعية.	لعبيش فاطمة	أ. المصطفى حدية	92/ 5/25
فلسفة المنطق عند فتجنشتاين.	الطائري ياسر	أ. طه عبد الرحمن	92/ 6/ 4
تمثل المرأة العاملة لذاتها وعلاقته بتوافقها المهني- دراسة نفسية اجتماعية في وسط حضري مغربي.	بهلول نزهة	أ. المصطفى حدية	92/ 6/18
تكوين المدرسين بالمراكز التربوية الجهوية وعلاقته بالاتجاهات التربوية دراسة نفسية اجتماعية.	مومن محمد	أ. المصطفى حدية	92/ 6/18

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
92/ 6/18	أ. محمد سبيلا	قاسمي محمد	فلسفة هيجل السياسية : الدولة في فلسفة هيجل.
92/ 7/ 1	أ. علي أومليل	عايد لحسن	مفهوم الدولة وأسسه الفلسفية في الفكر الأوربي الحديث.
92/ 7/ 6	أ. رشدي فكار	الطيبي عمر	الدين والبنيات الاجتماعية بالمغرب من خلال أعمال ليفي بروفانسال وروبير مونتاني.
92/ 7/16	أ. مبارك ربيع	اقصبي فوزية	صورة الأب لدى الفتاة المغربية وعلاقتها بالتوافق الزوجي.
92/11/11	أ. محمد سبيلا	الطويل عبد السلام	النزعة العدمية في الفكر الغربي (الحداثة/ ما بعد الحداثة).
92/11/13	أ. محمد سبيلا	يعقوب ولد القاسم	ترجمة كتاب فينومولوجيا الروح : La phenomonologie de l'esprit de G.N.F. HEGEC
92/11/13	أ. المصطفى حدية	قوري بوعبيد	قياس علاقة الأسلوب المعرفي الإدراكي بالاتجاهات العدوانية لدى الشاب المتعلم.
92/12/ 9	أ. المصطفى حدية	الأنصاري عبدالرحمن	التفكك الأسري وعلاقته باضطراب العلاقات العاطفية عند الأطفال والمراهقين.
92/12/ 9	أ. سالم يفوت	قنديل محمد	السببية والحتمية في التفكير العلمي المعاصر.
92/12/11	أ. عبد السلام بن ميس	عثماني عبد العزيز	تاريخ الرياضيات بالمغرب ابتداء من القرن 13م ابن البنا المراكشي وشراحه.

شعبة الدراسات الإسلامية

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
92/ 1/ 8	أ. فاروق حمادة	مكراز الحسن	كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم للحافظ أبي العباس الاقليشي ــ دراسة وتحقيق.
92/ 1/ 8	أ. فاروق حمادة	المقالي خليد	أبو سليمان الخطابي وجهوده في علم الحديث والفقه.
92/ 1/ 8	أ. محمد بلبشير	بن العربي خديجة	مشروع البديل الحضاري الإسلامي بين النظرية والتطبيق ودور التربية في هذا المشروع.
92/ 1/ 8	أ. أحمد أبوزيد وأحمد الريسوني	عوام محمد	الإمام الغزالي أصوليا.
92/ 1/ 8	أ. محمد بلبشير	قشيش عبد الرحمن	موقع السننية وقوانين التغير الاجتماعي في بنية الفكر الإسلامي.
92/ 1/ 8	أ. محمد بلبشير	نجيم المصطفى	المتصوفة ودورهم في صد الغزو الصليبي في عهد السعديين.
92/ 1/ 8	أ. أحمد أبوزيد	بلاجي عبد السلام	المباحث والمسائل الكلامية في أصول الفقه تأثيرها عليه ومدى صلتها.
92/ 1/ 8	أ. فاروق حمادة	العلمي محمد	المدرسة البغدادية للمذهب المالكي نشأتها، أعلامها، منهجها، أثرها.
92/ 1/ 8	أ. فاروق حمادة	هاشمي مصطفى	القاضي اسماعيل المالكي وفقهه.

موضـــوع البحـــث	اسم الباحـث	الأستاذ المشرف	التاريـخ
المعرفة ومنهجها في القرآن الكريم.	بن بريك علي	أ. أحمد أبوزيد	8 /1 /92
بناء الذات الإنسانية في الشريعة الإسلامية.	الأحمر عبد السلام	أ. فاروق حمادة	8 /1 /92
الفكر الأصولي عند القاضي الباقلاني.	أمراني علوي	أ. فاروق حمادة	8 /1 /92
القطعية والظنية في الأدلة الشرعية.	بلقاسم حديد	أ. فاروق حمادة	8 /1 /92
فقه الإمام القرطبي من خلال كتابه (الجامع لأحكام القرآن).	لعشاش عاشور	أ. فاروق حمادة	8 /1 /92
مدرسة أبي الحسن بن بري الرباطي في أصل مقرأ الإمام نافع واشعاعها العلمي.	اركيتي مسعود	أ. التهامي الراجي	9 /1 /92
مساهمات الفكر السلفي في المشروع الحضاري الإسلامي نموذج علال الفاسي.	البوكيلي أحمد	أ. محمد بلبشير	9 /1 /92
الاستشراق الانجليزي والسيرة النبوية مارتن لنجز نموذجا.	بوردة عبد الله	أ. قاسم الحسيني	9 /1 /92
رسم المصحف الشريف ومحاولة توجيه اختلافاته.	هدهودي فاتحة	أ. التهامي الراجي	9 /1 /92
التقليد في الفروع من خلال نشر البنود على مراقي السعود للشنقيطي.	صادق أحمد	أ. التهامي الراجي	9 /1 /92
القاضي عياض وأثره في الدراسات الأصولية.	بنوار محمد	أ. التهامي الراجي	9 /1 /92
موقف الإسلام من المنافقين من خلال القرآن الكريم.	بنعبود عبد السلام	أ. التهامي الراجي	9 /1 /92
دراسة وتحقيق لكتاب: (الاقراط والتشوف بمعرفة الابتداء والوقواق). لمحمد بن عبد السلام الفاسي.	الشفوعي الطاهر	أ. التهامي الراجي	9 /1 /92
اختلاف القراء والنحاة في توجيه القراءات.	بنزيدي إبراهيم	أ. التهامي الراجي	9 /1 /92
توجيه قراءة الأخوين حمزة والكسائي.	الحبشي علال	أ. التهامي الراجي	9 /1 /92
منهجية الدعوة إلى التوحيد في القرآن الكريم (دراسة موضوعية).	البني علي بن جعفر	أ. محمد أمين السماعيلي	9 /1 /92
القراءات الشاذة آلة من آلات التفسير.	الزباح عبد الواحد	أ. التهامي الراجي	9 /1 /92
العقيدة الإسلامية والبناء الأخلاقي ابن قيم الجوزية نموذجا.	كمال نعيمة	أ. التهامي الراجي	9 /1 /92
جدلية الربط بين الأصلي والتبعي عند الأصوليين.	المهداني عبد السلام	أ. التهامي الراجي	9 /1 /92
ضوابط التأويل من خلال تفاسير المعتزلة والأشاعرة والشيعة الإمامية.	الحراق محمد	أ. التهامي الراجي	9 /1 /92
فلسفة العقيدة والمذهب في المغرب والأندلس خلال القرن الرابع والخامس الهجريين.	بلعوشي أبو بكر	أ. التهامي الراجي	9 /1 /92
بيوع الآجال في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة.	الصدي فؤاد	أ. التهامي الراجي	9 /1 /92
موقع المنهج التربوي عند بن عرضون بين مناهج التربية.	الخلوقي محمد	أ. قاسم الحسيني	9 /1 /92
المنهج العقدي في التفسير عند ابن تيمية.	هدهودي حياة	أ. محمد أمين السماعيلي	9 /1 /92
التفكير العقلي في مسائل العقيدة خلال القرن السادس الهجري بالأندلس والمغرب.	بن طهير المهدي	أ. محمد أمين السماعيلي	9 /1 /92
شرح الشيخ الطيب بن كيران على ألفية العراقي في السير قسم المغازي تقديم وتحقيق.	بن جبور محمد	أ. محمد أمين السماعيلي	9 /1 /92

موضـــوع البحـــث	اسـم البـاحـث	الأستـاذ المشـرف	التـاريـخ
مدرسة سيدي الزوين القرآنية معقل إسلامي للقراءات السبع بالمغرب، دراسة ميدانية.	أبو رزق محمد	أ. التهامي الراجي	9 /1 /92
التفكير العقدي الشيعي في مبدإ التوحيد من أصول الكافي، دراسة مقارنة.	احديدان بلال	أ. محمد أمين السماعيلي	9 /1 /92
فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب لشرف الدين الحسيني بن محمد بن عبد الله الطيبي (743هـ) تحقيق ودراسة (الجزء الأول).	فاضل عبد الرزاق	أ. أحمد أبوزيد	21/1 /92
الأسباب الموجبة لاسقاط العقوبة في الشريعة الإسلامية.	الوالي محمد	أ. فاروق حمادة	21/1 /92
الاتجاهات العربية المعاصرة في كتابة السيرة النبوية.	فكير أحمد	أ. فاروق حمادة	21/1 /92
فتح الرؤوف المجيب شرح أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب للسيوطي تأليف محمد عبد الرؤوف المناوي (952–1031) دراسة وتحقيق.	بلغازي دنيا	أ. فاروق حمادة	21/1 /92
أبو جعفر الطحاوي وجهوده في دراسات الحديث.	بوقجيج فؤاد	أ. فاروق حمادة	21/1 /92
القواعد الأصولية في الفقه المالكي من خلال كتاب (الاشراف على مسائل الخلاف) للقاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي.	الشنتوف محمد	أ. التهامي الراجي	27/1 /92
إبراز الضمير من أسرار التصدير لمؤلف محمد بن عبد السلام الفاسي المتوفى سنة 1214هـ ـــ 1800م.	أزايط بوشتا	أ. التهامي الراجي	27/1 /92
الدراسات الأصولية في الغرب الإسلامي خلال القرنين الخامس والسادس.	لخضر مصطفى	أ. التهامي الراجي	27/1 /92
عقيدة التواب والعقاب في الكتب السماوية، دراسة مقارنة.	عبكاري المامون	أ. محمد أمين السماعيلي	27/1 /92
دراسة وتحقيق لمخطوط في التوحيد بعنوان: تحرير المقال بمنة الواحد المتعال في مسألة الكسب وخلق الأفعال.	اعوين عبد الله	أ. قاسم الحسيني	27/1 /92
تحقيق رسالة في التنبيه والارشاد في علم الاعتقاد، لأبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير المراكشي.	الوكيلي محمد عزيز	أ. محمد أمين السماعيلي	7 /2 /92
أثر علم المنطق في الدراسات العقدية عند شيخ الإسلام ابن تيمية.	بطار عبد القادر	أ. محمد أمين السماعيلي	7 /2 /92
مخطوط بعنوان: الحروف التي خالف فيها ابن عامر نافعا طريق أبي شيط المكي ابن أبي طالب، دراسة وتحقيق.	الخشين محمد	أ. التهامي الراجي	7 /2 /92
منهج أبي الحجاج المكلاتي (626هـ) في الالهيات كتاب (لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول) نموذجا.	الغازي محمد	أ. محمد أمين السماعيلي	7 /2 /92
كتاب (الارتفاق في مسائل الاستحقاق) لأبي علي الحسن بن رحال المعدني، دراسة وتحقيق.	آيت اكرام حسن	أ. التهامي الراجي	7 /2 /92

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
تحقيق مخطوط الكوكب الدري المستخرج من كلام النبي ﷺ للإقليشي.	ليماني محمد	أ. فاروق حمادة	92/ 3/21
الجرح والتعديل في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري أعلامه ومناهجه.	شهيد عائشة	أ. فاروق حمادة	92/ 3/21
سياسة عمر مع ولاة الأمصار.	الوالي سعيد	أ. عصمت دندش	92/ 3/21
أبو بكر بن شيبة وكتابه المصنف.	الحامدي مسعود	أ. فاروق حمادة	92/ 3/21
التغريب وانعكاساته على المؤسسات الاجتماعية والثقافية في المجتمع المغربي المعاصر، دراسة ميدانية، منطقة سوس نموذجا.	ابن زاكور محسن	أ. محمد بلبشير	92/ 3/21
الخطاب القرآني بين مناهج البلاغيين القدماء ومناهج التحليل الحديثة.	عروي محمد	أ. أحمد أبوزيد	92/ 3/21
تفسير أبي بن كعب، جمع دراسة وتحقيق.	صمدي محمد صلاح الدين	أ. أحمد أبوزيد	92/ 3/21
تعظيم المنة بنصرة السنة للناصري دراسة وتحقيق.	الدكالي عبد الكريم	أ. التهامي الراجي	92/ 4/14
أثر الحديث في تفسير القرآن الكريم المحرر الوجيز لابن عطية نموذجا.	فنان صالح	أ. التهامي الراجي	92/ 4/17
فرضية الدعوة على الأمة الإسلامية.	إبراهيم الحاج أبوبكر امام	أ. التهامي الراجي	92/ 4/17
فقه الأولويات، دراسة تأصيلية تقويمية.	الوكيلي محمد	أ. التهامي الراجي	92/ 4/17
التراث التربوي في الإسلام: دراسة لثلاث رسائل في التربية 1) آداب المتعلمين للطوسي (ت 672هـ). 2) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة (ت 733هـ). 3) تحرير المقال لابن حجر الهيثمي (ت 974هـ).	أبو الوافي محمد	أ. قاسم الحسيني	92/ 4/17
منهج محمد لأحمد بن جزي الكلبي في الإلهيات من خلال كتابه: النور المبين في بيان عقائد الدين نموذجا (دراسة وتحقيق).	الحسين الوزاني سيدي خالد	أ. محمد أمين السماعيلي	92/ 4/17
القول الكاشف عن أحكام الاستنابة في الوظائف لأبي عبد الله محمد المسناوي الدلائي تقديم وتحقيق.	منصور خديجة	أ. محمد أمين السماعيلي	92/ 4/17
التنظيم الاسلامي الأسري، والتخطيط الاجتماعي المغربي، دراسة ونقد، حي البرنوصي نموذجا.	مزية رابحة	أ. قاسم الحسيني	92/ 4/17
مفهوم النبوة عند حسن حنفي من خلال نتاجه: من العقيدة علي الثورة نموذجا.	أجرد سيدي محمد	أ. قاسم الحسيني	92/ 4/17
منهج الإمام الطبري (310هـ) في دراسة لقضايا العقيدة (سلفية، أثر الواقع الثقافي).	ميمون عبد الرزاق	أ. محمد أمين السماعيلي	92/ 4/17
الاستصحاب بين الأصوليين والفقهاء.	محمد المصطفى بن محمد سالم	أ. محمد أمين السماعيلي	92/ 4/17

موضـــوع البحـث	اسـم البـاحـث	الأستاذ المشرف	التاريـخ
الفتوحات الربانية في شرح المنظومة الدالية لمحمد بن مبارك السجلماسي المؤلف أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الحلوفي، دراسة وتحقيق.	لحياوني محمد	أ. التهامي الراجي	92/ 4/17
التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسيره للكتاب العزيز تقديم وتحقيق.	الخوتاري الزهراء	أ. محمد أمين السماعيلي	92/ 6/16
دراسة وتحقيق حاشية أبي يعقوب يوسف بن محمد المصعبي على كتاب (أصول الدين) لـ: بغورين.	حمو الشهاني	أ. محمد أمين السماعيلي	92/ 6/16
جريمة الحرابة بين الفقه والقانون.	الصالحي المدني	أ. أحمد أبوزيد	92/ 6/16
مسألة السلطة السياسية في الإسلام من المنظور العلماني، دراسة نقدية.	العمراني أحمد	أ. محمد بلبشير	92/ 6/16
ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين (ت 385هـ): عمر بن عثمان بن أحمد البغدادي، دراسة وتحقيق.	المزردي كريمة	أ. إبراهيم بن الصديق	92/ 7/ 1
المدرسة القرآنية فيما وراء جنوب الصحراء ودورها في نشر الإسلام انطلاقا من المغرب الأقصى.	سيسي الشيخ	أ. أحمد أبوزيد	92/ 7/ 6
حركة انتشار الدعوة الإسلامية في العهد النبوي حدودها أسبابها نتائجها.	ططري عبد العزيز	أ. محمد بلبشير	92/10/20
تطور الدولة الإسلامية، بنية وفكرة من الهجرة النبوية إلى نهاية الخلافة الراشدية.	بوكبير حسن	أ. محمد الروكي وأ. أبوزيد	92/11/ 2
تحقيق مخطوط الاشارة إلى سيرة المصطفى لمغلاي بن قليج.	النجاري عبد الحفيظ	أ. عصمت دندش	92/11/ 2
القديم والجديد في فقه الشافعي.	لمين الناجي	أ. محمد الروكي	92/12/16
إنارة الافهام بسماع ما قيل في دلالة العام لأحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي (ت 1156) تقديم دراسة وتحقيق.	بطان أمينة	أ. محمد الروكي	92/12/16
أحكام ابن ديوس (الجزء الأول) تقديم وتحقيق.	السفياني ادريس	أ. محمد الروكي	92/12/16
أبو عبد الله المقري وقواعده الفقهية.	اكناو محمد	أ. محمد الروكي	92/12/16
الثابت والمتغير في نظام الحكم الإسلامي.	محمد أحمد هلال عبدالله	أ. محمد الروكي	92/12/16
القواعد الفقهية من خلال كتاب المغني لابن قدامة المقدسي.	الإدريسي عبد الواحد	أ. محمد الروكي	92/12/16
الاستقراء عند الأصوليين المغاربة وتطبيقاته الفقهية.	حدية عمر	أ. محمد الروكي	92/12/16
الأعذار الشرعية وأثرها على التكليف.	حفري عبد الرحمن	أ. محمد الروكي	92/12/16
المنهج الإسلامي مقاربة معرفية وضرورة حضارية.	القدوري السعيد	أ. محمد بلبشير	92/12/16
المنطق وفقهاء الغرب الإسلامي.	باريش ميمون	أ. طه عبد الرحمن وأ. محمد بلبشير	92/12/16
تحرير مسألة القبول على ما تقتضيه قواعد الأصول والمعقول لأحمد بن مبارك السجلماسي، دراسة وتحقيق.	عيادي لحبيب	أ. أحمد الريسوني وأ. أحمد أبوزيد	92/12/16

موضـــــوع البحـــث	اسـم الباحـث	الأستاذ المشـرف	التاريـخ
التأليف في مصطلح الحديث عند المغاربة من القرن 3هـ إلى القرن 13هـ.	ضمان بوشعيب	أ. إبراهيم بن الصديق وأ. فاروق حمادة	92/12/16
الأحكام الوسطى لعبد الحق الاشبيلي تحقيق ودراسة من باب الجهاد إلى آخر الكتاب.	ناجي راشد حسن العري	أ. إبراهيم بن الصديق وأ. فاروق حمادة	92/12/16
الأحكام الوسطى لعبد الحق الاشبيلي تحقيق ودراسة من أول الكتاب إلى آخر باب الحج.	إبراهيم الشيخ راسة المريخي	أ. إبراهيم بن الصديق وأ. فاروق حمادة	92/12/16
الإمام البيهقي (ت 458هـ) محدثا وفقيها.	صابر عبد الهادي	أ. إبراهيم بن الصديق وأ. فاروق حمادة	92/12/17
تمييز الضعيف من الصحيح فيما روي من الأحاديث في فضائل الفاتحة وسور المفصل.	خديد فاطمة	أ. أحمد أبوزيد	92/12/22

الأنشطة والتظاهرات العلمية في الكلية
السنة الجامعية 92 - 1993

إعداد : محمد معتصم
كلية الآداب ـــ الرباط

عرفت كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، خلال الموسم الدراسي الجامعي 92–93، مجموعة من الأنشطة العلمية والثقافية والاجتماعية، شاركت فيها فعاليات متنوعة من داخل الكلية، بما في ذلك الأساتذة الجامعيون ـــ من مختلف الشعب والتخصصات ـــ والموظفون المهتمون والطلبة الباحثون ؛ كما ساهم فيها من خارجها أساتذة محاضرون وباحثون مشاركون في الندوات واللقاءات العلمية والثقافية، ومبدعون (من رسامين ومخرجين وشعراء وروائيين)، ونُقّاد ودارسون، سواء من داخل المغرب أم من خارجه.

ولإدخال بعض التنظيم على هذا الركام من الأنشطة (التي لم نتوصّل إلاّ بأهمّها)، نوردها مرتبة حسب نوعها وتاريخ وقوعها كما يلي :

• **الندوات الوطنية والدولية :**

* «دراسة مقارنة للمصالح المشتركة الكبرى»: ندوة مغربية هولندية رابعة نظّمتها الكلية بتعاون مع جامعات هولندية بتاريخ 7–92/9/10، وشارك فيها أساتذة مغاربة من الكلية وباحثون من جامعات هولندية مختلفة (لايدن، أمستردام، نيميكَن، ماستريخت، روتردام). وقد انصبت أشغال الندوة على هجرة المغاربة إلى هولندة وآثارها المجتمعية والثقافية واللغوية والاقتصادية والتربوية في البلدين. وللإشارة، فإن هذه الندوة جرت وقائعها في هولندا.

* «طنجة : المجال والاقتصاد والمجتمع» هي الحلقة الثالثة للملتقى العلمي لمدينة طنجة التي نظمتها كلية الآداب بالرباط بتعاون مع مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، وذلك بتاريخ 21-92/10/23 ؛ وقد انصبّت على محاور هي : السكان والمجال الحضري ؛ الأنشطة الاقتصادية ؛ البنيات والتغيّرات الاجتماعية والثقافية ؛ طنجة في محيطها الجهوي والوطني والدولي ؛ وشارك فيها باحثون وأساتذة من المغرب وخارجه (وقد صدرت في شهر نونبر 1993).

* «الرحلات العربية : السّرد وصورة العالم» : ندوة نظمتها كلية الآداب، بدعم من مؤسسة كونراد أديناور، بتاريخ 16-92/12/18، وشارك فيها أساتذة وباحثون من داخل الكلية وخارجها. وقد تطرقوا فيها للرحلة في علاقتها بالنظرية الأدبية والتاريخ والشعر، كما تطرقوا للرحلات المغاربية بالمقارنة مع الرحلات الأوربية.

* ندوة حول تحليل الخطاب بأنواعه، من خطاب مدرسي (ل. أمركْي، أ. أكواو)، وخطاب محادثة (س. غوتي)، وخطاب صحفي (خ. زيزي)، وخطاب سياسي (لحلو)، وخطاب ديني (بناني)، وخطاب أدبي (ر. العروي ؛ أ.م. شادلي ؛ أ. ركَام)، وخطاب غير لفظي (زيزي ؛ م. بنشيخ ؛ ف. بنزاكور ؛ هـ. لحلو، أ. مدغري علوي): ندوة نظمتها كلية الآداب بالرباط بتنسيق مع شعبة الفرنسية، بتاريخ 93/1/12.

* «الملتقى العلمي الجامعي الأول ما بين المغرب وبلجيكا» : ندوة نظمتها الكلية بتاريخ 7-93/4/9، وشارك فيها أساتذة وباحثون من البلدين ؛ وقد تناولت محاور الندوة العلاقات الدبلوماسية والسياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية ماضيا وحاضراً، فضلاً عن مواضيع جانبية أخرى.

* «السينما والتاريخ والمجتمع» : ندوة نظمتها كلية الآداب بتاريخ 15-93/4/17، وشارك فيها أساتذة من المغرب والجزائر وفرنسا وألمانيا وإيطاليا ؛ وتناولوا فيها محاور تعامل السينما الأوربية مع التاريخ المغاربي والإفريقي، وعلاقة وسائل الاتصال الجماهيري بالمجتمع، وصورة المرأة في السينما المغاربية والألمانية والإيطالية، وتاريخ السينما وسينما التاريخ، والسينما في علاقتها بالتعليم والحقوق.

* «الثقافة الشفوية والثقافة المكتوبة» : ندوة نظمتها كلية الآداب بتعاون مع جمعية موظفيها، وذلك بتاريخ 21-93/4/23 ؛ وقد أسهم فيها أساتذة الكلية بعروض في الموضوع.

• **الموائد المستديرة والأيام الدراسية :**

* «المصطلح في الفلسفة والعلوم الإنسانية» : مائدة مستديرة نظمتها كلية الآداب بالرباط بتعاون مع مجلة **المناظرة**، وذلك بتاريخ 12-92/11/15. وقد تناول الأساتذة المشاركون المصطلح في حقول معرفية متعددة كالفلسفة واللسانيات وفلسفة العلوم والمنطق وعلم الاجتماع وعلم النفس.

* «التأويل والتلقي» : مائدة مستديرة نظمتها كلية الآداب بدعم من مؤسسة كونراد أديناور، بتاريخ 26-92/11/29 ؛ وقد شارك فيها ثلة من أساتذة كليات الآداب المغربية بحضور شرفي للمنظّر الأدبي الألماني **ڤولفكانك إيزر**. وقد تدورست في هذه المائدة بعضُ الإشكالات النظرية والتطبيقية للتلقي والتأويل. (وتوجد وقائع هذه المائدة المستديرة قيد الطبع ضمن منشورات الكلية).

* «المهدوية : الأزمة والتغيير في تاريخ المغرب» : مائدة مستديرة نظمتها كلية الآداب بالرباط، بتعاون مع مؤسسة كونراد أديناور، بتاريخ 12-93/2/13، وتنصبّ محاورها على المهدوية (نسبة إلى المهدي المنتظر) مقارنة بنزعات كونية مماثلة، وعلى مهدوية السعديّين. وقد شارك في هذه المائدة باحثون مغاربة وأجانب (من فرنسا وإسبانيا وهولندة وألمانيا). وستصدر وقائع هذه المائدة المستديرة ضمن مطبوعات الكلية.

* يوم دراسي عن أحمد الصفريوي، نظمته كلية الآداب بالرباط، بتنسيق مع شعبة الفرنسية، وذلك بحضور الكاتب ومشاركة أساتذة مغاربة وأجانب ؛ وقد تضمّنت تلك المشاركات دراسات عن أدبه وتأملات في سيرته وتمحيصات ذاتية لبعض الدراسات السابقة عنه (وكان ذلك بتاريخ 92/10/15).

* يوم تربوي نظمته شعبة الفرنسية في كلية الآداب بالرباط، وذلك بتاريخ 92/11/14 ؛ وقد تناول فيه أساتذتها قضايا تربوية مهمة كالتنسيق بين السنوات الدراسية، وتقويم بعض الممارسات (من قراءة، وتقنية تعبير، و...)، وإبراز الهدف

من التعليم في السلك الأول الجامعي الذي يتمثل أساساً في استعمال اللغة الأجنبية (الفرنسية في هذه الحالة) استعمالاً صحيحاً.

* يوم دراسي خُصّص لگابرييل جيرمان، نظمته كلية الآداب بالرباط بتعاون مع الرابطة الفرنسية المغربية بالرباط وجمعية أبي رقراق، وذلك بتاريخ 93/1/14. وقد شارك فيه أساتذة مغاربة وأجانب وتضمّن دراسات وشهادات عنه وزيارة لبيته في سلا.

* يوم دراسي نظمته شعبة التاريخ 93/5/24 عمل فيه أساتذتها على تقويم السير التربوي للسنة الجامعية 92–93 وعلى عرض أعمال اللجن المتفرّعة عن هيئة الشعبة وتوزيع الدروس والتحضير للامتحانات، فضلاً عن بعض القضايا الأخرى.

• **اللقاءات العلمية والحلقات الدراسية :**

* لقاء بكلية الآداب بالرباط في شهر أبريل 93 بين الشاعر العربي أدونيس وطلبة استكمال الدروس (تخصص الشعر الحديث) ؛ وقد قدّم له الدكتور محمد بنيس بإثارة مجموعة من القضايا الأساسية، كالعلاقة بين المناهج النقدية و«أسرار» النص الشعري، وأساسيات تكوين قارئ الشعر العربي الحديث، والشعر العربي الحديث بين المشرق والمغرب. وقد أبدى الشاعر أدونيس وجهة نظره في تلك القضايا المطروحة، مقدّماً عرضاً نظرياً موسعاً عن مفهوم البحث الجامعي الخاص بالشعر العربي الحديث، عبر الجامعة العربية، وما تم إنجازه من دراسات وفق مناهج حديثة. وقد تلت ذلك كله أسئلة الطلبة المعنيّين واستفساراتهم.

* «الدراسات النّسوية في سياق البحر الأبيض المتوسّط» : حلقة دراسية نظمتها كلية الآداب بالرباط وجامعة غرناطة بإسبانيا وجامعة تيسّالونيكي باليونان وجامعة تولوز لوميراي بفرنسا، وذلك بتاريخ 25–93/5/26. وقد تمت هذه الحلقة الدراسية في إطار برنامج «**ميدكامپّوس**» المخصّص لموضوع «النساء في بلدان البحر الأبيض المتوسط : التقاليد والحداثة». وفيها عرضت باحثات مغربيات وإسبانيات وباحث مغربي واحد قضايا البحث في المرأة من خلال تجارب بعض المؤسسات النسوية.

وبالموازاة مع ذلك، جرى لقاء في قاعة الأساتذة بالكلية بين الأستاذتين كنديدا

مارتينيث لوبيت وبيلار بالآرين (من جامعة غرناطة) من جهة وأساتذة كلية الآداب بالرباط وبعض ممثلات الجمعيات النسوية من جهة أخرى.

• الدورات التكوينية في المنهجية :

واصلت الكلية، بتعاون مع مؤسسة كونراد أديناور الألمانية وإشراف أساتذة الكلية المشرفين على الرسائل الجامعية والأطروحات، تنظيم دورات تكوينية في المنهجية لفائدة الطلبة الباحثين في مختلف التخصصات وعلى مستويي دبلوم الدراسات العليا ودكتوراه الدولة. وقد نظمت خلال هذه السنة أربع دورات نقدّمها ضمن الجدول الآتي :

الدورة	التخصص	المشرفون	المكان	التاريخ
28	اللسانيات	عبد القادر الفاسي الفهري	مراكش	92/11/15–12
29	الأدب العربي علم الاجتماع	أحمد شوقي بنبين رحمة بورقية	مراكش	92/11/29–26
30	الجغرافية الطبيعية الجغرافية البشرية التاريخ الحديث	عبد الله لعوينة محمد بلفقيه محمد حجّي	مراكش	93/ 2/ 7– 4
31	الأدب المنطق والفلسفة	عبدالفتاح كيليطو طه عبد الرحمن	مراكش	92/ 2/14–11

• المحاضرات العمومية :

* «الأدب الفرنسي في عهد الثورة الفرنسية، القنصلية والامبراطورية» (92/10/27) و«موزار، أنوارضون جوان» (92/10/28)، محاضرتان ألقتهما السيدة بياتريس ديديي أستاذة الأدب في باريز 8.

* محاضرة في قضايا متعلقة بمسرح القرن 17 و18 ألقتها السيدة مارتين ده روجمون، الأستاذة في معهد الدراسات المسرحية بباريز 3، وذلك بتاريخ 92/10/29.

* «بنى الخطاب وبنى السلطة»، «الخطاب وإعادة إنتاج العنصرية» (92/12/3)، «النص والسياق المعرفي»، «تحرير المخيلة : الخطاب والعنصرية» (92/12/4): محاضرات ألقاها الأستاذ تيرين ڤان دايك تحت شعار «مجالات جديدة في تحليل الخطاب».

* «السرد الإسباني في السنوات الأخيرة»: محاضرة ألقاها الكاتب الإسباني خوليو ياماثاريس بتاريخ 92/12/11.

* «معركة الملوك الثلاثة، ذاكرة برتغالية»: محاضرة ألقتها الأستاذة لويسيت ڤالنسي، من مدرسة الدراسات العليا في العلوم المجتمعية بباريز، وذلك بتاريخ 93/2/4.

* محاضرتان ولقاء حول «الحداثة والأوضاع الراهنة في العالم العربي» من إنجاز الأستاذين بسّام طيبي وأرنولد هوتينجر، بتاريخ 4-93/2/5.

* «الشعر واللاّشعر عند پابلونيرودا ونيكانورپارا»: محاضرة ألقتها الأستاذة الأمريكية مارلين ڭوتليب.

* «التاريخ والحكاية»، «قراءة النصوص المكرّسة لمقدّمة كتاب «تاريخ فرنسا» لجول ميشليه»، «القدماء والمحدثون والمتوحشون»، «قراءة النصوص المخصّصة لديباجة كتاب «التواريخ» لهيرودوت»: مجموعة محاضرات ألقاها الأستاذ فرانسوا هارتوك، أستاذ بمدرسة الدراسات العليا في العلوم المجتمعية بباريز، وكان ذلك بتاريخ 17-93/2/20.

* «الأدب الفلسطيني»: محاضرة ألقاها الكاتب الفلسطيني إيميل حبيبي بتاريخ 93/2/23.

* «وضع الشعريات الراهن» و«الشعريات والدلائليات»، و«الشعريات والذاتية»، و«التحليل النصي للإيقاع»، و«الشعريات المنفتحة»، و«شعريات ترجمات القرآن»:

محاضرات ألقاها السيد هنري ميشونيك بتاريخ 17-93/5/21، وكانت تتلو كل تلك المحاضرات مناقشات من بعض الأساتذة والطلبة الحاضرين.

• **المعارض** : الكتب، الأشرطة السينمائية.

* «طبول النار» للمخرج السينمائي سهيل بنبركة : شريط عُرض بكلية الآداب، وذلك بتاريخ 92/10/31.

* معرض للكتب افتتح بإشراف قيدوم كلية الآداب بالرباط ومدير مطابع بريل بلايدن ومدير المكتبة الدولية بالرباط، وذلك بتاريخ 92/12/1 ؛ وقد ضم المعرض 170 عنواناً همت العالمين العربي والإسلامي من جهة وميدان اللسانيات من جهة أخرى ؛ واستمر إلى يوم 4 دجنبر.

• **مساهمة أساتذة الكلية على المستويين الوطني والدولي :**

الأساتذة	المساهمة	المكان	التاريخ
علال الخديمي	محمد الأعرج ومؤلفاته	الجزائر	92/12/30-28
عمر بنميرة	1) أهل الذمة في الأندلس الإسلامية	كلية الآداب بفاس	أكتوبر 92
	2) نوازل ابن هلال السجلماسي	كلية الآداب بأكادير	نونبر 92
عبد الرحمن المودن	1) تساؤلات حول الموقف العثماني من غزو السودان	مراكش	92/10/25-23
	2) الهويات المتعددة: الرحالون المغاربة إلى المشرق من القرن 16 إلى القرن 18.	مدرسة الدراسات العليا في العلوم المجتمعية بباريز	93/ 3/31-21
	3) السفراء المغاربة في اسطنبول، والسفراء العثمانيون في الرباط في القرن 18.		
	4) الذكريات المتنافسة: الذكرى المغربية والذكرى التركية للحدثين البارزين في القرن 16 المغربي.		
عبد المجيد القدوري	L'expédition du Soudan, discours et historiographie	مراكش	92/10/25-23
محمد حمام علي صدقي محمد المنوني	ندوة درعة	كلية الآداب بأكادير	نونبر 92
بلكامل البيضاوية	1) البيمارستانات بالمغرب.	كلية الطب بالدارالبيضاء	.93/ 1/29
	2) مفارقات المصادر المكتوبة والمصادر الأدبية للخط الممتد من الصويرة إلى وادي درعة.	كلية الآداب بالمحمدية	93/ 2/ 9

عبد الأحد السبتي	المناقب والثقافة والسلطة.	معهد الدراسات العربية والإسلامية التابعة لجامعة بوردو III بفرنسا	مارس 93
محمد صالحي	1) اللغة والثقافة الإسبانيتين في الجامعة المغربية.	المستشارية الثقافية الاسبانية بالرباط	92/11/10
	2) مساهمة الثقافة العربية في الثقافة الأمريكية اللاتينية عبر شبه الجزيرة الإيبيرية.	نواكشوط	93/ 3/30-28
سيمون ليفي	1) تدخل واستجواب.	المجلس القومي للثقافة	93/ 1/13-12
	2) الصوائت المقارنة للهجات اليهودية المغربية.	مدرسة اللغات الشرقية بباريز (INALCO)	93/ 1/30-27
	3) جلالة الملك الحسن II يستثمر العبقرية المغربية في البحث عن السلام.	Infocom	
	4) Judéo-espagnol et Judéo arabe marocain: le sort des morphèmes de pluriel et d'emprunts au terme de quatre siècles de plurilingues.	YOD, N°33-34	أبريل 93
	5) الإبداع في خدمة التسامح.	اسطنبول (تركيا)	93/ 4/24-17
	6) «hebra» أو العيش مع الموت.	JURS بالرباط	93/ 5/ 8- 6
	7) De certaines étymologies historiques en judéo-arabe marocain	ضمن مصنّف جماعي نشر في برلين.	
	8) الريف : شروط تنمية مستمرة.	جامعة الشريف الإدريسي المفتوحة (الحسيمة)	93/ 8/25-22

• أنشطة جمعية الطلبة الباحثين في الأدب واللغة :

نظمت جمعية الطلبة الباحثين في الآداب واللغة خلال الموسم الجامعي 92–93 مجموعة من اللقاءات الداخلية، أو مع أساتذة مغاربة وأجانب، نوردها حسب تاريخ وقوعها :

* «الجاحظ وشعريات الازدواجية : ملاحظات عن كتاب «**البخلاء**»: درس افتتاحي قدّمه الأستاذ عبد الفتاح كيليطو بتاريخ 92/11/3.

* لقاء مع الأستاذ سعيد يقطين جرى بتاريخ 92/12/9، وذلك لمناقشة كتابه الجديد «الرواية والتراث السردي»، بمشاركة الطلبة الباحثين : إدريس الغندور، محمد التعمرتي، سعيد جبار.

* «الشعر العربي ـــ وخصوصاً المغربي ـــ الحديث في الثقافة العالمية»: لقاء مفتوح مع د. زجاني بصيلة (أستاذ الأدب الإنكليزي بجامعة انديانا بالولايات المتحدة الأمريكية)، جرى بتاريخ 92/12/18.

* لقاء مع الأستاذ محمد بنيس جرى بتاريخ 93/1/28، وذلك لمناقشة كتابه «الشعر العربي الحديث : بنياته وإبدالاتها» ؛ وقد شارك فيها خالد بلقاسم، العربي الذهبي وفاطمة الزهراء العماري، يوسف الناوري، محمد الصالحي والحسين سكنفل.

* لقاء مع الأستاذ محمد القاسمي حول معرضه : «كهف الأزمنة الآتية» بمشاركة الأساتذة محمد بنيس ومحمد الشركي ونور الدِّين أفاية ور. بلباه، وذلك بتاريخ 93/6/28.

* الأمسية الإبداعية الختامية بمشاركة الفنان التشكيلي محمد القاسمي، حيث ساهم كل من بلال احديدان وحسن الوزاني ومحمد الصالحي وحسن برادة في القراءة الشعرية، لتُختم بالإعلان عن الفائزين بجائزة الجمعية للإبداع القصصي والشعري (93/7/8).

كلمة شكر

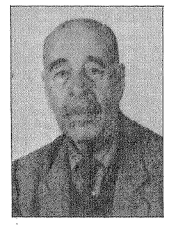
تشكر هيئة التحرير السادة الأساتذة الذين ساهموا في مراجعة بعض المواد من ملف هذا العدد، وهم :

محمد الأوراغي	عبد المجيد الصغير	مصطفى حدية
إدريس بلمليح	فاطمة طحطح	عبد العالي الودغيري
عبد الباقي بنجامع	ابراهيم المزدالي	إبراهيم حركات
سعيد بنسعيد	محمد المنوني	سالم يفوت
عبد السلام بنميس	المختار الهراس	إدريس السغروشني

رحيــل

فقدت كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، خلال 1993 ــ 1994 ثلاثة من أعلام الفكر البارزين في ميادين الأدب والحضارة والفكر والتاريخ، ينتمون جميعهم إلى جيل من المثقفين المغاربة الذين أعطوا للثقافة الوطنية، في الفترة المعاصرة، بعدا متميزاً ؛ هؤلاء أفنوا حياتهم في خدمة وطنهم، كل في مجاله، بعد أن أسهموا في تأسيس البحث العلمي الجامعي واغنائه وتوسيع نطاقه. لقد قاموا رحمهم الله بدورهم كاملاً في مجال التأطير، تشهد بذلك أفواج الخرّجين الباحثين الذين لاتخلو منهم جامعة من جامعات هذا البلد العزيز.

• ففي ميدان الأدب والحضارة ترك الأستاذ محمد ابن تاويت أثراً سيظل شاهدا له على سبقه العلمي في أكثر من ميدان : فقد كان له الفضل في فتح مجال البحث في الأدب المغربي وإماطة اللثام عن بعض كوامنه، كما عرّف بالحضارات الشرقية عبر تدريس بعض لغاتها وبالتحديد الفارسية والتركية في كل من جامعة القرويين، ومحمد بن عبد الله، ومحمد الخامس ؛ وقد خلف الفقيد، رحمه الله، في هذه المجالات العديد من التآليف والنصوص المترجمة.



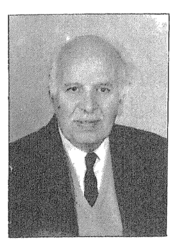
الأستاذ محمد بن تاويت

• وفي ميدان الفكر كما في الأدب برز الأستاذ محمد عزيز الحبابي علماً تجاوز اشعاعه حدود وطنه، وتمثلت بصماته في كثير من المؤسّسات الثقافية : كعميد لكلية الآداب، ومؤسس لاتحاد كتاب المغرب وجمعية الفلسفة بالمغرب. وقد غرس الفكر الفلسفي بالخصوص في الجامعة المغربية وجعل منه مشروعاً شخصياً للبحث عن الحقيقة. ومما تميز به فكره، رحمه الله، أنه كان ذا نزعة انسانية حضارية، متفتّح الآفاق، كما كان مؤمناً بفكرة قيام الحوار بين الحضارات باعتبار وحدة مصدرها هو الانسان.



الأستاذ محمد عزيز الحبابي

إلى جانب ما خلّفه الفقيد الحبابي من كتابات فلسفية ـــ ساهمت في رسم مسار فلسفي أثرى الثقافة المغربية ـــ فانه ترك العديد من المؤلفات في ميدان الإبداع الأدبي باللغتين العربية والفرنسية.



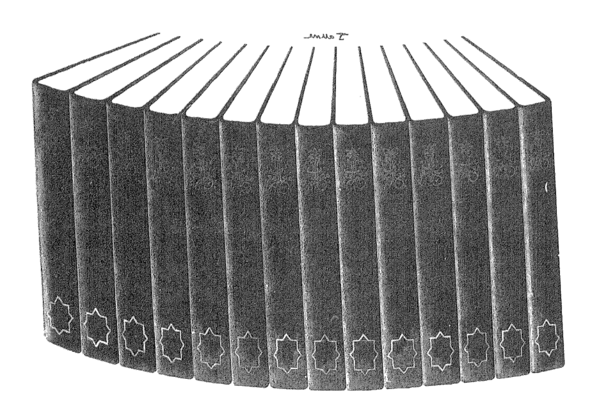
الأستاذ محمد زنيبر

• أما في ميدان التاريخ والحضارة فقد أسس الأستاذ محمد زنيبر جيلا قوياً من الباحثين ضمِن بهم استمرارية اشعاع البحث العلمي في الجامعات المغربية، وسعى بالخصوص ـــ إلى جانب جملة من اساتذة كلية الآداب ـــ في تأسيس المدرسة التاريخية المغربية، سواء بتكوين الطلبة والتفكير في قضاياهم التربوية، أو برئاسة شعبة التاريخ وترسيخ أعرافها، أو برئاسة قسم الدراسات في السلك الثالث بنفس الكلية، ويتميز الراحل في ثقافته بالشمولية، فقد ساهم في العديد من المجالات : فبالإضافة إلى الكتابات التاريخية ساهم بأعمال إبداعية شملت القصة والمسرح والموسيقى الأندلسية والمقالة، وقد ترك المرحوم محمد زنيبر مكتبة علمية غنية في مجالات مختلفة.

تغمد الله الجميع بواسع رحمته.

معلمة المغرب

تصدرها الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر(*)



معلمة المغرب : قاموس موسوعي مرتّب على حروف الهجاء، صدرت منها لحدِّ الآن المجلدات الستة الأولى، وتضمّ ما يقرب من أربعة آلاف مادّة، تضم المواد المبدوءة بحروف الألف والباء والتاء. وستُدرج بقية الحروف على امتداد العشرين جزءاً التي تصدر بوتيرة جزءين كل سنة. والمؤمَّل بعون الله أن ينتهي المشروع كله بنهاية العام المكمِّل لهذا القرن.

وقد استهدف منهاج **المعلمة** أن يحيط في مجلّداته بقدر وافر من المعارف المتعلّقة بمختلف الجوانب الجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب. وقد بني جرد مواد هذا القاموس على عشرة جوانب أساسية هي :

(*) 53، شارع علال بنعبد الله، الرباط.

1) طبيعة المغرب من أرض وتربة وتضاريس وبحار وبحيرات ومجار مائية ومظاهر مناخية،

2) ثروات المغرب المعدنية والنباتية والحيوانية،

3) سكان المغرب ومعالمه العمرانية من مدن وقبائل وبيوتات وأسر وجماعات،

4) أنشطة المغرب الإنتاجية من فلاحية وصناعية،

5) الموادّ التاريخيّة في ما سبق من المداخل وفي ما يخص تراجم الرجال والنساء من ذوي الآثار الجهادية والعلمية والتربوية والفنية والسياسية والاجتماعية وذواتها، وكذا الأحداث والوقائع من معارك ومعاهدات وأزمات وتحوّلات، كل ذلك في سياق تفاعل المغرب مع العالم في الجوانب السياسية والفكرية والحضارية،

6) التعريف بالمواقع المذكورة في كتب التاريخ أو التي تحفظ الذاكرة وقائع متعلقة بها،

7) المؤسسات والنظم الحضارية في الماضي والحاضر سواء في ما يخص السياسة أو الإدارة أو الاقتصاد أو المجتمع أو الثقافة،

8) التيارات والمذاهب السياسية والفكرية والأدبية والفنية،

9) العلوم والمهارات،

10) معالم التراث الشعبيّ في أنماط تعبيره المتنوِّعة.

إن مشروع معلمة المغرب ماض ــ بعون الله ــ في طريق إنجازه مستنداً إلى المشاركة الواسعة للأساتذة الباحثين ــ إذ ساهم في الجزءين الأخيرين وحدهما أزيد من مائة وسبعين باحثا ــ ومستمداً قوة نفسه من التقدير الجيد الذي يلقاه في الأوساط الأكاديمية داخل المغرب وخارجه.

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ــ الرباط

رسائل وأطروحات جامعية : Thèses et Mémoires

- □ أحمد التوفيق : المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850/1912) طبعة جديدة، جزءان في مجلد واحد، 1983.
- □ نعيمة هراج التوزاني : الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن (1290 ــ 1311 / 1873 ــ 1894) مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب، يناير 1979.
- □ سعيد بنسعيد : دولة الخلافة، دراسة في التفكير السياسي عند الماوردي، 1980.
- □ سالم يفوت : مفهوم الواقع في التفكير العلمي المعاصر.
- □ عبد اللطيف الشاذلي : الحركة العياشية، حلقة من تاريخ المغرب في القرن السابع عشر، 1982.
- □ محمد مزين : فاس وباديتها (1549 ــ 1637م) جزءان، 1986.
- □ مبارك ربيع : مخاوف الأطفال وعلاقتها بالوسط الاجتماعي، 1991.
- □ محمد الأمين البزاز : تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.
- □ أحمد أبو زيد : التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، 1992.
- □ فاطمة طحطح : الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، 1993.

- □ Abderrahmane Taha : Langue et Philosophie, essai sur les structures linguistiques de l'ontologie. Janvier 1979.
- □ Ali Oumlil : L'histoire et son discours, essai sur la méthodologie d'Ibn Khaldoun, 1979.
- □ Abdellatif Bencherifa : Chtouka et Massa, étude de géographie agraire, 1980.
- □ Abdelkader Fassi Fehri : Linguistique arabe : forme et interprétation, 1982.
- □ Ahmed Moutaouakil : Réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe, 1982.

□ Aziza Bennani : Monde mental et monde romanesque de Carlos Fuente, 1985.

□ Larbi Mezzine : Le Tafilalt, Contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIe et XVIIIe siècles, 1987.

□ Hassan Benhalima : Petites Villes Traditionnelles et Mutations Socio-Economiques au Maroc, le cas de Sefrou, 1987.

□ Mohamed Berriane : Tourisme national et migrations de loisirs au Maroc (étude géographique), 1992.

□ Ahmed Chouqi Binbine : Histoire des bibliothèques au Maroc, 1992.

Textes et documents : نصوص ووثائق

□ محمد المنوني : ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، 1980.

□ محمد بن تاويت : جهار مقالة (أربع مقالات مترجمة عن الفارسية)، 1982.

□ أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي : التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، 1984.

Traductions نصوص مترجمة

□ جورج ماطوري : منهج المعجمية، ترجمة وتقديم عبد العلي الودغيري، 1993.

Essais et Etudes : بحوث ودراسات

□ محمد المنوني : تاريخ الوراقة المغربية (صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة)، 1991.

□ أحمد الطريسي أعراب : الإبداع الشعري والتحولات الاجتماعية والفكرية بالمغرب، من أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين للميلاد، 1992.

□ أحمد المتوكل : آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، 1993.

□ عمر أفا : النقود المغربية في القرن الثامن عشر، 1993.

□ أحمد شوقي بنبين : دراسات في علم المخطوطات والبحث البيليوغرافي، 1993.

□ El Mostafa Haddiya : Processus de la socialisation en milieu urbain au Maroc, 1991.

□ El Mostapha Chadli : Sémiotique : vers une nouvelle sémantique du texte (Problématique, enjeux et perspectives théoriques), 1994.

بيبليوغرافيا : Bibliographie

□ محمد المنوني : المصادر العربية لتاريخ المغرب، جزءان : 1983 ؛ 1989.

□ لجنة من أساتذة الكلية : مرشد الباحثين في قواعد إعداد النصوص للطبع وتصحيحها، 1986.

□ لجنة من أساتذة الكلية : بيبليوغرافية الدراسات الأدبية الجامعية بالمغرب، 1990.

أعمال الندوات : Colloques

□ اللقاء المغربي الأول للسانيات والسيميائيات، عروض ومناقشات، 1979.

□ أعمال ندوة ابن رشد، 1981.

□ أعمال ندوة ابن خلدون، 1981.

□ أعمال ندوة البحث اللساني والسيميائي، 1984.

□ أعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية، 1985.

□ أعمال ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن XIX، 1986.

□ أعمال ندوة المغرب وهولندة، دراسات في التاريخ والهجرة واللسانيات وسيميائيات الثقافة، 1988.

□ أعمال ندوة الإمام أبي حامد الغزالي، 1988.

□ أعمال ندوة العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي، 1988.

□ أعمال ندوة في الاقتصاد الإسلامي، 1989.

□ أعمال ندوة ثلاثون سنة من البحث الجامعي بالمغرب :

الجزء الأول : السوسيولوجيا المغربية المعاصرة، جصيلة وتقيم 1988.

الجزء الثاني : البحث الجغرافي بالمغرب، تقويم أولي، 1989.

الجزء الثالث : البحث في تاريخ المغرب، حصيلة وتقويم، 1989.

الجزء الرابع : اللسانيات الاجتماعية (Langues et société)، (باللغات الأجنبية) 1989.

□ الدراسات الأدبية الجامعية بالمغرب، 1991.

□ الملتقى العلمي لمدينة طنجة :

طنجة في التاريخ المعاصر (1800 — 1956)، 1991.

طنجة في الآداب والفنون، 1992.

- ☐ التاريخ واللسانيات، النص ومستويات التأويل، (مائدة مستديرة)، 1992.
- ☐ الفكر الفلسفي بالمغرب المعاصر، 1993.
- ☐ نظرية التلقي : إشكالات وتطبيقات، 1993.
- ☐ علم النفس وقضايا المجتمع المعاصر، 1993.
- ☐ دراسات فلسفية (أعمال مهداة إلى الأستاذ الطاهر وعزيز)، 1993.
- ☐ التحولات الاجتماعية المجالية الحديثة في الأرياف المغربية، 1993.
- ☐ الزكاة وانعكاساتها في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، 1994.
- ☐ مجالات لغوية : الكليات والوسائط، 1994.
- ☐ في ذكرى جرمان عياش، 1994.

- ☐ Actes 6° colloque international de linguistique fonctionnelle S.I.L.F, 1979.
- ☐ Le Maroc et la Holande : Etude sur l'histoire, la migration, la langue et la culture :
  Volume 1 : Première rencontre universitaire : 1988.
  Volume 2 : Deuxième rencontre universitaire : 1990.
  Volume 3 : Troisième rencontre universitaire : La recherche scientifique au service du développement, 1992.
- ☐ Le Maroc et l'Allemagne : première rencontre universitaire, 1991.
- ☐ Identité culturelle au Maghreb, 1991.
- ☐ Le Maroc et l'Atlantique (Table ronde), 1992.
- ☐ Westermarck et la société marocaine, 1993.
- ☐ Montagnes et Hauts-Pays de l'Afrique, 1993.

Revues : المجلات

- ☐ مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية : من العدد الأول 1977 إلى العدد الثامن عشر 1993.

- ☐ Langues et Littératures. du vol. I 1981 au vol. XI, 1993.
- ☐ Héspéris Tamuda : du Vol I 1960 au Vol. XXXI, Fascicule unique, 1993, Vol de l'année 1921 (réedition).

MAJALLAT KULLIAT AL ADAB

Parution annuelle



مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

رقم الايداع بالخزانة العامة 1977/1
الرقم الدولي الموحد : 1160 — 0851